اللَّهُ

هل هو إله اليهود ؟!

دراسة لتصور اليهود حول ذات وصفات الإله

تأليف الدكتور

محمود أحمد نصر منصور

دكتوراه في العقيدة والفرق المعاصرة

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع

محفوظة
جميع الحقوق
للناشر

رقم الإيداع : ٢٠٢١/١٦٢٦٤م

الترقيم الدولي : ٧ – ٤٨ – ٦٨٠٤ – ٩٧٧ – ٩٧٨

القاهرة : 201022332041+
201110117447+
السعودية : 966541297982+
المغرب : 212522452084+
MofakrounINT
info@mofakroun.com
www.mofakroun.com

إهداء

إلى روح أبي أسأل الله تعالى أن يرحمه رحمةً واسعةً

إلى كل باحثٍ عن الحق الذي لا زيـغَ فيه ولا ضلالٍ
إلى كل من يريد معرفةَ ربه معرفةً حقيقةً

أُهدي هذا الجهد المتواضع
راجيًا من الله تعالى القبولَ

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣
وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤

[سورة الإخلاص]

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل القرآن هدىً للمتقين، وشفاءً للمؤمنين، وضياءً للسالكين، يخرجهم به من الظلمات إلى النور ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [سورة المائدة].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى إلى الناس كافة يتلو عليهم آيات ربهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحبه الغر الميامين، ومن والاه إلى يوم الدين وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛

فقضية الإله المعبود المقدس من أبرز القضايا التي شغلت فكر البشر منذ القدم؛ لأن الله تعالى وضع في فطرة البشر حاجة لإله تقدسه وتعبده، ورب تتوجه إليه في السراء والضراء، والعسر واليسر.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ ١٧٢﴾ [سورة الأعراف].

وقد سعى البشر على مر التاريخ إلى تلبية نداء هذه الفطرة، لكنهم كانوا ينحرفون أحيانًا عن الفطرة السليمة فيعبدون آلهة هي من صنع هواجسهم وأوهامهم أو من صنع أهواءهم، وأحيانًا من صنع أيديهم.

فكان الله تعالى لرحمته بالناس يرسل إليهم الرسل لتذكيرهم وردهم إلى فطرتهم السليمة التي فطرهم عليها، وتوالت الرسل حتى ختموا بسيدهم وإمامهم محمدٍ ﷺ.

فما من أمة إلا وأرسل الله تعالى فيها رسولا يتلو عليهم آيات ربهم وينذرهم لقاءه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة فاطر] ومن أكثر الأمم التي أرسل الله إليها الرسل أمة اليهود، التي سعت بالفطرة البشرية إلى أن يكون لها إلهًا تعبده، وربًا تلجأ إليه، لكن اليهود لاعتقادهم أنهم شعب الله وأبناؤه وأحباؤه اعتقدوا أن إلههم ليس هو إله الناس جميعًا، بل هو إلههم وحدهم، أما باقي الناس فلهم آلهتهم الخاصة بهم، ورفضوا أن يكون الإله الخاص بهم هو ذات الإله حتى في الرسالات السماوية الأخرى كالمسيحية والإسلام.

ولأجل هذا اعتقدوا أن أي نبي لا بد أن يكون من اليهود؛ لأن الإله-لاصطفائه لليهود وحبه لهم-لا يبعث الأنبياء إلا من بني جنسهم.

وقد جاءت هذه الدراسة توضيحًا لمعتقد اليهود في الإله وتصورهم لحقيقته، وتوضيحًا لأهم الصفات التي يتصف بها الإله عندهم.

ولم أقف على دراسات سابقة خصصت لدراسة الإله أو قضية الألوهية عند اليهود-على وجه التحديد-اللهم إلا بعض الدراسات التي تناولت الموضوع كجزء من كلامها عن حياة اليهود ومعتقداتهم وبعضها يخلط بين بني إسرائيل واليهود فيجعل المصطلحين واحدًا وقد فرق القرآن الكريم بينهما.

أهمية هذا الكتاب

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها خصصت لتناول قضية الألوهية عند اليهود بشيء من التفصيل، وألقت الضوء باقتضاب على تاريخ اليهود وبيان المراحل التي مر بها هذا التاريخ، مع بيان لأصل مصطلح اليهود ومتى ظهر، كما اهتمت ببيان طبيعة اليهود التي تميل إلى تعدد الآلهة، وتقليد الأمم والشعوب الأخرى في طقوسهم وعباداتهم.

كما ركزت الدراسة على بيان مفهوم الألوهية عند اليهود وحقيقة تصورهم للذات الإلهية، وقضية تعدد الآلهة عندهم وأهم أسبابها، وأهم أسماء الإله وصفاته عندهم، مع توثيق ذلك بنصوص صريحة من التوراة وأسفارهم المقدسة.

كما أن هذا الكتاب يكمل النقص الموجود في الدراسات السابقة مثل: كتاب "العرب واليهود في التاريخ" للدكتور أحمد سوسه، الذي ذكر فيه بعض أسماء وآلهة اليهود باختصار شديد في مواضع متفرقة من الكتاب، ولم يبسط القول عنها.

وكتاب "اليهودية" للدكتور أحمد شلبي، ولم يذكر فيها شيئًا عن إله اليهود اللهم إلا بعض المعلومات عن اسم يهوه: اشتقاقه وبعض صفاته، وكلامه مختصر لم يذكر فيه الأسماء الأخرى للإله، ولا صفات الإله.

وكذلك كتاب "اليهودية في العقيدة والتاريخ" للأستاذ عصام الدين ناصف تناول فيه بعض آلهة اليهود، وتكلم عن يهوه وبعض صفاته، لكنه أسهب في مواضع وقصر في أخرى، ولم يبسط القول عن صفات وأسماء أخرى للإله اليهودي يهوه.

ولعل من أكثر الدراسات التي تحدثت عن صفات إله اليهود بشيء من البسط كتاب "مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم" للأستاذ عبد الوهاب طويلة لكنه لم يذكر أسماء الإله عند اليهود، وكذلك لم يذكر كثيرًا من صفات الإله التي وردت في التوراة.

وكتبه

د. محمود أحمد نصر منصور

الصوامعة شرق – أخميم – سوهاج

٩ذي القعدة ١٤٤٢هـ - ١٩ يونيو ٢٠٢١م

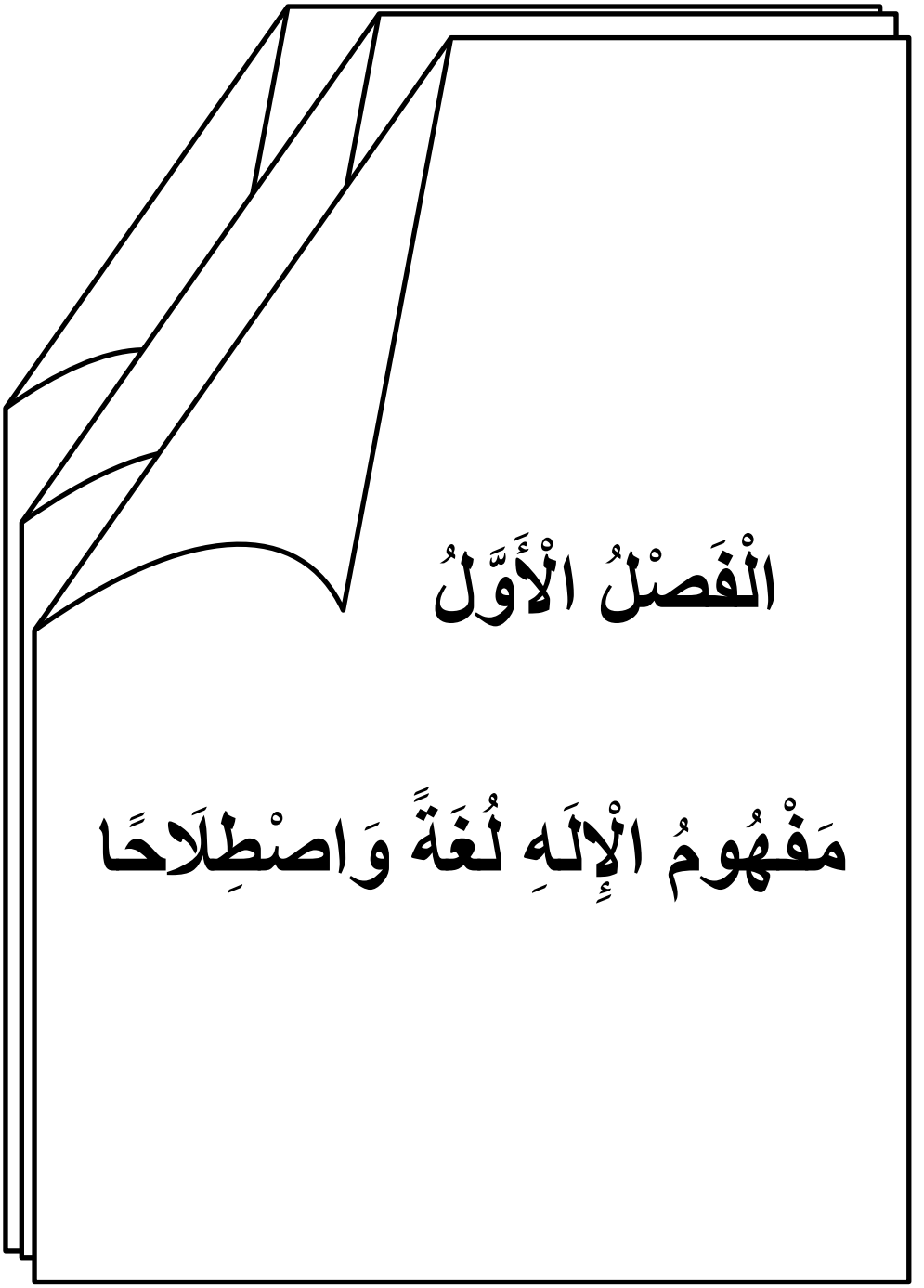

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

مَفْهُومُ الْإِلَـهِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

مفهوم الإله لغةً

مادة "أَلِهَ" في لغة العرب تأتي لمعانٍ متعددة:

فيقال أَلِهَ فلان إلاهة وألوهة وألوهية أي عبد، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وإلاهَتِكَ) بكسر الهمزة، قال: وعبادتِكَ[١].

وأَلِهَ فُلانٌ ألها أي تحير وأصله وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهًا وقد أنكر ذلك ابن فارس، فقال: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد... فأما قولهم في التحير أله يأله فليس من الباب، لأن الهمزة واو[٢].

وكذا يقال: أَلِهَ على فلان أي اشْتَدَّ جزعُه عليه وهي من وَلِهَ أيضًا[٣].

ويقال أَلِهَ فلانٌ على كذا أي لَجَأ إليه واحتمى بهِ، و أَلِهَ بالمكان أَقَامَ به[٤]، ويقال كذلك: أَلِهَ فُلَانًا ألها أجاره وآمنه[٥].

فالمادة تدور على معاني التعبد واللجوء واللزوم، وما يتعلق بها من المحبة والتعلق والتحير.

---

[١] الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط٤،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م،ج٦، ص٢٢٢٣، لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١٣، ص٤٦٩.

[٢] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج١، ص ١٢٧.

[٣] الصحاح، للجوهري، ج٦، ص٢٢٢٤، لسان العرب، لابن منظور، ج١٣، ص ٤٦٩.

[٤] تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي،تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٣٦، ص ٣٢٠– ٣٢٥.

[٥] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ص٢٥.

وقال ابن منظور: الإله: الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع آلهة. والآلهة: الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها[٦]، وكذا قال صاحب القاموس[٧].

وقد فرق أبو هلال العسكري بين كلمة "إله"، وكلمة "الله"، فقال: الفرق بين قولنا الله، وبين قولنا إله: أن قولنا الله اسم لم يسم به غير الله، وسمي غير الله إلها على وجه الخطأ، وهي تسمية العرب الأصنام آلهة، وأما قول الناس لا معبود إلا الله، فمعناه أن لا يستحق العبادة إلا الله تعالى[٨].

قوله: "وسمي غير الله إلها على وجه الخطأ" مخالف لمفهوم الإله لدى أصحاب المعاجم العربية؛ لأن الإله يطلق على كل ما يستحق العبادة في معتقد معبوده، وقد يكون هذا الإله غير مستحق للتأليه أو العبادة في نظر غير معبوديه، لكن يطلق عليه إله؛ لأنه عُبِدَ من جانب طائفة من البشر.

قال ابن فارس: والإلاهةُ: الشمس، سميت بذلك لأن قومًا كانوا يعبدونها، قال الشاعر:

..... فبادرنا الإلاهة أن تؤوبا[٩]

---

[٦] لسان العرب، لابن منظور، ج١٣، ص٤٦٧، الصحاح، للجوهري،ج٦، ص٢٢٢٤.

[٧] القاموس المحيط، للفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت،ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص١٢٤٢.

[٨] الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري،تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم،ط١٤١٢،١هـ،ص٦٨.

[٩] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج١، ص ١٢٧.

مفهوم الإله لغةً

يطلق الإله على كل معبود يعبد بحق أو بغير حق، ثم غلب على المعبود بحق[١٠].

قال الراغب الأصفهاني: ...فيكون الإله اسماً لما يُؤْلَهُ (أي يعبد)[١١].

وقال الجرجاني: الإلهية أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية، كما أن آدم عليه الصلاة والسلام أحدية لجمع جميع الصور البشرية[١٢].

وقال ابن سيده: وقيل الإله هو المستحق للعبادة وقيل هو القادر على ما تحق به العبادة، ومن زعم أن معنى إله معنى معبود فقد أخطأ وشهد بخطئه القرآن وشريعة الإسلام لأن جميع ذلك مقر بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شك أن الأصنام كانت معبودة في الجاهلية على الحقيقة إذا عبدوها وليس بإله لهم فقد تبين أن الإله هو الذي تحق له العبادة وتجب[١٣].

وقول ابن سيدة: "ومن زعم أن معنى إله معنى معبود ..." فيه نظر لأن الإله يطلق

---

[١٠] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مُحَمَّد بن علي التهانوي، إشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمه إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٥٨.

[١١] تفسير الراغب الأصفهاني، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. مُحَمَّد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١، ص ٤٩.

[١٢] التعريفات، للشريف الجرجاني، ص ٣٥.

[١٣] المخصص، لابن سيده، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،١٤١٧هـ ١٩٩٦م،ج٥، ص٢١٦.

على كل معبود، وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق لفظ الإله على المعبودات التي يعبدها الناس من دون الله؛ لأنها آلهة في نظر واعتقاد عابديها، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةَ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١﴾ [سورة مريم]، وقال سبحانه: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ٤٣﴾ [سورة الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةَ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤﴾ [سورة يس]؛ فسمى الله تعالى هذه المعبودات الباطلة آلهة؛ لأنها تعبد، ويعتقد من يعبدها أنها إلهه المستحق للعبادة.

وقال ابن منظور كذلك: قال أبو الهيثم:.. ولا يكون إلها حتى يكون معبودًا، وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا، وعليه مقتدرا فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد ظلما، بل هو مخلوق ومتعبد[١٤].

وهذا الذي اشترطه أبو الهيثم من وجوب كون الإله خالقا ورازقًا ومدبرًا...، إنما هو للإله المعبود بحق، كما بين ذلك ابن أبي العز الحنفي فقال: فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر[١٥].

فالإله إذًا كل مستحق للعبادة عند معبوده، سواء أكان استحقاقه لها حقًا أم كان ضربًا من ضروب الباطل والأوهام، مع ما يتعلق بهذا الاستحقاق من محبة وتعلق، ولجوء واحتماء، ولزوم لأمره أو لما يحب.

---

[١٤] لسان العرب، لابن منظور، ج١٣، ص٤٦٨.

[١٥] شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، دار السلام للطباعة والنشر،ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٨٧.

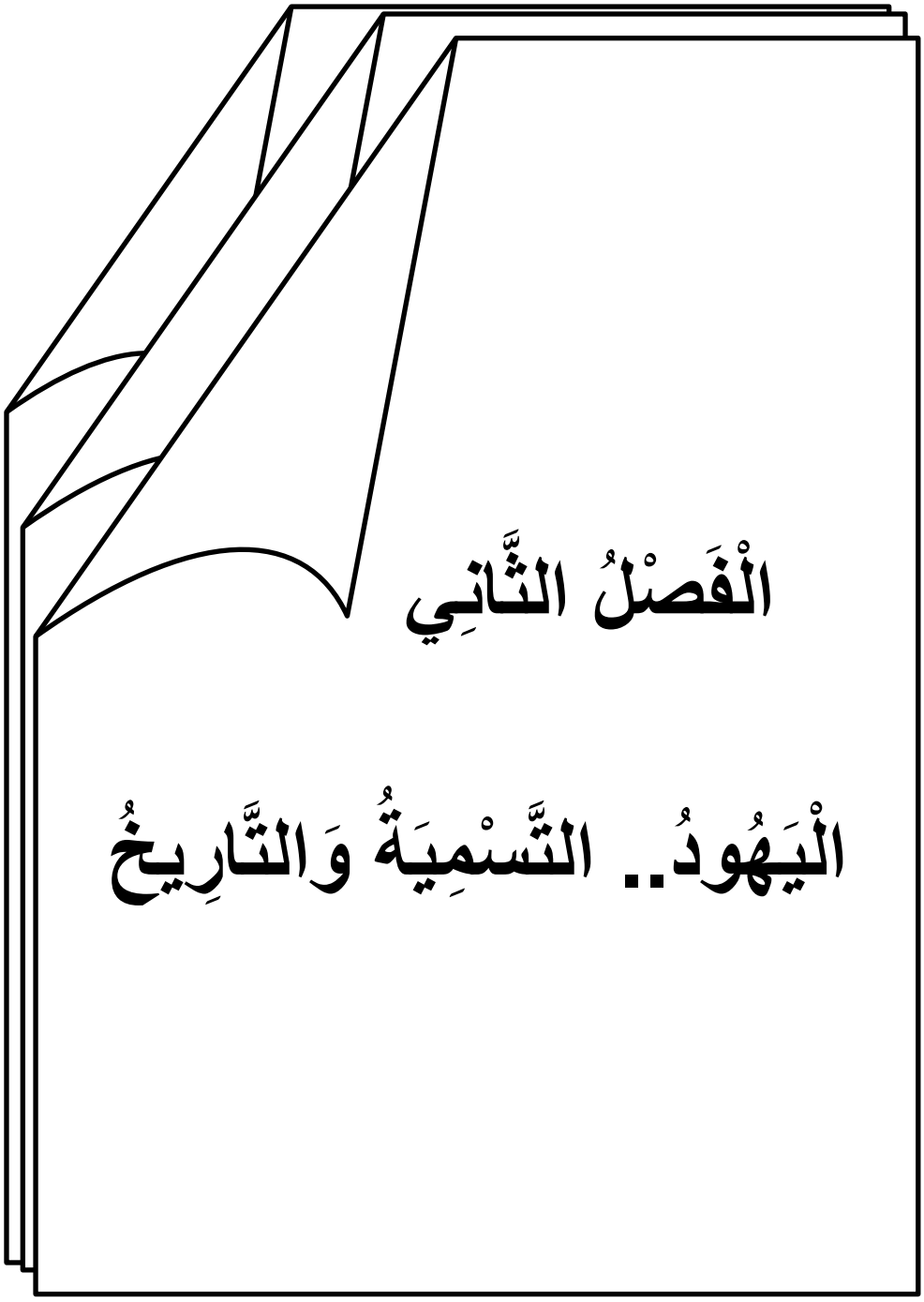

الْفَصْلُ الثَّانِي

الْيَهُودُ.. التَّسْمِيَةُ وَالتَّارِيخُ

المبحث الأول

اليهود وسبب التسمية

مصطلح اليهود يطلق على من يؤمنون بديانة موسى عليه السلام، وإن كان لفظ اليهود لم يكن معروفًا قبل موسى عليه السلام ولا حتى في زمن موسى، وإنما عرف متأخرًا، ولعله أطلق على أتباعه بعد أن حرفوا التوراة وأفسدوا معتقداتهم وشوهوها؛ لذلك لم يذكرهم الله تعالى باسم اليهود في القرآن الكريم إلا في مواضع الذم والتوبيخ، وبيان زيف أقوالهم، وشركهم وافترائهم على الله تعالى، والنهي عن اتباعهم وموالاتهم[١٦].

وقد اختلفت الآراء وتباينت حول سبب تسمية اليهود بهذا الاسم:

- فقيل إنهم سموا يهوداً نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل الذين بعث فيهم موسى عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً، قال ابن سيده: وليس هذا بقوي[١٧].

- وقيل سموا بذلك لقول موسى عليه السلام لربه: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف]، أي تبنا ورجعنا إليك يا ربنا، قال ابن كثير: فَكَأَنَّهُمْ سُمُّوا بِذَلِكَ فِي الْأَصْلِ لِتَوْبَتِهِمْ[١٨].

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود، قال: نحن أعلم من حيث

---

[١٦] ذكرت لفظة "اليهود" في القرآن الكريم ثماني مرات، في ثلاث سور: البقرة (ثلاث مرات)، والمائدة (أربع مرات)، والتوبة (مرة واحدة)، وذكروا بلفظ "الذين هادوا" في عشرة مواضع غالبها في الذم وبيان تضييق الله عليهم بظلمهم وافترائهم الكذب.

[١٧] لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص ٤٣٩.

[١٨] تفسير ابن كثير، ج١، ص ١٨٣.

تسمت اليهود باليهودية منهم، كلمة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف][١٩].

وذكره ابن كثير عن علي رضي الله عنه قال: إنما سميت اليهود لأنهم قالوا إنا هدنا إليك[٢٠].

❖ وقيل الاسم مأخوذ من الهوادة، أي المودة، فكأنهم سموا بذلك لمودة بعضهم بعضاً، وقيل الهَوادَةُ: الحُرْمَةُ وَالسَّبَبُ، قال ابْنُ الأَعرابي: هادَ إِذا رجَع مِنْ خَيْرٍ إِلى شَرٍّ أَو مِنْ شَرٍّ إِلى خَيْرٍ، وهادَ إِذا عُقِلَ[٢١].

❖ وقيل نسبة إلى التهود أي التقرب والعمل الصالح، والمتهود: المتقرب بالعمل الصالح.

قال زهير بن أبي سلمى:

سِوَى رُبَعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهَا مَخافَةً وَلَا رَهَقاً مِنْ عابِدٍ مُتَهَوِّدِ[٢٢]

❖ وقيل لتحركهم عند تلاوة التوراة، قال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة[٢٣].

❖ وقال الكرماني: اليهود هو علم على قوم موسى عليه السلام، ...، وسموا به اشتقاقًا من هادوا، أي مالوا إما من عبادة العجل أو من دين موسى، أو من هاد إذا رجع من خير إلى شر

---

[١٩] تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق:أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز،المملكة العربية السعودية، ط١٤١٩،٣هـ، ج٥، ص١٥٧٧.

[٢٠] تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٤٣٢.

[٢١] لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص ٤٣٩.

[٢٢] لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص ٤٣٩.

[٢٣] تفسير ابن كثير، ج١، ص ١٨٣.

أو من شر إلى خير لكثرة انتقالهم من مذاهبهم[٢٤].

والذي أميل إليه؛ أنهم سموا بذلك نسبة إلى يهوذا بن يعقوب عليه السلام، والذي سميت على اسمه مملكة الجنوب؛ لأن الاسم لم يظهر في عهد موسى عليه السلام، وإنما ظهر متأخرًا –كما سيأتي في موضعه إن شاء الله– لما انقسم بنو إسرائيل إلى مملكتين: مملكة يهوذا في الجنوب ومملكة إسرائيل في الشمال، وكانت بينهم نزاعات شديدة وحروب طويلة أضعفت المملكتين، ثم سقطت مملكة إسرائيل(السامرة) مع نهايات القرن الثامن قبل الميلاد عام ٧٢٢ق.م على يد الإمبراطور الآشوري سرجون الثاني، ثم تلتها مملكة يهوذا حيث دمرت على يد الملك البابلي نبوخذ نصر عام ٥٨٦ق.م، وأخذ جميع من فيها أسرى إلى بابل، وهناك أطلق عليهم يهوذ أو يهوذا، وأبدلت الذال دالاً فصارت يهودًا.

وقد ذهب الأستاذ أحمد سوسه إلى أنهم سموا يهودًا بعد السبي نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة[٢٥].

وهذا ينفي أن يكون الاسم راجع إلي قولهم هدنا، فالمعروف عن اليهود أنهم أثناء السبي البابلي الثاني بدءوا في الرجوع إلى التوراة وكتابتها من جديد، فكتبها لهم عزرا(عزير)، فربما كانوا يقولون هذه الكلمة إعلانًا لتوبتهم ورجوعهم إلى الله بعدما أذلهم وشردهم.

ويخطئ كثير من الناس حين يظن أن اليهود كانوا موجودين في عهد إبراهيم عليه السلام، بل تزعم التوراة أن اليهود كانوا قبل إبراهيم عليه السلام، فترجع وجودهم إلى زمن أخنوخ

---

[٢٤] شرح الكرماني على صحيح البخاري، اعتنى به: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٤٠٨.

[٢٥] العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، العربي للنشر والطباعة، دمشق، ط٢، د.ت، مقدمة الكتاب، ص "ر ".

(إدريس عليه السلام)[٢٦].

ويظن البعض –خطأ– أن اليهود كلهم من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، والبعض يعتقد أنهم أتباع سيدنا موسى عليه السلام.

وتتضح الحقيقة جلية حينما نقف على الخلفية التاريخية لليهود، والمراحل الزمنية التي تبين تطورات هذه الطائفة وتطورات مسماها.

[٢٦] وقد وقع في هذا الخطأ الدكتور زكي شنودة في كتابه "المجتمع اليهودي" حينما ذكر أشهر أنبياء اليهود فبدأ بذكر إبراهيم عليه السلام كأول نبي لليهود، فقال: كان إبراهيم أول أنبياء اليهود الملقبين بالعبرانيين (ص ٩٧)، وهذا يعني أن اليهود كانوا قبل إبراهيم، فلما انحرفوا وضلوا أرسل الله تعالى إبراهيم لردهم إلى التوحيد وإقامتهم على عبادة الله وحده، وهذا خطأ جسيم، ربما أوقعه فيه خلفيته العقائدية، وعدم بحثه وتدقيقه في صحة القضايا التي أقرها الكتاب المقدس، ومدى مطابقتها للواقع التاريخي؛ حتى لا يقع في دائرة الطعن في كتابه الذي يؤمن به ويقدسه.

المبحث الثاني

مختصر تاريخ اليهود

نظرًا لطول الزمن وتعدد المراحل التاريخية التي مر بها اليهود -كما يذكرها علماء التاريخ- وباختصار شديد حتى لا يتشعب بنا البحث نقسم تاريخهم إلى ثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: يعقوب وبنوه (بنو إسرائيل):

إسرائيل هو اسم سيدنا يعقوب عليه السلام، وقد ذكر في القرآن الكريم دائمًا باسم يعقوب إلا في موضع واحد ذكر باسم إسرائيل، وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ٩٣﴾ [سورة آل عمران]، وكلمة إسرائيل تعني -كما ذكر المفسرون-: عبد الله، قال الشوكاني: اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ومعناه عبد الله؛ لأن "إسرا" في لغتهم: هو العبد، و"إيل" هو الله، قيل: إن له اسمين، وقيل: إسرائيل لقب له[٢٧].

أما التوراة فتزعم أن معنى إسرائيل: يجاهد مع الله أو يصارع الله[٢٨]، أو الله يصارع[٢٩]، فقد ذكرت أن يعقوب عليه السلام لما كان راجعًا من فدان أرام إلى أرض كنعان، لما اقترب من أرض كنعان وعلم أن أخاه عيسو قادم في أربعمائة رجل بات ليلته خائفًا قد

---

[٢٧] فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دمشق،ط١٤١٤،١هـ، ج١،ص ٨٧.

[٢٨] انظر دائرة المعارف الكتابية، القس صمويل حبيب وآخرون، دار الثقافة، المجلد الأول، ص٢٢٧.

[٢٩] قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص٥١.

ضاق صدره بالأمر، فجاءه ملاك الرب[٣٠] في صورة إنسان، وأخذ يصارعه إلى بزوغ الفجر، ولما لم يقدر ملاك الرب عليه باركه وسماه إسرائيل؛ لأنه جاهد الرب وقدر عليه!!.

تقول التوراة: فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ، وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ، فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ[٣١].

وهذا الكلام لا يقبله العقل والمنطق السليم؛ إذ لا يقبل العقل أن يكون الرب لا يعرف اسم عبده، بل نبي من أنبيائه أمره أن يترك أرض فدان آرام ويرجع إلى أرض كنعان،

---

[٣٠] ملاك الله أو ملاك الرب صورة تتكرر كثيرًا لإعلان الله عن نفسه في شكل بشري ولأغراض خاصة، وقد جاء في كثير من النصوص دلالة على أن الله وملاك الله هما نفس الشيء، فقد ورد على سبيل المثال في سفر التكوين: وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ (سفر التكوين، إصحاح ٢٢: ١٥- ١٦)، فملاك الرب والرب شيء واحد(وانظر أيضًا: سفر التكوين، إصحاح ١٦: ٧- ١٢، سفر الخروج، إصحاح ٣: ٢ - ٤).

[٣١] انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣٢: ٢٤- ٢٨، والغريب في الأمر أن يعقوب الذي سأل الرب عن اسمه يسمي المكان الذي صارع فيه الرب "فَنِيئِيلَ" ويعلل هذه التسمية قَائِلاً: "لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي" وهذا في المقطع الذي يلي مقطع المصارعة مباشرة، ودون أن يخبره أحد أن الذي كان يصارعه هو الرب، وقد رفض الرب أن يخبره عن اسمه! (سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، ٣٠).

ووعده أن يعطيه الأرض المباركة ويكثر نسله حتى يكونوا عدد رمل البحر الذي لا يعد كثرة[٣٢].

ويعقوب عليه السلام نبي من أنبياء الله، فكيف لا يعرف إلهه الذي يعبده، وربه الذي يتضرع إليه ويقيم له المذابح شكرًا على نعمه، وقد كان قبل حادث المصارعة بقليل يناجيه قائلاً: يَا إِلهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ أَبِي إِسْحَاقَ، الرَّبَّ الَّذِي قَالَ لِيَ: ارْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ، صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ أَلْطَافِكَ وَجَمِيعِ الأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَى عَبْدِكَ[٣٣]، أفبعد كل هذه المناجاة والتضرع والاعتراف يجهل ربه وإلهه فلا يعرفه، لا بل ويصارعه ويتغلب عليه كما تزعم التوراة؟!

والغريب أنك ترى التوراة في موضع آخر تذكر أن الرب قد سماه إسرائيل دون صراع أو نزاع، تقول: «وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ، وَقَالَ لَهُ اللهُ: اسْمُكَ يَعْقُوبُ، لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ، فَدَعَا اسْمَهُ إِسْرَائِيلَ»[٣٤].

ويرى بعض المؤرخين أن يعقوب عليه السلام ولد ونشأ في حاران[٣٥]، وبها أقام ثم انتقل إلى مصر بدعوة من ابنه يوسف عليه السلام، وعاش بها زمنًا ومات بها[٣٦]، وهذا ما تقرره التوراة،

---

[٣٢] انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، ٩- ١٢.

[٣٣] انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، ٩- ١٠.

[٣٤] انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣٥، ٩-١٠.

[٣٥] هي مدينة حران الحالية وقد ذكرت في التوراة باسم حاران أو فدَّان آرام، وذكرت التوراة أن إبراهيم عليه السلام أقام في حاران قبل أن ينتقل إلى أرض الكنعانيين (انظر سفر التكوين، إصحاح ١١، ٣١).

[٣٦] انظر العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، مقدمة الكتاب.

لكنها تظهر أن كل الأحداث المهمة في حياة يعقوب عليه السلام حدثت له في وادي جرار أو بئر سبع، أو مدينة شكيم بأرض كنعان[٣٧].

ولا يطمئن القلب إلى ما تقرره التوراة لأن التوراة تكثر المغالطة –والتناقض في ذات الوقت– لتثبت أن بني إسرائيل ولدوا وتربوا على أرض فلسطين وأن الله وعدهم هذه الأرض ليكون ذلك ذريعة للكيان اليهودي في اغتصاب أرض فلسطين.

والذي يبدو لي أن يعقوب عليه السلام ولد في أرض حاران ثم انتقل مع والده إلى أرض كنعان ولم يطل مكثه بها، ثم رجع إلى حاران ومكث بها أكثر من عشرين سنة، ولد له فيها جميع أولاده ماعدا بنيامين، ثم رجع إلى أرض كنعان، ثم انتقل إلى مصر ومات بها.

والدليل على ذلك ما قررته التوراة من أن أرض كنعان أرض غربة ليعقوب عليه السلام: «وَاللهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ، وَيَجْعَلُكَ مُثْمِرًا، وَيُكَثِّرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الشُّعُوبِ، وَيُعْطِيكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ، لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ لإِبْرَاهِيمَ»[٣٨].

فكيف يقال للأرض التي ولد، ونشأ وكبر فيها أرض غربة؟! إلا إذا كان لم يولد ولم ينشأ فيها بالفعل.

---

[٣٧] سفر التكوين، الإصحاحات: ٢٥، ٢٨، ٣١، ٣٢، وهم يركزون ويكررون هذا الأمر على الرغم من أن يعقوب عليه السلام قد ولد ونشأ في فدان أرام، ثم رجع إليها بعد أن باركه والده، وأمره أن يذهب ليتزوج إحدى بنات خاله لابان، فيذهب ويقضي بفدان أرام أكثر من عشرين سنة، يولد جميع أبنائه عدا بنيامين بفدان أرام وينشئون ويكبرون بها، لكن التوراة لا تذكر أي شيء عن هذه السنوات الطوال التي عاشها يعقوب في فدان أرام غير أنه تزوج من ابنتي خاله وولد له أبناؤه العشرة وابنته دِينَةَ، وطلبه من خاله أن يعطيه أجرته ويأذن له في الرحيل!! (سفر التكوين، الإصحاحات:٣١ – ٣٣).

[٣٨] سفر التكوين، الإصحاح ٢٨، ٣-٤.

وبنو إسرائيل هم أبناء سيدنا يعقوب الاثنا عشر:

رَأُوبَيْن وشِمْعُون ولاَوِي ويَهُوذَا ويَسَّاكَرَ وزَبُولُون من زوجته الأولى لَيْئَةَ، ويُوسُف وبَنْيَامِين من راحيل زوجته الثانية (أخت لَيْئَةَ)، ودَان ونَفْتَالِي من بلهة جارية راحيل، وجَاد وأَشِير من زِلفة جارية لَيْئَةَ[٣٩].

وقد رحلوا مع أبيهم إلى مصر لما دعاهم يوسف عليه السلام، وعاشوا في مصر، ومن ذرية هؤلاء الأبناء الاثني عشر جاء الأسباط الاثنا عشر، وتكاثروا في مصر، وعاشوا في أمان في عهد الهكسوس، فلما طرد الهكسوس استضعف المصريون بني إسرائيل واستعبدوهم، وعاش بنو إسرائيل في ذلة واستعباد لفترة ليست بالقصيرة، حتى جاء موسى عليه السلام.

المرحلة الثانية: موسى عليه السلام وبنو إسرائيل

نشأ سيدنا موسى عليه السلام في مصر[٤٠] في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأرسله الله ليدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته؛ ولينقذ بني إسرائيل من استعباد الفراعنة، فآمن به أطياف من الناس: منهم الإسرائيلي والمصري والسومري والحثي والآري والكنعاني وبقابا

---

[٣٩] سفر التكوين، الإصحاحان ٢٩و٣٠، والإصحاح ٣٥، ١٨.

[٤٠] أنكر الدكتور سهيل زكار أن يكون موسى عليه السلام نشأ في مصر، أو جاء إليها إو إلى فلسطين مطلقًا، وأنكر خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام، وأكد أن المسرح الجغرافي لقصة نشأة موسى وخروجه ببني إسرائيل هو بلاد الرفدين، ولم يحدد مكانًا بعينه في بلاد الرافدين حدثت فيه هذه الأحداث، مؤكدًا أن أحداث بني إسرائيل حتى بعد موسى وبعد داود وسليمان إنما كانت في بلاد الرافدين (انظر مقدمة تحقيقه لكتاب: التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، دار قتيبة للنشر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص٢٤ - ٣٣، وما بعدها).

الهكسوس وغيرهم من أخلاط غريبة متباينة[٤١].

ثم خرج موسى عليه السلام في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتحديدًا سنة ١٢١٤ق.م[٤٢] بمن آمن معه متجهًا على سيناء، فتبعه فرعون وجنوده فأهلك الله فرعون ومن معه، ونجى موسى ومن معه، ثم أمر الله تعالى موسى عليه السلام ومن آمن معه أن يدخلوا الأرض المقدسة، فيرفضون، ويقولون مقالتهم الشنيعة ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [سورة المائدة]، فيضرب الله تعالى عليهم التيه أربعين سنة في أرض سيناء، ثم يقودهم يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون عليهما السلام في فترة التيه، ويدخل بهم الأرض المقدسة، ثم يموت يوشع عليه السلام[٤٣].

---

[٤١] التاريخ الحقيقي لليهود، نجيب زبيب، دار الهادي، ط٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٤٥.

[٤٢] السابق، ص ٤٣.

[٤٣] وقد أنكر الأستاذ نجيب زبيب أن يكون فتى موسى هو يوشع بن نون، وانتقد كثيرًا من المفسرين كالطبري وابن كثير وابن الأثير وغيرهم ممن فسر ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ (سورة الكهف:٦٠) بأن الفتى هو يوشع بن نون؛ لأنهم في نظره لا يستندون إلى دليل في هذا التفسير، إلا ما نقلوه عن الإسرائيليات، كما زعم أن يوشع عليه السلام لم يكن له شأن يذكر، ولم يُعنَ القرآن الكريم بذكره، وهذا يدل في زعمه على أن يوشع ليس بفتى موسى، ولا هو نبي، ثم يثير مجموعة من الأسئلة حول يوشع عليه السلام ليدلل على أن يوشع شخصية غامضة لا ذكر لها في مصادرنا الإسلامية، ثم إنه سار خلف اليهود فقرر معهم ما سطروه في توراتهم المحرفة من المجازر والمذابح التي أقامها يوشع للكنعانيين رجالا ونساءً وأطفالا، وما خرب ودمر من مدن (انظر التاريخ الحقيقي لليهود، نجيب زبيب، ص٦٦ وما بعدها)، سار خلفهم وهو يعلم أن الذين كتبوا التوراة نسجوا غالب أحداثها من خيالهم المريض ونفسياتهم المعقدة وأهوائهم المنحرفة ورغبتهم الجامحة في الانتقام، والتي تصور لهم أن مملكتهم ومجدهم=

=لا يقوم إلا على جثث القتلى والدماء، هو يعلم ذلك تمامًا ومع ذلك يقرر ما يقررون، وربما كان معذورًا في ذلك لأنه على ما يبدو أن معرفته بالأصل الثاني من أصول الإسلام ومصادره وهو السنة كانت ضعيفة.

فقد جاء في السنة الصحيحة أن يوشع بن نون هو فتى موسى عليهما السلام، ففي حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «قام موسى النبي خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك. قال: يا رب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتًا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتًا في مكتل ...." الحديث (متفق عليه: رواه البخاري برقم ١٢٢، ج١، ص ٣٥، ومسلم، برقم٢٣٨٠، ج٤، ص١٨٤٧، وهو في غير الصحيحين: عند أحمد والترمذي والنسائي وأبو عوانة في مستخرجه والبيهقي في الأسماء والصفات،وغيرهم).

كما جاء في السنة كذلك أنه نبي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه ..." الحديث (متفق عليه: البخاري برقم٣١٢٤، ج٤، ص٨٦، ومسلم، برقم ١٧٤٧، ج٣، ص١٣٦٦).

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس» (رواه أحمد في مسنده برقم ٨٣١٥،ج١٤،ص٦٥،وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح على شرط البخاري، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م،برقم ١٠٧٠،ج٣، ص ٩٦، والخطيب في تاريخه، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، برقم ٢٢٢٢، ج٧، ص٤٩٧، وقال الألباني: رواه أحمد، والخطيب، وعنه ابن عساكر،=

ومن بعد يوشع يبدأ عصر القضاة، وهو نسبة إلى القضاة الذين تولوا الحكم في أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وعددهم خمسة عشر قاضيًا[٤٤]، أولهم عثنيل وآخرهم صموئيل، ولا يتفق علماء اللاهوت على تحديد مدة حكمهم إجمالاً، وذلك لاختلافهم في تحديد تاريخ الخروج من مصر، هل كان في زمن الأسرة الثامنة عشرة فتكون بداية حكم القضاة ١٣٧٠ / ١٣٦٠ قبل الميلاد، أم كان في عهد الأسرة التاسعة عشرة فتكون بداية حكم القضاة في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولأن التوراة لم تحدد هل كان القضاة الذين ذكرتهم متتابعين زمنيًا أم كان بعضهم معاصرًا لبعض كأن يكونوا في جهات مختلفة[٤٥]،

=من طريق أبي بكر بن عياش عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا (ثم قال) قلت: وهذا إسناد جيد على شرط البخاري، وقد أخرجه هو ومسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعا (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، رقم ٢٢٢٦،ج٥، ص ٢١٦)

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن نبيًا من الأنبياء قاتل أهل مدينة حتى إذا كاد أن يفتتحها، خشي أن تغرب الشمس فقال لها: أيتها الشمس إنك مأمورة وأنا مأمور بحرمتي عليك، إلا ركدت ساعة من النهار، قال: فحبسها الله حتى افتتحها»، .....، فقال كعب (يعني كعب الأحبار): صدق الله ورسوله هكذا والله في كتاب الله يعني في التوراة ثم قال: يا أبا هريرة أحدثكم النبي ﷺ أي نبي كان؟ قال: لا، قال كعب: هو يوشع بن نون (أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠،برقم ٢٦١٨، ج ٢، ص١٥١، هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي)

فهذه الأحاديث كلها تجزم بأن يوشع بن نون هو فتى موسى عليه السلام وأنه نبي من أنبياء بني إسرائيل.

[٤٤] ورد ذكرهم ومدد حكمهم في التوراة في سفر القضاة وأول سفر صمويل الأول.

[٤٥] دائرة المعارف الكتابية، القس صمويل حبيب وآخرون، دار الثقافة،ج٧، ص٢٢٥ –٢٢٦.

بينما يحدد بعض المؤرخين اليهود مدة حكم القضاة بـ ٤٥٠ عامًا[٤٦]، وبعض المؤرخين يراه لا تتجاوز المائة عام، يقول مُحَمَّد دروزة: وحساب السفر (أي سفر القضاة) يجعل حقبة القضاة نحو أربعمائة سنة، مع أنها قد لا تزيد على المائة إذا ما لاحظنا أن الملك الرسمي لبني إسرائيل قام في أواسط القرن الحادي عشر (حوالي ١٠٣٠)، وأن بني إسرائيل خرجوا من مصر أواخر القرن الثالث عشر (حوالي ١٢١٠) وأن زعامة موسى ويشوع من بعده استمرت نحو ثمانين سنة[٤٧].

وبعد انتهاء عصر القضاة يبدأ عصر الملوك، وبدايته بتولي شاؤل (الذي ذكر في القرآن باسم طالوت) ملك بني إسرائيل، ثم داود عليه السلام، ثم سليمان بن داود عليهما السلام، وبعد وفاة سليمان عليه السلام عام ٩٧٥ق.م[٤٨]، اجتمع بنو إسرائيل لتنصيب رحبعام بن سليمان ملكًا عليهم لكنهم اشترطوا عليه تخفيف بعض الأحكام التي فرضها عليهم سليمان عليه السلام فرفض فانقسم الأسباط إلى قسمين[٤٩]:

أ- سبطي يهوذا وبنيامين وهما اللذان بايعا رحبعام بن سليمان وكونا مملكة الجنوب

---

[٤٦] تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص٣١.

[٤٧] تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، مُحَمَّد عزة دروزة، ج١، ص١٤٨، وانظر أيضًا: التاريخ الحقيقي لليهود، نجيب زبيب، ص٨٣.

[٤٨] تاريخ الإسرائيليين، ص ٣٤، بينما يذكر الأستاذ نجيب وبيب أن سليمان عليه السلام مات سنة٩٢٣ ق.م.

[٤٩] أرجع شاهين مكاريوس الانقسام إلى جهل رحبعام بأساليب السياسة وإدارة المملكة، واستشارته لحدثاء الأسنان من أهل بيته وتركه للشيوخ ذوي الخبرة والحكمة (تاريخ الإسرائيليين، ص ٣٤).

(مملكة يهوذا) وعاصمتها أورشليم[٥٠].

ب- الأسباط العشرة الباقية بايعوا يربعام (أحد قواد سليمان) وكونوا مملكة الشمال (مملكة السامرة) وعاصمتها شكيم[٥١].

وكان الخلاف بين القسمين أو بالأحرى بين المملكتين على أشده، وكانت الحرب سجالا بينهما؛ مما أضعف كلا المملكتين، وجعلهما عرضة للهجمات والغزو الخارجي من جانب فراعنة مصر تارة، ومن جانب الآراميين والآشوريين، والكلدانيين تارات[٥٢]، حتى

---

[٥٠] عدد الملوك الذين حكموا هذه المملكة منذ نشأتها (عام ٩٣١ ق. م) حتى سقوطها وتدميرها على يد الملك الكلداني نبوخذ نصر (عام ٥٨٦ ق. م) عشرون ملكًا، وقد دام حكمها ٣٤٥عامًا (انظر: التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم د. سهيل زكار، ص ١١ – ١٣).

[٥١] عدد الملوك الذين حكموا هذه المملكة منذ نشأتها (عام ٩٣١ ق.م) حتى سقوطها (عام ٧٢٤ ق.م) تسعة عشر ملكًا، وقد دام حكمها ٢٠٩ عامًا (انظر في ذكر أسماء ملوك المملكتين: التاريخ الحقيقي لليهود، نجيب زبيب، ص١٦٥– ١٦٦، التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم د. سهيل زكار، ص١١– ١٣)، وذكر شاهين مكاريوس أن عدد الملوك في كل مملكة كان واحدًا وعشرين ملكًا غير أنه لما ذكر أسماءهم ذكر عشرين ملكًا في كل مملكة (تاريخ الإسرائيليين، ص ٣٥– ٣٧).

[٥٢] من سوء حظ مملكتي إسرائيل ويهوذا أنهم تقعان في الممر بين الدول المتنازعة والتي يكثر التنازع والحروب بينها، لرغبتها في الهيمنة وتوسيع رقعة مملكتها، فعرضها هذا الموقع دائمًا لأن تكون ضحية لهجوم تلك الدول خاصة عند موالاتها أو تبعيتها لدولة من تلك الدول، أو نقضها لمعاهدة –وما أكثر ما يفعل اليهود ذلك– إبرمتها مع إحدى تلك الدول، وقد أشار إلى شيء من ذلك الأب اسطفان شربنتييه في كتابه، تعرف إلى الكتاب المقدس، نقله إلى العربية الأب صبحي حمودي اليسوعي، دار المشرق، بيروت،ط١٩٨٩،٢م، ص ١٨ – ١٩.

انتهى الأمر بهجوم نبوخذ نصر الملك الكلداني على أورشليم عام ٥٨٦ق.م وتدمير المدينة وإحراق بيت المقدس، وأسر اليهود، وأخذهم إلى بابل، وهذا ما يطلق عليه المؤرخون: السبي البابلي[٥٣].

إلى هذا الزمن لم يكن لمصطلح اليهود ذكر، ولم يعرف إطلاق هذا الاسم على الأسباط.

يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس: إلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة فإنهم بعد خراب أورشليم تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها"[٥٤].

المرحلة الثالثة: عصر السبي البابلي[٥٥].

ويبدأ هذا العصر في القرن السادس قبل الميلاد، عقب السبي البابلي، فمع نهايات القرن الثامن قبل الميلاد عام ٧٢٢ق.م شن الإمبراطور الآشوري سرجون الثاني هجومًا عنيفًا

---

[٥٣] اليهودية عرض تاريخي، د. عرفان عبد الحميد فتاح، دار البيارق، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٤٢ -٤٣.

[٥٤] تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، ص ٦٣.

[٥٥] حدث هذا السبي لليهود مرتين، وكلاهما على يد الملك الكلداني نبوخذ نصر: الأول عام ٥٩٧ ق.م حيث شن هجومًا على أورشليم بسبب تمرد يهوياقيم ملك يهوذا على نبوخذ نصر بعد أن كان خاضعًا له، والثاني عام ٥٨٦ق. م حينما نقض صدقيا ملك يهوذا العهد مع نبوخذ نصر وتحالف مع ملك مصر، ومع ملوك المدن السورية والفلسطينية، فغضب نبوخذ نصر جدا وقام بنفسه على رأس حملة قوية دمر فيها أوشليم وأسر جميع اليهود ونقلهم إلى بابل (انظر: العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، ص٣١٤ - ٣١٥).

على مملكة إسرائيل (السامرة)، ودمرها تدميرًا كاملاً، وأسر أهلها ونقلهم إلى آشور، ولم يبق في فلسطين غير مملكة يهوذا التي كانت تصارع من أجل البقاء[٥٦].

لكنها لم تبق طويلاً بعد أختها إذ سرعان ما اجتاحها الملك البابلي نبوخذ نصر واستولى عليها أثناء سيره لمطاردة الملك نخاو الثاني (٦٠٩ – ٥٩٣ ق.م) ملك مصر، فصارت مملكة يهوذا خاضعة للبابليين، لكن –وعلى عادة اليهود– تمرد يهوياقيم ملك يهوذا على البابليين، فجرد إليه نبوخذ نصر حملة ضخمة وقضى على يهوياقيم ونهب أمواله وقصور يهوذا، وعين يهوياقين بن يهوياقيم ملكًا على يهوذا، لكنه سرعان ما ثار هو الأخر على البابليين مما أثار غضب نبوخذ نصر فأرسل أحد قواده على رأس حملة كبيرة لتأديبه عام ٥٩٧ ق.م، وأمره بالقبض على جميع الشباب والشخصيات البارزة ونقلهم إلى بابل، وأخذ معهم الملك يهوياقين أسيرا، وجعل عمه صدقيا ملكًا على يهوذا، وألزمه بشروط وعهود قاسية، وهذا يطلق عليه السبي البابلي الأول.

ولم يكن صدقيًا أوفى عهدًا من أخيه وابن أخيه فسرعان ما استغل انشغال نبوخذ نصر في حروبه ونقض العهود وأعلن تمرده على البابليين، مما أثار غضب الملك البابلي، فأرسل جيوشه لتجتاح أورشليم وتحرق جميع قراها ومدنها وأخذ جميع من فيها أسرى إلى بابل عام ٥٨٦ق.م، لتنتهي ممكلة يهوذا تمامًا ويسدل الستار عليها كما أسدل على مملكة إسرائيل من قبل، وهذا يطلق عليه السبي البابلي الثاني.

---

[٥٦] موجز تاريخ اليهود، د. محمود عبد الرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ١٠٧، ص٢٥٧، تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، ص ٣٥.

وقد تميزت هذه المرحلة (عصر السبي البابلي) بظاهرتين خطيرتين:

أولى هاتين الظاهرتين: ظهور لفظ "اليهود":

فقد ظهر لفظ "اليهود" في هذا المرحلة، وصار يطلق على هؤلاء الذين سبوا من مملكة يهوذا إلى بابل، والذي أطلق عليهم هذا الاسم هم الكلدانيون، وسواء أكان ذلك الاسم نسبة إلى مملكة يهوذا، أو نسبة لهم إلى يهوذا بن يعقوب عليه السلام [٥٧]، إلا إن المعروف لدى المدققين من المؤرخين أن هذا الاسم أطلق عليهم أثناء فترة السبي البابلي، والدليل على أنه لم يطلق عليهم قبل السبي البابلي أن الأسفار في التوراة قبل عزرا لم تستخدم كلمة اليهود أو مصطلح اليهود وأول من استخدمه هو عزرا كاتب التوراة (هو المعروف في القرآن باسم عزير)[٥٨].

---

[٥٧] يرى الدكتور صابر طعيمة أن اسم اليهود أطلق عليهم نسبة إلى يهوذا، الابن الرابع ليعقوب عليه السلام، الذي أوصى له أبوه بأن يكون هو قائد إخوته، فلما تولى أمرهم أطلق اسم يهوذا أو يهوذ على الذين رضوا من إخوته وذراريهم أن يكونوا تحت إمرته، بينما يرى الاستاذ رجا عبد الحميد عرابي أن الاسم هو نسبة إلى مملكة يهوذا وليس إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام (انظر: تاريخ اليهود العام، د. صابر طعيمة/ دار الجيل،بيروت، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٣٤، سفر التاريخ اليهودي، رجا عبد الحميد،دار الأوائل، دمشق، ط٢، ٢٠٠٦، ص٢٣٠).

[٥٨] أطلق اسم اليهود على أتباع مملكة يهوذا المنفيين إلى بابل، لأن الملك سرجون الثاني حينما قضى على مملكة السامرة أجلى أسباط السامرة العشرة إلى ناحية حران ومنطقة الخابور وكردستان (شرق تركيا الآن)، وعاش هؤلاء المنفيون في مناطق جبلية، لكنهم سرعان ما اندمجوا في أهل هذه المناطق، ثم إنهم تنصروا في عهد انتشار المسيحية الأول ومذهبهم هو المذهب النسطوري، ولم يبق على يهوديته منهم إلا قلة قليلة.

الظاهرة الثانية: تدوين التوراة:

فبعد أن نفي سبطا بنيامين ويهوذا إلى بابل كونوا مجمعًا أطلق عليه السنهدرين، عدد أعضائه مائة وعشرون عضوًا، من بينهم عزرا ونحميا وزكريا وحجاي وانشغلوا في منفاهم بجمع التوراة التي فقدت من قبل، ثم زعموا أنهم عثروا على الأصل المفقود لها، ثم جمعها عزرا الكاتب الهاروني وبلور معتقداتها وقواعدها، وأظهرها للناس في تسعة وثلاثين سفرًا[٥٩]، وهي تختلف عن الشريعة التي أنزلت على موسى عليه السلام قبل ثمانمائة عام من السبي البابلي[٦٠].

يقول السموأل بن يحيى المغربي[٦١]: فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي في أيديهم؛ ...، فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا، وليست كتاب الله[٦٢].

حتى هذه التوراة التي كتبها عزرا ضاعت هي الأخرى بسبب الحوادث الجسام التي

---

[٥٩] انظر التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، حامد عيدان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٠٧، سفر التاريخ اليهودي، رجا عبد الحميد، ص٢٣٠.

[٦٠] وضع موسى عليه السلام التوراة واللوحين في التابوت، ولكن لما فتح التابوت في عهد سليمان عليه السلام لم توجد فيه نسخة التوراة، فلم يجدوا إلا اللوحين، كما جاء في سفر الملوك الأول(إصحاح ٨: ٩).

[٦١] السموأل بن يحيى بن عباس المغربي: مهندس رياضي، عالم بالطب والحكمة، أصله من المغرب، سكن بغداد مدة، وانتقل إلى فارس، وكان يهوديا فأسلم، ومات في المراغة(بأذربيجان) سنة٥٧٠هـ - ١١٧٥م تقريبًا.

[٦٢] بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى المغربي، دار القلم - دمشق، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص ١٣٤.

تعرض لها اليهود وبخاصة ما حدث لهم على يد تيطس ابن فاسباسيان سنة ٧٠ من ميلاد المسيح عليه السلام.

كما دونت الشروح على التوراة كالمنشا والتلمود (هو دراسة لتعاليم التوراة التي جمعها عزرا، وتدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية).

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أن اليهود ليسوا بني إسرائيل (الاثني عشر سبطًا)، لكنهم بقايا من بني إسرائيل مع من آمن مع موسى عليه السلام من المصريين ومن دخل في اليهودية من الكنعانيين والآشوريين والكلدانيين والخرز وغيرهم.

كما يتبين أن اليهود ليسوا أتباع موسى عليه السلام؛ لأنهم قد انحرفوا عن شريعته انحرافًا كبيرًا، حتى إن التوراة لم تكتب بعد أن فقد الأصل إلا بعد موسى عليه السلام بثمانمائة عام، ولنا أن نتخيل ما دخل عليها من التحريف والتبديل حتى إن إرميا النبي قد اعترف بهذا التحريف والتبديل صراحة في السفر المسمى باسمه، يقول: «وَإِذَا سَأَلَكَ هذَا الشَّعْبُ أَوْ نَبِيٌّ أَوْ كَاهِنٌ: مَا وَحْيُ الرَّبِّ؟ فَقُلْ لَهُمْ: أَيُّ وَحْيٍ؟ إِنِّي أَرْفُضُكُمْ، هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ، ...، أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ، لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِنَا، ...، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ قَائِلاً لاَ تَقُولُوا: وَحْيُ الرَّبِّ»[٦٣].

والأدهى والأمر أن هذه التوراة المحرفة قد طالتها يد الإبادة والفناء بسبب ما تعرض له اليهود من الأحداث الجسام والتنكيل والتشريد؛ بسبب أخلاقهم وخياناتهم المتكررة ونقضهم للعهود.

---

[٦٣] سفر إرميا، الإصحاح ٢٣: ٣٣ – ٣٨.

يقول جان ملنر الكاثوليكي: "اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد القديم ضاعت من أيدي عسكر بخت نصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة أنتيوكس"[٦٤].

وقد أدى بهم هذا الأمر إلى أنهم اتخذوا آلهة من دون الله، وكانت هذه الآلهة في الغالب معبودات للبلاد التي يحلون بها، ويندمجون مع أهلها[٦٥].

---

[٦٤] إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق وتعليق محمد خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ج٢، ص٤٤٩.

[٦٥] من أجل هذا فإنني حينما أستخدم لفظتي: "الرب، الإله" لا أقصد بذلك ذات الله تعالى المتصف بصفات الكمال والجلال، المنزه عن كل نقص وعيب، ولكني أقصد إله اليهود وربهم المزعوم المتصف بصفات النقص والضعف والخذلان، الذي لا يتورع أن يأمر عباده بالشر والرذيلة؛ لذلك فأنا لا أذكر هذا الإله باسم "الله"؛ لأن هذا اللفظ علم على الخالق وحده جل وعلا، ولكني أذكره بلفظ "الرب، الإله، أو الرب الإله لسببين:

أولهما: أن هذين اللفظين قد يطلقان على غير الله تعالى، وإن كان بعض العلماء قال إن هذين اللفظين إذا دخلت عليهما الألف واللام صارا خاصين بالله تعالى وحده، دالين على ذاته سبحانه.

ثانيهما: أن التوراة غالبًا ما كانت تستخدم هذين اللفظين في الدلالة على معبود اليهود، فأنا أذكرهما كما ذكرتهما من قبيل التنزل.

وكذلك إذا ذكرت التوراة فإنني لا أقصد بها الكتاب الإلهي الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، وإنما أقصد بها كتابهم المحرف الذي ألفه أحبارهم مما أوحته لهم شياطينهم وأملته عليهم أهواؤهم.

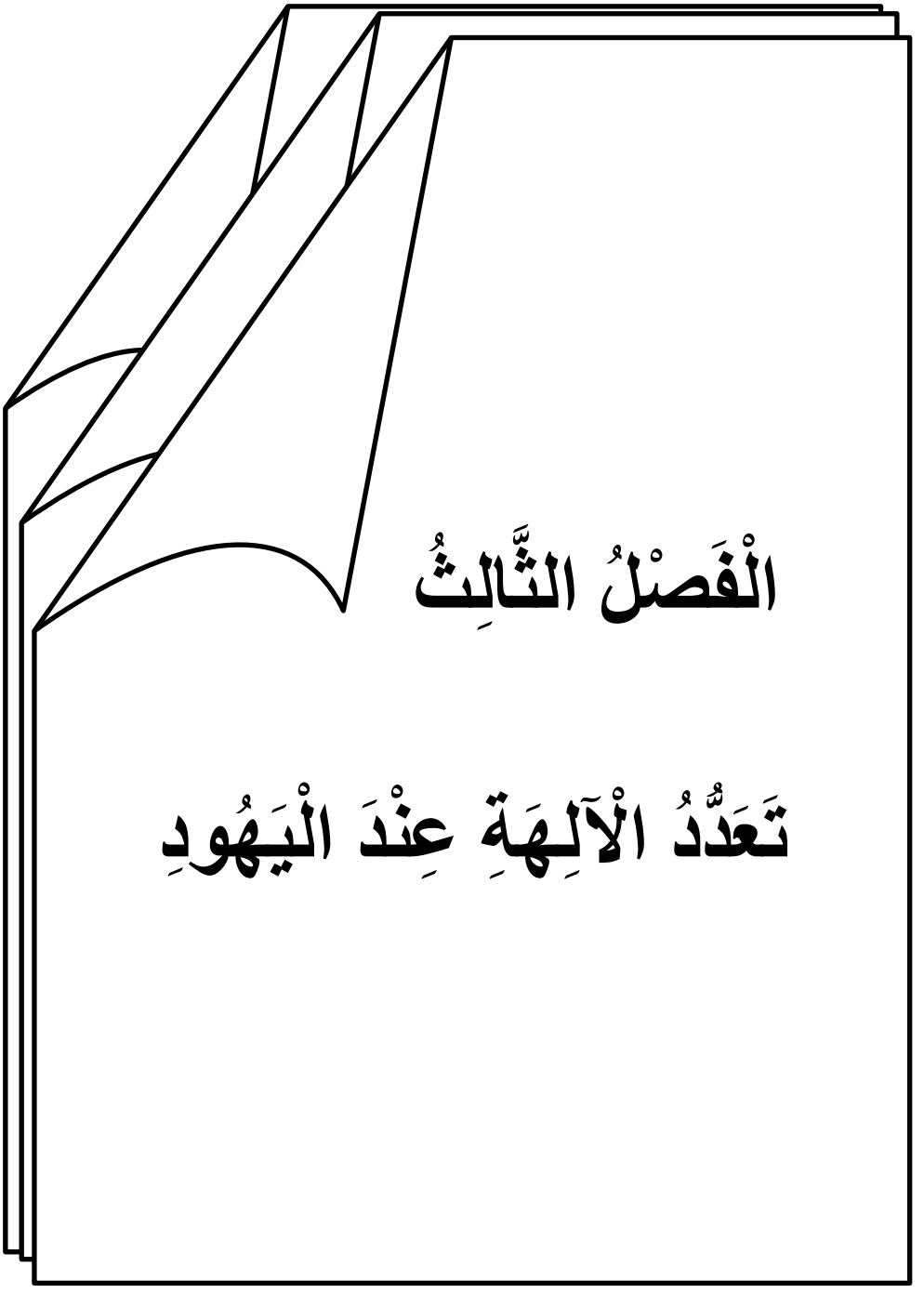

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

تَعَدُّدُ الْآلِهَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ

فكرة تعدد الآلهة فكرة قديمة جدًا، كانت تنتشر بين بعض الأفراد والجماعات في أماكن مختلفة، حيث كانوا يؤمنون بوجود آلهة كثيرة، لكنهم كانوا يعتقدون أن أحد هذه الآلهة هو الإله الأعلى الذي يسمو فوق الآلهة الأخرى ويهيمن على الجميع، وإليه وحده دون غيره يتوجهون بالعبادة، لكن مع تطور الحضارات وتغير الثقافات، بدأت تظهر أفكار أخرى من أبرزها فكرة وحدة الوجود، وهي التطور الطبيعي لفكرة تعدد الآلهة، فبدلاً من أن يكون هناك إله أعلى وآلهة كثيرة أخرى معه اعتقد الناس أن هذه الآلهة المتعددة ما هي إلا ظهورات وأشكال لهذا الإله الأعلى الذي يسمو على جميع الآلهة، وخير مثال على ذلك الهند، حيث عبد الهنود براهما باعتباره الإله الأعظم والأسمى من كل الآلهة، وكل الآلهة ما هي إلا أشكال وظهورات له.

لم يكن اليهود بمنأى هذه الأفكار التي تنتشر بين من يجاورهم من الناس، كما لم يكونوا بعيدين عن الطبيعة البشرية التي تميل إلى الركون إلى قوة عليا تفوق حدود القوة البشرية تلتمس فيها الحماية والنصرة أمام قوى الطبيعة التي تعجز عن مواجهتها، وتلجأ إليها عند المصائب والشدائد، وتلوذ بها لدرء المخاطر والأهوال، وتستعين وتتوسل إليها لتحقيق الآمال والمطامع.

لذا نجدهم يتحدثون أحياناً عن إله واحد قادر قوي مهيمن، وأحياناً أخرى يتحدثون عن آلهة متعددة، وأرباب كثيرة، ففي سفر التكوين: وَقَالَ لَهُ اللهُ (أي لإسرا ئيل): أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ[٦٦].

وفي سفر الخروج: وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ[٦٧].

---

[٦٦] سفر التكوين، إصحاح ٣٥: ١١.

[٦٧] سفر الخروج، إصحاح ١٦: ١٢.

وفي سفر اللاويين: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا»(٦٨).

وفي سفر العدد: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا، أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ»(٦٩).

وفي سفر إشعيا: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي(٧٠).

وفي مواضع أخرى كثيرة غير ما ذكرت.

وحديثهم عن التوحيد نجده غالبًا في عصور وجود الأنبياء فيهم، مثل موسى وهارون، وداود وسليمان عليهم السلام جميعًا، غير أننا نلحظ أنهم حتى في عصور توحيدهم كانت تطيش بكثير منهم أهواء النفوس فتستدعى الثقافة الراسخة في نفسه، فتظهر لنا حقيقة تصوره للإله الواحد الذي يعبده.

فهو يعبد إلهًا واحدًا لكنه يتصور هذا الإله مجسمًا في صورة العجل أو الوثن أو الشمس أو غير ذلك(٧١).

---

(٦٨) سفر اللاويين، إصحاح ٢٥: ٣٨.

(٦٩) سفر العدد، إصحاح ١٦: ٤١

(٧٠) سفر إشعيا إصحاح ٤٤: ٦.

(٧١) لا بد من التنبيه هنا على شيئين:

أولهما: أن وجود هذا الإنحراف في التوحيد والعبادة لا ينفي وجود الفئة أو القلة المؤمنة الموحد توحيدًا خالصًا، ولا نجانب الصواب إذا قلنا بوجود هذه الفئة في كل عصر من العصور=

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئًا فشيئًا، ويتخلص من شوائب النقص والتجسيم، كما يبدو ذلك في أحداث أسفار توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين، غير أنه قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم إلهًا خاصًا بهم، وهو إله إسرائيل، وأنهم هم أولاده وأحباؤه، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى، ولم يتخلص إلههم هذا كل التخلص من جميع صفات الحوادث بل ظل عالقًا به في نظرهم بعض هذه الصفات[٧٢].

لكن مع هذا تجدهم أيضًا في مواضع كثير يذكرون ألهة وأربابًا متعددة، ففي سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ، فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ»[٧٣].

فالرب الإله يخبر أن آدم الإنسان قد صار كواحد منا أي من الآلهة ثم يطرده من جنات عدن ليعمل ويكدح في الأرض حتى لا تمتد يده لشجرة الحياة فيأكل منها فيحيا إلى

=**ثانيها**: أننا نذكر نصوصًا من التوراة فيها قول منسوب لموسى عليه السلام أو من كانوا في عصره ونبني عليه أحكامًا مع إننا نتكلم عن إله اليهود، وقد جزمنا أن اليهود قد كانوا بعد موسى عليه السلام بزمن، وإنما فعلنا ذلك لسبب رئيس هو أن التوراة كتبت في نفس العصر الذي وجد فيه مصطلح اليهود فصورت أهواء كاتبيها، وإن كان الكلام على لسان موسى عليه السلام، وسبب آخر هو أن هؤلاء الذين كانوا مع موسى عليه السلام هم أصول في الغالب لهؤلاء الذين نتحدث عنهم.

[٧٢] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي،مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص ٢٧.

[٧٣] سفر التكوين، إصحاح ٣: ٢٢ - ٢٣.

الأبد وتصير له الطبيعة الإلهية.

وهذا القول يستلزم أن يكون هناك أكثر من إله، يقول ابن حزم: "حكايتهم عَن الله تَعَالَى أَنه قَالَ هَذَا آدم قد صَار كواحد منا مُصِيبَة من مصائب الدَّهْر وَمُوجب ضَرُورَة أَنهم آلِهَة أَكثر من وَاحِد وَلَقَد أدّى هَذَا القَوْل الْخَبيث المفتري كثيرا من خَواص الْيَهُود إِلَى الِاعْتِقَاد أَن الَّذِي خلق آدم لم يكن إِلَّا خلقا خلقه الله تَعَالَى قبل آدم وَأكل من الشَّجَرَة الَّتِي أكل مِنْهَا آدم فَعرف الْخَيْر وَالشَّر ثمَّ أكل من شَجَرَة الْحَيَاة فَصَارَ إِلَهًا من جملَة الْآلِهَة نَعُوذ بِاللَّه من هَذَا الْكفْر الأحمق"[٧٤].

بل إنهم أوردوا في أسفارهم المحرفة أن هذا التعدد قد جاء صراحة مقررًا ومعترفًا به على لسان اثنين من كبار أنبيائهم، وهما موسى وسليمان بن داود عليهم السلام[٧٥]، فقد جاء في سفر الخروج في ترنيمة لموسى عليه السلام يخاطب الرب: «مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟»[٧٦].

وقال سليمان: «وَالْبَيْتُ الَّذِي أَنَا بَانِيهِ عَظِيمٌ لأَنَّ إِلهَنَا أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الآلِهَةِ»[٧٧].

بل الأغرب والأدهى أن الرب نفسه الذي هو إله قد جعل موسى إلهًا لفرعون، فها هو يقول لموسى إنني قد جعلتك إلهًا وجعلت هارون نبيًا لك: فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ، وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ[٧٨].

---

[٧٤] الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ص ٩٧.

[٧٥] وهذا من البهتان والافتراء على هذين النبيين العظيمين، فموسى وسليمان بل وكل الأنبياءعليهم السلام لم يعرفوا ولم يعترفوا بإله غير الله الواحد الأحد جل وعلا.

[٧٦] سفر الخروج، إصحاح ١٥: ١١.

[٧٧] سفر أخبار الأيام الثاني، إصحاح٢: ٥.

[٧٨] سفر الخروج، إصحاح ٧: ١.

وجاء في المزامير: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ[٧٩].

فإذا ما طالعت كتبهم لتعلم ما المقصود بقولهم: قال الرب لربي وجدتهم يفسرونها بقول الرب الإله لملاك الرب الذي بلغ رتبة الآلهة، فتعجب لذلك أشد العجب: فإذا كان قد بلغ رتبة الآلهة فهو إذًا إله فيكون هناك أكثر من إله معبود!.

قال ابن حزم في التعليق على هذا القول الغريب: هذا كالذي قبله في الجنون والكفر ورب فوق رب ورب يقعد عن يمين رب ورب يحكم على رب ونعوذ بالله من الخذلان[٨٠].

وفي المزمور الثاني والثمانين: «اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ الله، فِي وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي: حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْرًا وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟»[٨١].

قال ابن حزم: "وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج مجتمع الآلهة وقيام الله بينهم ووقوفه في وسط أصحابه ما شاء الله كان إلا أن هذا أخبث من قول النصارى لأن الآلهة عند النصارى من ثلاثة وهم عند هؤلاء السفلة الأرذال جماعة"[٨٢].

كل هذا الكفر والحماقات تحدث من أناس قد أرسل الله إليهم كثيرًا من الرسل والأنبياء لتأخذ بأيديهم إلى طريق التوحيد والهداية والنجاة – لكنهم لم يسيروا على ما رسمته لهم رسلهم وأنبياؤهم ودعتهم إليه من عبادة الله تعالى وتوحيده والإخلاص له، إنما عبدوا آلهة

---

[٧٩] المزامير، مزمور ١١٠: ١.

[٨٠] الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ج ١، ص ١٥٤.

[٨١] المزامير، مزمور ٨٢: ١

[٨٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ج١، ص ١٥٤.

متعددة، فكانوا كلما نزلوا أرضًا يُعبد فيها إلهٌ عبدوا ذلك الإله، بل إذا جاوروا قومًا أو مروا بقوم يعبدون إلهًا عبدوه معهم أو مالوا إلى تقليدهم، كما حدث لهم عندما نزلوا أرض كنعان واحتكوا بالكنعانيين، إذ سرعان ما عبدوا البعل وسجدوا له، كما عبدوا الإله مولك إله العمونيين وسجدوا له كذلك، وعبدوا عشتاروث إلهة الخصب والنماء عند الكنعانيين.

يقول ديورانت: "كان اليهود في ظهورهم على مسرح التاريخ بدوًا رحلاً، يخافون شياطين الهواء، ويعبدون الصخور، والماشية والضأن وأرواح الكهوف والجبال"[٨٣].

وعندما عبر بهم موسى عليه السلام إلى سيناء بعد أن أهلك الله عدوهم أمام أعينهم، وأراهم معجزة باهرة، لم تحدث لأمة قبلهم، لكنهم ما كادوا يطئون أرض سيناء حتى مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا إلهًا كآلهة هؤلاء القوم، ولم تهدأ بهم الأهواء حتى اتخذوا العجل وعبدوه.

بل إن موسى عليه السلام نسف العجل وأحرقه ودمره أمام أعينهم، وأعدم –على حسب ما ذكرته التوراة– ثلاثة آلاف ممن عبدوا العجل[٨٤].

وقد ظلت عبادة العجل راسخة عالقة في أذهان اليهود قرونًا طويلة بعد موسى عليه السلام تظهر لديهم الفينة بعد الفينة، يقول وِل ديورانت: ".. لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل"ثم أكمل كلامه معللاً ذلك ..."؛ لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية

---

[٨٣] قصة الحضارة وِل ديورنت، ترجمة مُحَمَّد بدران، دار الجيل للنشر، بيروت، ج٢، ص ٣٣٨.

[٨٤] ولا أدري لماذا لم يعدم موسى أخاه هارون؛ فالتوراة تزعم أن هارون عليه السلام هو الذي صنع لهم العجل وأمرهم بعبادته! (سفر الخروج، إصحاح ٣٢: ٢٣ – ٢٤)، وهذا كذب وافتراء على هارون عليه السلام؛ فالأنبياء لا يدعون الناس إلى عبادة غير الله تعالى أبدًا.

في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمنًا طويلاً يتخذون هذا الحيوان آكل العشب رمزًا لآلهتهم، وإنا لنقرأ في سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، الآيات ٢٥-٢٨ كيف أخذ اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبي(٨٥).

فبعد موسى عليه السلام بمئات السنين لما خاف يربعام الملك من غضب الشعب ورجوعه إلى رحبعام بن سليمان ملك يهوذا، سيكون مصيره في هذه الحال هو القتل، صنع لشعبه عجلاً ذهبيًا لعبادته حتى لا يتعبوا أنفسهم بالصعود إلى أورشليم، جاء في سفر الملوك: «فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لَهُمْ: كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَوَضَعَ وَاحِدًا فِي بَيْتِ إِيلَ، وَجَعَلَ الآخَرَ فِي دَانَ»(٨٦).

بل إنهم قد عبدوا الشمس مثلما عبدها غيرهم، يقول حزقيال: «... وَإِذَا عِنْدَ بَابِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، بَيْنَ الرِّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ، نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً ظُهُورُهُمْ نَحْوَ هَيْكَلِ الرَّبِّ وَوُجُوهُهُمْ نَحْوَ الشَّرْقِ، وَهُمْ سَاجِدُونَ لِلشَّمْسِ نَحْوَ الشَّرْقِ»(٨٧).

وخلاصة القول: إن فكرة تعدد الآلهة كانت راسخة في أذهان اليهود ونفوسهم، ولم يتخلوا عنها في أي عصر من عصور حياتهم، حتى وإن قالوا بالتوحيد فهذا القول لا يحمل إلا معنى واحدًا هو أن لهم إلهًا واحدًا، مع وجود آلهة أخرى للشعوب الأخرى.

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: إن هذه أسفار لتدل على أنهم كانوا يعتقدون تعدد الآلهة، فكانوا يرون أن ثمة إلهًا خاصًا بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب

---

(٨٥) قصة الحضارة، ديورانت، ج٢، ص٣٤٠.

(٨٦) سفر الملوك الأول، إصحاح ١٢: ٢٨ - ٢٩.

(٨٧) سفر حزقيال، إصحاح ٨: ١٦.

الأخرى[٨٨].

يقول د. عبد المنعم فؤاد: "وعلى ذلك يتضح أن اليهود ما عرفوا الرب الواحد معرفة صادقة، وإنما جل فكرتهم عن الإله أنه واحد من الآلهة الأخرى، إلا إن الذي يميزه عن غيره أنه يخص اليهودي بخصائص البنوة والترقي فوق الشعوب الأخرى"[٨٩].

يقول إنجنل: "إن الوحدانية التي كانوا يدركونها في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير، لكنها كانت وحدانية تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب"[٩٠].

وفي نظري؛ أن ميل اليهود الشديد إلى فكرة تعدد الإلهة حتى صار في فترة من الفترات لكل قوم منهم إلههم الخاص راجع إلى عدة أسباب من أهمها:

أولاً فساد اعتقادهم في الله تعالى، وفي اليوم الآخر، وسوء نظرتهم إلى أنبيائهم:

فقد نسبوا لله تعالى ما يأنف أحدهم أن ينسب له، فهو يتعب بعد خلق السموات والأرض ويحتاج أن يرتاح، ويندم على أفعاله، فقد ندم أشد الندم على خلق البشر، كما أنه يمرض حتى تعوده الملائكة، ويبكى حتى ترمد عيناه من كثرة البكاء، لما رأى من معاصي البشر، وعجز عن منعهم،.وينزل إلى الأرض ليصارع يعقوب عليه السلام، ويظل طوال الليل يحاول أن يتغلب عليه أو يفلت من قبضته لكنه يعجز عن ذلك، كما نسبوا له الكذب، إلى غير ذلك من صفات العجز والضعف.

---

[٨٨] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص ٢٧.

[٨٩] قضية الألوهية في الأسفار اليهودية، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١١.

[٩٠] نقلاً عن: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص ١١٧.

وطالما أن الإله في اعتقادهم بهذا الضعف والعجز، وبهذه الصفات السيئة، فهو لا يصلح لأن يكون إلهًا يحتمى به ويُلجأ إليه ليدفع عنهم المخاطر، ويحقق لهم الآمال، فكان من الطبيعي أن يبحثوا عن إله آخر يجدون فيه القوة والغلبة والحماية.

لذا قال الله تعالى في شأنهم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام].

وغضب الله تعالى عليهم ولعنهم على لسان رسله، فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [سورة المائدة].

كما إنهم لم تكن عندهم ثقة في الله، ولا في موعوده ونصره ورزقه لهم وقد وعدهم النصر والرزق الوفير، لكن لسوء معتقدهم في ربهم ظنوا أن الله تعالى أراد بهم الشر والسوء لما أخرجهم من مصر ونجاهم من الذل والاستعباد؛ إذ ظنوا أنه أمرهم بالخروج ليهلكهم ويميتهم جوعًا تقول التوراة: فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ، نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ، فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ؛ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ[٩١].

وسوء اعتقادهم في اليوم الآخر بزعمهم أنهم هم فقط على الحق والهداية وغيرهم على الباطل والضلال والكفر، فقالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ١٣٥﴾ [سورة البقرة] ويزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود، فقالوا ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ١١١﴾ [سورة البقرة]، وأن اليهودي لن يدخل النار ولو كان عاصيًا،

[٩١] سفر الخروج، الإصحاح السادس عشر: ١-٣.

وإن دخلها فإنه سيدخلها أيامًا معدودة ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [سورة البقرة].

وزعمهم أن النبوة لا يستحقها إلا من كان يهوديًا، ويرشحونه هم للنبوة؛ لذلك إذا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون.

فهذا الاعتقاد دفعهم إلى التهاون في العبادة واتباع الهوي، والاستهانة بالأنبياء وعدم الاكتراث بهم ولا بتعاليمهم، فكان طبيعيًا بعد ذلك ألا يجدوا غضاضة في التقرب لآلهة من يجاورونهم فيتقربون إليهم، ثم تأتي بعد ذلك الخطوة التي تلي هذا التقرب، وهي السجود لهذه الآلهة وبناء المذابح لها.

ثانيًا تَرَسُّخُ فكرة الحلول عندهم:

والتي تعني أن الرب يحل في مخلوقاته ويتماهى معها ويتوحد بها ليصير العالم كله جوهرًا واحدًا، فصاروا يرون إلههم في كل شيء، يرونه في الشجر والحجر والوثن، ومن مظاهر ذلك تقديسهم لقبور الآباء والأجداء وقدموا لها القرابين في مناسبات معينة[٩٢]، والاحتفاظ بالتماثيل الصغيرة التي كانت تسمى(ترافيم)، وإن علل بعض الباحثين اتخاذهم لهذه التماثيل بأنه نوع من التبرك[٩٣].

وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ

[٩٢] سفر إشعيا، إصحاح ٦٥: ٤.

[٩٣] اليهودية، لمحمد بحر عبد المجيد، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ص ١١.

ءَالِهَةٌ ﴿١٣٨﴾﴾ (سورة الأعراف)، ثم اتخذوا العجل الذي صنعوه بأيديهم، لأنهم -بضلالهم- رأوا إلههم في العجل، فقالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ (سورة طه).

وقد قررت التوراة في أكثرَ من موضع هذا التعدد في معبودات اليهود وآلهتهم، واعترفت بأنهم عبدوا آلهة أخرى كثيرة غير إله إسرائيل الذي نجاهم وأخرجهم من أرض مصر، جاء في سفر إرميا: «وَيَكُونُ حِينَ تَقُولُونَ لِمَاذَا صَنَعَ الرَّبُّ إِلهُنَا بِنَا كُلَّ هذِهِ؟ تَقُولُ لَهُمْ: كَمَا أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً غَرِيبَةً فِي أَرْضِكُمْ، هكَذَا تَعْبُدُونَ الْغُرَبَاءَ فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَكُمْ»[٩٤].

وجاء فيه كذلك: «كَيْفَ أَصْفَحُ لَكِ عَنْ هذِهِ؟ بَنُوكِ تَرَكُونِي وَحَلَفُوا بِمَا لَيْسَتْ آلِهَةً»[٩٥].

بل في مملكة يهوذا -والتي كان فيها سبطان فقط من الأسباط الاثني عشر- كانت الإلهة بعدد مدنها، أي إن كل مدينة كان لها إلهها الذي تعبده والذي يختلف عن إله المدينة المجاورة لها -وهذا حسب ما تحكيه التوراة-، جاء في سفر إرميا: «لأَنَّهُ بِعَدَدِ مُدُنِكَ صَارَتْ آلِهَتُكَ يَا يَهُوذَا، وَبِعَدَدِ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَضَعْتُمْ مَذَابِحَ لِلْخِزْيِ، مَذَابِحَ لِلتَّبْخِيرِ لِلْبَعْلِ»[٩٦].

وجاء في سفر القضاة: ٦ «وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلِهَةَ أَرَامَ وَآلِهَةَ صِيدُونَ وَآلِهَةَ مُوآبَ وَآلِهَةَ بَنِي عَمُّونَ وَآلِهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ»[٩٧].

وفيه كذلك: «وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ

---

[٩٤] سفر أرميا، إصحاح ٥: ١٩.

[٩٥] سفر أرميا، إصحاح ٥: ٧.

[٩٦] سفر أرميا، إصحاح ١١: ١٣.

[٩٧] سفر القضاة، إصحاح ١٠: ٦.

إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا»[٩٨].

وقد أشارت دائرة المعارف الكتابية إلى أن ميل إسرائيل المستمر للذهاب وراء آلهة أخرى ظهر لأول مرة في سيناء[٩٩]، وحذرهم موسى عليه السلام مرارًا وتكرارًا تحذيرًا شديدًا من عبادة غير إله إسرائيل[١٠٠]، وصرخ فيهم هوشع وحزقيال محذرين، لكن اليهود انجرفوا وراء طقوس المؤابيين وآلهة الكنعانيين والعمونيين فعبدوها وسجدوا لها وأقاموا لها المذابح، وقد ذكر سفر القضاة قصة تكرار ارتدادهم وعقوبات الرب لهم في كل مرة[١٠١].

ولعل هذا يفسر لنا كثرة الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى فيهم؛ لردهم إلى جادة التوحيد كلما أصابهم انحراف في مفهوم الألوهية، ويفسر لنا كذلك ما قرره القرآن الكريم في أكثر من موضع من قتلهم الأنبياء، وكثرة أسئلتهم ومجادلتهم واختلافهم عليهم[١٠٢].

ثالثًا الطبيعة اليهودية التي تشعر في داخلها بالضآلة والخوف والضعف وشدة الحرص على الحياة:

فاليهود لشدة ما كانوا يشعرون بالضعف والخوف، ولشدة تعلقهم وحرصهم على

---

[٩٨] سفر القضاة، إصحاح ٢: ١١ – ١٣.

[٩٩] دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٣٩٧.

[١٠٠] على الرغم من أن اليهود اتهموا موسى عليه السلام بأنه صنع لهم أفعى من نحاس (سفر العدد، إصحاح ٢١: ٧– ٩).

[١٠١] سفر القضاة إصحاح ٢: ١٢، ١٧، ١٩،إصحاح ٨:٥، إصحاح١٠: ٦، ٧.

[١٠٢] انظر: آل عمران: ١٨١، النساء: ١٥٥، وانظر في مجادلتهم وعنادهم قصة البقرة في سورة البقرة: ٦٧ – ٧١.

الحياة وإن كانت حقيرة ذليلة، فقد بحثوا في شتى مراحلهم عن الإله الذي يكون سندًا وعونًا لهم في ملماتهم ومصائبهم، يحميهم ويدافع عنهم ويقهر عدوهم، ويكون دائما في نصرتهم حتى وإن كانوا مخطئين وهذه الطبيعة جعلتهم دائما يبحثون عن الإله الذي يعتقدون فيه القوة[١٠٣].

لذلك ترسخ في داخلهم إلههم الخاص بهم الذي تخضع له قوى الطبيعة، ويظهر وسط الرعد والبرق، ويزلزل الجبال وتمطر السماء عند ظهوره[١٠٤]، وهو مع ذلك يفضل اليهود على جميع أجناس البشر، ويساندهم وينا صرهم ويقاتل عنهم وينتقم من عدوهم؛ لأنه إله حرب وجيوش[١٠٥].

رابعًا: فساد فطرة اليهود وأخلاقهم الخبيثة:

فقد انفرد اليهود بطبيعة تأصلت فيها محبة المعصية، والحرص عليها والتحايل بكل وسيلة للوصول إليها، كما تأصل في داخلهم التمرد واتباع الهوى، وحب الشر والكذب والخداع والخسة والمكر، إلى آخر ذلك من الأخلاق الخبيثة حتى صار كل هذا طبيعة راسخة فيهم، كلما أرادوا أن يتخلصوا من شيء منها عادوا إليه كأشد ما يكون وأبشع، نفوسهم ميالة ميلاً جارفًا إلى الضلال والانحراف والأهواء، حتى وصفهم حبرهم العظيم وابن حبرهم: عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما أسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[١٠٦].

---

[١٠٣] انظر: اليهودية، محمد بحر عبد المجيد، ص ٩ – ١١.

[١٠٤] سفر القضاة، الإصحاح الخامس: ٤ – ٥.

[١٠٥] كثيرًا ما استخدمت التوراة كلمة " رب الجنود " كتعبير عن قيادة الرب لهم وتدبير أمر حربهم(انظر مثلا: سفر صمويل الأول، إصحاح ١: ٣)

[١٠٦] رواه البخاري في صحيحه، برقم ٣٣٢٩، ج٤،ص١٣٢، قال العلامة مصطفى البغا معلقًا: بهت: جمع بَهُوت، وهو كثير البهتان وهو أسوأ الكذب أي كذابون ومارون لا يرجعون إلى الحق.

وهذه الكلمة (قَوْمٌ بُهُتٌ) فيها ما فيها من الوصف لما يستقر في دواخل قلوبهم وأعماق نفوسهم من الضلال والشر والأهواء والكذب والخداع.

مما جعلهم ينغمسون في الشهوات والملذات، فأتوا منها ما تنفر منه البهائم العجماء، والتمسوا للوصول إلى أهوائهم وشهواتهم كل وسيلة وحيلة، وأكتفي للتدليل على فساد طبيعتهم وخبث أخلاقهم وانغماسهم في الشهوات ولهثهم خلف أهوائهم بمثالين:

المثال الأول من كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة النساء].

ففي هاتين الآيتين يخبرنا الله تعالى بوقوع بني إسرائيل في ثلاث طامات، كلها من قبيل العناد والكفر، والإلحاد واتباع الأهواء:

أولاها: بينها ابن جريج في قوله: سألوه (أي النبي ﷺ) أن ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد[١٠٧].

والثانية: أن موسى عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله وحده فعاندوه وطغوا حتى قالوا له أرنا

[١٠٧] تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٣٩٥

الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وضلالهم، ثم تاب الله عليهم وأراهم من الآيات الواضحات وأسبغ عليهم النعم، لكنهم لعتوهم وتمردهم وفساد فطرتهم عبدوا العجل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها، ثم أنهم لفجورهم امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام، ورفع الله على رؤوسهم جبلا، ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم، خشية أن يسقط عليهم، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا أي فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل، فإنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجدا وهم يقولون حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون: حنطة في شعرة[١٠٨].

والثالثة: أن الله تعالى قال لهم لا تعدوا في السبت أي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم فخالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ما حرم الله عز وجل[١٠٩].

المثال الثاني: من التوراة حيث جاء في سفر الخروج: «وَإِذَا رَاوَدَ رَجُلٌ عَذْرَاءَ لَمْ تُخْطَبْ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا يَمْهُرُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، إِنْ أَبَى أَبُوهَا أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا، يَزِنُ لَهُ فِضَّةً كَمَهْرِ الْعَذَارَى»[١١٠].

فاستغل اليهود –لفساد فطرتهم– هذا النص لتكوين الثروة دون عناء فكانوا يحرضون بناتهم على الزنا ليأخذوا التعويض الذي نصت عليه هذه الفقرة، على الرغم من نهي التوراة للآباء أن يفعلوا ذلك، فقد جاء في سفر اللاويين: «لاَ تُدَنِّسِ ابْنَتَكَ بِتَعْرِيضِهَا لِلزِّنَى لِئَلاَّ تَزْنِيَ الأَرْضُ وَتَمْتَلِئَ الأَرْضُ رَذِيلَةً»[١١١].

---

[١٠٨] تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٩٥ – ٣٩٦.

[١٠٩] تفسير الطبري، ج٧، ص٦٤٤.

[١١٠] سفر الخروج، إصحاح ٢٢: ١٦ – ١٧.

[١١١] سفر اللاويين، إصحاح ١٩: ٢٩.

فواعجبًا من فساد فطرتهم وخبث طبيعتهم، وذهاب أخلاقهم ونخوتهم، وانحرافهم وضلالهم وتحايلهم على النصوص.

يقول الأستاذ زكي شنودة معلقًا: "على الرغم من هذا النص ظل اليهود في كل العصور يتاجرون بأعراض بناتهم كما يتاجرون بأعراض زوجاتهم وأخواتهم، معتبرين ذلك من الموارد السهلة لاكتساب الأموال وتكوين الثروات"[١١٢].

بل ذكر الأستاذ زكي شنودة عبارات أنقلها بنصها لدقتها في بيان أخلاق اليهود، حيث قال: كان اليهود منذ نشأتهم من أكثر الشعوب شرورًا وآثامًا، ووحشية وإجرامًا، وخيانة وغدرًا، وخبثًا وخداعًا، ورياءً والتواءً، وخسة وجبنًا، وتعصبًا وغرورًا، ونهمًا وجشعًا وانغماسًا في الدعارة والعهارة، والشهوات والملذات، وتكالبًا على المكاسب والمغانم، والسلب والنهب، يفرطون في أعراضهم ليصلوا إلى أغراضهم، ويبيعون ذمتهم وكرامتهم وشرفهم، بل وديانتهم وإيمانهم بالله في سبيل قليل من المال، أو قدر ضئيل من النفوذ والجاه، كانوا على الدوام أهل شقاق ونفاق، وتمرد وعصيان، يثيرون الفتن أينما كانوا، ويدبرون المؤامرات ضد الأمم الأخرى، ويحيكون المكائد بعضهم ضد البعض الآخر، حتى إذا غضب الله عليهم وعاقبهم راحوا يولولون شاكين باكين متمسكنين معترفين بشرورهم ملتمسين عفو الله عنهم وغفرانه لهم، فإذا عفا عنهم وغفر لهم عادوا إلى ما كانوا فيه، بل إلى أبشع مما كانوا فيه من شر وضلال وانحلال[١١٣].

---

[١١٢] المجتمع اليهودي، زكي شنودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٤٠٨.

[١١٣] المجتمع اليهودي، زكي شنودة، ص٤٠٨.

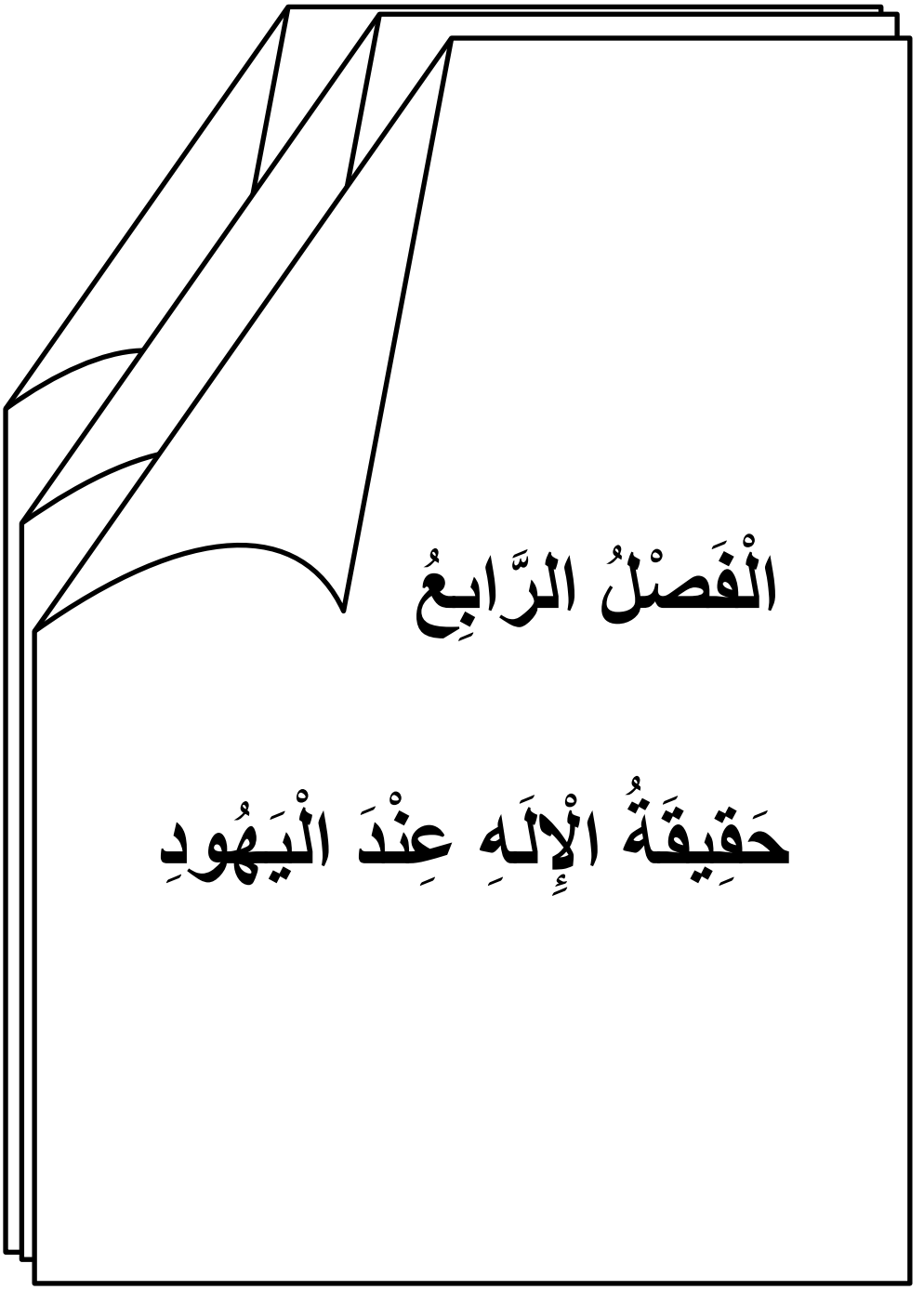

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

حَقِيقَةُ الْإِلَـهِ عِنْدَ الْيَهُودِ

كان من الطبيعي أن تتعدد أسماء الإله وصوره عند اليهود وأن تتعدد كذلك حقيقته وقدراته وصفاته، لكن الذي لم يختلف ولم يتعدد عند اليهود هو اعتقادهم أن هذا الإله هو إلههم وحدهم دون كافة الناس؛ لذا نستطيع أن نقول إن عقيدة بني إسرائيل لم تعرف الإله الواحد إله الخلق أجمعين، بل عرفت إلها قومياً خاصاً بهم، لا يقبل أحداً من الناس في عبادته سوى بني إسرائيل، ولم تقبل هذه العقيدة أبدًا أن يكون الإله الخاص بها هو ذاته الإله في الرسالات الأخرى كالمسيحية والإسلام؛ لأن ذلك يساويهم بعامة الناس، وقد أكدت التوراة على هذا الاعتقاد كثيرًا، فقد جاء في سفر الخروج يخاطب الله موسى بشأن فرعون: «ويقول له الرب إله العبرانيين أرسلني إليك قائلاً أطلق شعبي ليعبدوني في البرية»[١١٤].

ولا يكتفي بإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون ليخاطبة بلهجة التهديد أن يطلق شعب الله ليعبدوه، بل ينزل الإله بنفسه ليهلك فرعون حين لم يطلقهم، ويخلصهم من يد عدوهم، تنقل التوراة قول موسى ناصحًا شعب الرب: «... وَاغْمِسُوهَا فِي الدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ وَمُسُّوا الْعَتَبَةَ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ بِالدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ وَأَنْتُمْ لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ»[١١٥].

لذلك دعي شعب أسرائيل أبناء الله بما أنهم كانوا موضع محبته الخاصة وعنايته دون جميع البشر، اختارهم واصطفاهم وخصهم بذلك، تقول التوراة: فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا

---

[١١٤] إصحاح ٧: ١٦. وقد تكررت كلمة "إله العبرانيين" في سفر الخروج فقط ست مرات، في خمس مرات منها جاءت مسبوقة بلفظ "الرب"، وذكرت كلمة شعبي سبع عشرة مرة، وكان الناطق بها هو الرب، ويقصد بني إسرائيل.

[١١٥] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٢٢- ٢٣.

يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ[١١٦].

وتقول كذلك: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ"[١١٧].

وهم شعبه المفضل عنده[١١٨]، الذي خلقه من مادة مقدسة حلت فيها روحه، وهذه المادة المقدسة تختلف قطعًا عن طينة البشر، بل لم يخلق البشر إلا ليكونوا عبيدًا في خدمة اليهود، ولا يظهر ملك الله ولا يعلو ذكره وتثبت قدرته إلا إذا كانت الدولة والسيادة لليهود، فإذا كانت الدولة والسيادة لغيرهم فلن يتحقق ملك الله، وسيكون ذكره خاملا، وقدرته مشكوكًا فيها !!

يقول السموأل المغربي: ويقولون في هذه الصلوات أيضا: "وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحدًا"، ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته، فأما ما دامت الدولة لغير اليهود، فإن الله خامل الذكر عند الأمم، وأنه مطعون في ملكه مشكوك في قدرته، فهذا معنى قولهم:"اللهم املك على

---

[١١٦] سفر الخروج، إصحاح ٤: ٢٢.

[١١٧] سفر التثنية، إصحاح ١٤: ١.

[١١٨] وربما جاءت مسألة تميزهم عن الشعوب الأخرى، وأنهم شعب الرب وأبناؤه متأخرة قذفتها في مخيلاتهم حياة الذلة والعبودية التي عاشوها في مصر، يقول العقاد: "والظاهر كذلك أنهم كانوا إلى ما بعد خروجهم من مصر لا يزعمون أنهم مميزون على القبائل الأخرى، بل يخطر لهم –كما جاء في الإصحاح الأول من سفر التثنية– أن الرب لبغضه لهم قد أخرجهم من أرض مصر؛ ليدفعهم إلى أيدي العمونيين ويهلكهم على أيديهم" (إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، ص ١١٨).

جميع أهل الأرض"[١١٩].

لذلك نراه أحيانًا في صورة الرجل المحارب الذي يدافع عنهم ويهلك أعداءهم، لأن مهمته الأساسية هي إنقاذ شعبه وحمايته، وتارة يظهر وسط الرعد والبرق والسحب يزلزل الأرض تحت أقدام عدوهم، تقول التوراة: «لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ»[١٢٠].

وتقول أيضًا: «وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»[١٢١].

وتقول كذلك: «لا يدخل عمّوني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد»[١٢٢].

والسؤال هنا: ما الحكم لو دخل رجل عموني أو مؤابي في الشريعة اليهودية بعد جيل أو أكثر هل يحرم من الدخول في جماعة الرب؛ لأن أجداده لم يقدموا الخدمات المجانية لشعب الرب؟[١٢٣].

---

[١١٩] بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى المغربي، ص١١١

[١٢٠] سفر التثنية، إصحاح ٧: ٦ – ٧.

[١٢١] سفر التثنية، إصحاح ١٤: ٢.

[١٢٢] سفر التثنية، إصحاح ٢٣: ٣.

[١٢٣] التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص، د. نعمان السامرائي، دار الحكمة، لندن، ط١٤٢٢،١هـ – ٢٠٠١م، ص ٣٣.

وجاء في سفر الخروج: «وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا»[١٢٤].

وجاء في سفر الخروج كذلك: «فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ، إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ، إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً»[١٢٥].

وحينما يخرجون من مصر لا يتركهم، بل يتجسد أمامهم في صورة عمود من سحاب ليهديهم ويدلهم على الطريق، وفي الليل يتحول إلى عمود من نار ليضيء لهم الطريق؛ حتى يمشوا ليل نهار، تقول التوراة: «وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ»[١٢٦].

وفي سفر العدد: «فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودِ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ»[١٢٧].

بل إنه يهلك الناس لا لذنب فعلوه، لكن لأنهم لم يحسنوا لشعبة بأن يقدموا له الخبز والماء حينما خرج من مصر، جاء في سفر التثنية: «لاَ يَدْخُلْ عَمُّونِيٌّ وَلاَ مُوآبِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ، حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُلاَقُوكُمْ بِالْخُبْزِ وَالْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ»[١٢٨].

---

[١٢٤] سفر الخروج، إصحاح ٦: ٦ – ٧.

[١٢٥] سفر الخروج، إصحاح ٢٤: ٢٠.

[١٢٦] سفر الخروج، إصحاح ١٣: ٢١ – ٢٢.

[١٢٧] سفر العدد، إصحاح ١٢: ٥.

[١٢٨] سفر التثنية، إصحاح ٢٣: ٣.

غير أنه يظهر في صورة الغاضب عليهم حين يخالفونه ويغيظونه، فيسلمهم إلى أعدائِهم ليؤدبهم، لكنه سرعان ما يخلصهم من يد أعدائِهم تقول التوراة: «وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ أَيْضًا مَتَى كَانُوا فِي أَرْضِ أَعْدَائِهِمْ، مَا أَبَيْتُهُمْ وَلاَ كَرِهْتُهُمْ حَتَّى أُبِيدَهُمْ وَأَنْكُثَ مِيثَاقِي مَعَهُمْ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ»[١٢٩].

بل ويُحلُّ لهم ما في أيدي أعدائِهم من أموال ومتاع غنيمة لهم، ولو أخذوها بالاحتيال والسرقة، أو بالربا؛ فهذا حلال لهم، تقول التوراة: «فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ، بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ»[١٣٠].

وتقول كذلك: «لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا»[١٣١].

إلى غير ذلك من الصور التي هي في مجملها تحمل النقص والعيب وتصم هذا الإله بما يتنزه منه المخلوقون من قبح وعجز، وجهل وسفاهة، كما إنها تعمد دائمًا إلى تجسيمه، وتظهره في صورة ذات لها جسم محدود له شكل معين، هذه الذات تمشي وتنتقل وتعالج الأفعال، كما يفعل بنو آدم تمامًا بتمام، جاء في سفر التكوين: وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة[١٣٢].

---

[١٢٩] سفر اللاويين، إصحاح ٢٦: ٤٤.

[١٣٠] سفر الخروج، إصحاح ٣: ٢١ – ٢٢.

[١٣١] سفر التثنية، إصحاح ٢٣: ٢٠.

[١٣٢] سفر التكوين،إصحاح ٣: ٨.

فالرب الإله يمشي كما يمشي المخلوقون، وقد ثبت بالضرورة في أوائل العقول أن المشي من صفات الأجسام المتحركة، والجسم المتحرك محل للحوادث، وكل ما كان محلاً للحوادث كان مفتقرًا إليها خاضعًا لها، بل كان مسبوقًا بها.

وكل ذلك مناف لاتصاف الإله بصفات الكمال؛ إذ كيف يكون الإله خاضعًا للحوادث عاجزًا عن دفعها عن نفسه؟، فإذا عرض له المرضُ مَرِضَ كما يمرض المخلوق، وإذا عرض له الجوع جاع، أو العطش عطش... إلخ، وكيف يحتاج إلى معالجة الأفعال، فإذا أرد النقلة مشى كما يمشي المخلوق؟

بل إن الرب الإله حينما يريد أن يخلق الإنسان يخلقه على صورته، ومعلوم أن الإنسان فيه الذكر والأنثى، وأن الذكر ليس كالأنثى لا في الخلق ولا في الصورة، ومع ذلك تجد أن التوراة تقرر أن الله قد خلق الإنسان – الذكر والأنثى – على صورته، تقول التوراة: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى![١٣٣].

ويزداد الأمر سوءًا واستخفافًا بالإله حينما تظهره التوراة في صورة لا يرضى آحادهم أن يكون فيها، فتحدثنا عن الإله لما أراد أن يكلم موسى عليه السلام، ويوحي إليه نزل إلى الأرض، لكن هذا الإله لم يجد مكانًا يختبئ فيه حتى يظهر لموسى فجأة وينادي ليعرّفه أنه إلهه وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا في تلك الشجيرة الشائكة، حتى إن موسى عليه السلام لما سمعه غطى وجهه مخافة أن ينظر إلى الإله وهو في هذه الحالة!.

---

[١٣٣] سفر التكوين، الإصحاح الأول، ٢٧.

تقول التوراة: «وَجَاءَ -يعني موسى عليه السلام- إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ، وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ فَقَالَ مُوسَى: أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟، فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ ...، ثُمَّ قَالَ: أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ، فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ!»[١٣٤].

وفي تصوري أن اليهود قد استحوذت على عقولهم وقلوبهم صور الآلهة والمعبودات التي كانت تعبد في الأماكن التي عاشوا فيها، فلم يستطيعوا الإفلات منها، فتراهم يعيشون في إيحاءات ديانة المصريين القدامى والكنعانيين والبابليين والآشوريين وتصوراتهم عن الآلهة، وقد أقرت التوراة بذلك وأكدت عليه في أكثر من موضع؛ وعبر كاتبوها عن هذا التجسيم دون مواراة أو خجل، يقول حزقيال: «وَأَنَا جَالِسٌ فِي بَيْتِي، وَمَشَايِخُ يَهُوذَا جَالِسُونَ أَمَامِي، أَنَّ يَدَ السَّيِّدِ الرَّبِّ وَقَعَتْ عَلَيَّ هُنَاكَ فَنَظَرْتُ وَإِذَا شِبْهٌ كَمَنْظَرِ نَارٍ، مِنْ مَنْظَرِ حَقْوَيْهِ إِلَى تَحْتُ نَارٌ، وَمِنْ حَقْوَيْهِ إِلَى فَوْقُ كَمَنْظَرِ لَمَعَانٍ كَشِبْهِ النُّحَاسِ اللاَّمِعِ»[١٣٥].

كما تروي التوراة أن موسى عليه السلام قد عمل لبني إسرائيل حية من نحاس، وأن بني إسرائيل قد عبدوها بعد ذلك، وصارت مقدسة لديهم؛ لأنها تمثل الحكمة والدهاء!.

---

[١٣٤] سفر الخروج، إصحاح ٣: ١-٦، العليقة: نبت شائك معروف بتسلقه والتوائه له ثمر كثمر التوت (انظر السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، شرح سفر الخروج، للقس وليم مارش، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧٣، ص١٧).

[١٣٥] سفر حزقيال، الإصحاح الثامن:١ -٢، فهذه صورة من تخيل اليهود لإلههم وتجسيمهم لذاته، يراها نبي من أنبيائهم وهو حزقيال وحاشا للأنبياء أن يكونوا مجسمين لذات الله تعالى، لكنها أهواء اليهود وتخيلاتهم المريضة وعقائدهم المنحرفة السقيمة.

تقـول التـوراة: «فَصَـلَّى مُـوسَى لأَجْـلِ الشَّعْبِ، فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا، فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا»[١٣٦].

ومع ذلك فقلما أوردوا نصاً في هذا الشأن إلا والاضطراب أو التناقض شاخصان فيه، ففي أول هذا النص ظهر ملاك الله لموسىٰ بلهبة نار في وسط العليقة، لكن سرعان ما يكون هذا الذي ظهر في وسط العليقة هو الله نفسه ! ظهوراً قابلاً للرؤية الطبيعية بجسم محدد المعالم، غير أن موسىٰ غلبه الخوف فغطىٰ وجهه لئلا يراه !!

[١٣٦] سفر العدد، إصحاح ٢١: ٧- ٩.

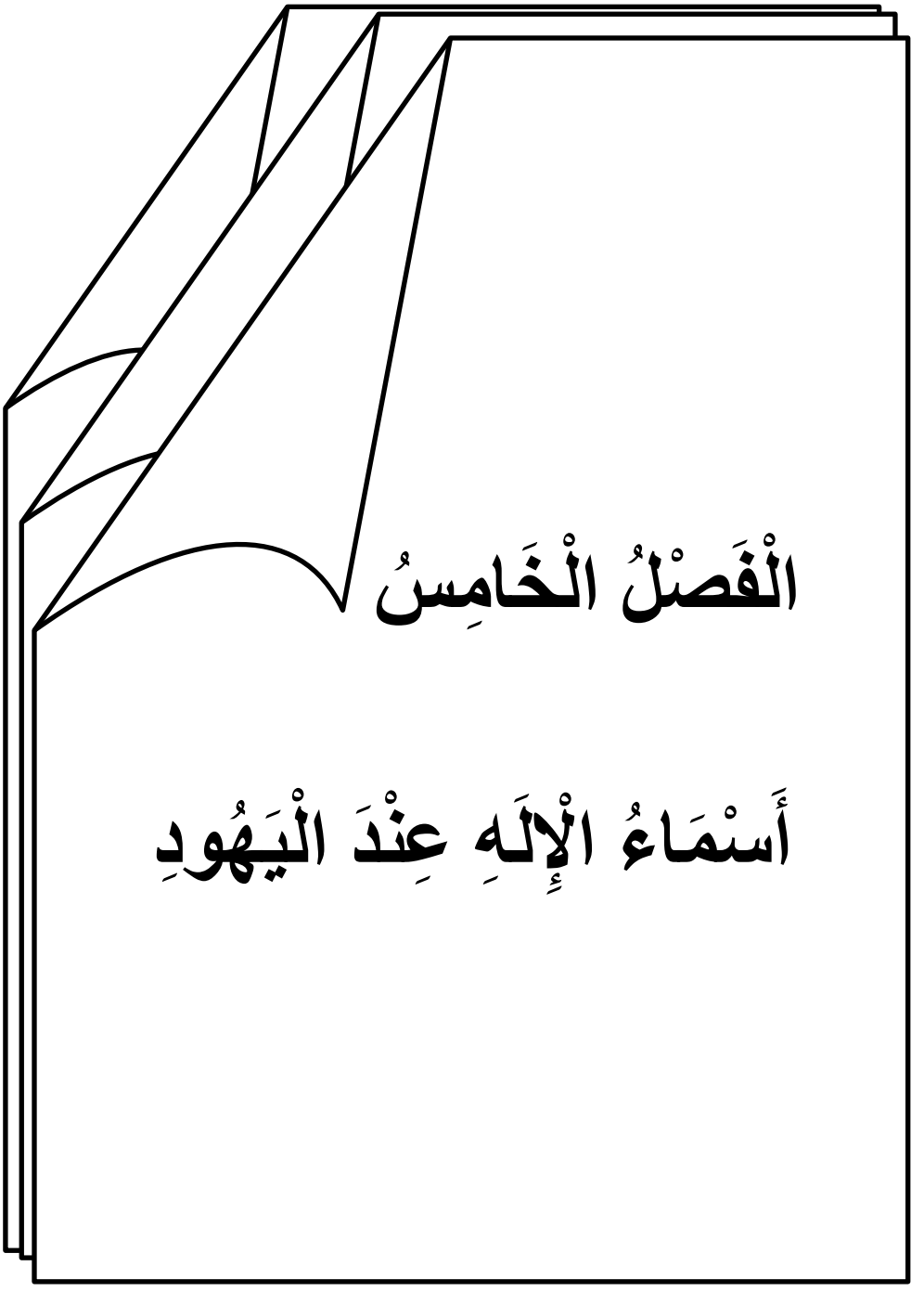

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

أَسْمَاءُ الْإِلَهِ عِنْدَ الْيَهُودِ

تعد كثرة أنبياء اليهود دليلاً على عنادهم وتجدد الشرك فيهم، ودليلاً كذلك على تعدد الآلهة عندهم، وبالتالي تعددت أسماء الإله وصفاته واختصاصاته بحسب تصور الفكر اليهودي لذاتِ وحقيقة الإله.

والمتتبع لأسماء الإله في كتب اليهود المقدسة قد تصيبه الحيرة ويتوه من كثرة هذه الأسماء، والأصل في هذه الأمة أنها أمة توحيد، يعبدون إلهًا واحدًا دعتهم الأنبياء والرسل إلى عبادته.

وربَّمَا لا يجانبني الصواب إن قلتُ إن اليهود عبدوا كل إله وقعت عليه أعينهم خلال رحلتهم الطويلة من مصر إلى بلاد الشام، ثم إلى بابل ثم إلى أورشليم...؛ فعبدوا "العجل" الذي عبده المصريون، وعبدوا "البعل: الإله المحارب، إله الكنعانيين، وعبدوا "عشتار" إلهة الحرب والحب في بابل القديمة، وعبدوا "أنات" ملكة السماوات في بعض الديانات السامية القديمة، كما عبدوا "أشيما" إله النار والأوبئة عند البابليين، وعبدوا مولك إله العمونيين، وادَّعوا أن الملك سليمان بنى لكموش إله المؤابيين ومولك إله العمونيين[١٣٧]، ونصوص العهد القديم شاهدةٌ على ذلك؛ فقد جاءت فيها نصوصٌ صريحةٌ تخبرنا بعبادة بني إسرائيل أو طوائف منهم لهذه الآلهة، بل أحيانًا نجد التصريح بعبادتهم لإله بعينه مكررًا في أكثر من سفر من أسفار العهد القديم، ومن هذه النصوص:

ما جاء في سفر الملوك الأول: «حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ»[١٣٨].

---

[١٣٧] اليهودية في العقيدة والتاريخ، عصام الدين حفني ناصف، دار العالم الجديد، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م، ص ٩٤ -٩٥.

[١٣٨] سفر الملوك الأول، إصحاح ١١: ٧.

وما جاء فيه أيضًا: «لأَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَسَجَدُوا لِعَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَلِكَمُوشَ إِلهِ الْمُوآبِيِّينَ، وَلِمَلْكُومَ إِلهِ بَنِي عَمُّونَ، وَلَمْ يَسْلُكُوا فِي طُرُقِي لِيَعْمَلُوا الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيَّ»[١٣٩].

وآلهة أخرى كثيرة عبدوها وتقربوا لها، وبنوا لها المذابح، ويعبر عن كثرة آلهتهم هذا النص الذي يعنفهم فيه الرب لكثرة آلهتهم التي اتخذوها وتقربوا إليها: «لأَنَّهُ بِعَدَدِ مُدُنِكَ صَارَتْ آلِهَتُكَ يَا يَهُوذَا، وَبِعَدَدِ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَضَعْتُمْ مَذَابِحَ لِلْخِزْيِ، مَذَابِحَ لِلتَّبْخِيرِ لِلْبَعْلِ»[١٤٠].

ونصوص أخرى كثيرة سترد في حنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ولا يبعد عندي أن بني إسرائيل حينما كانوا يعبدون إلهًا بعينه كانت تترسخ في أذهانهم –ولا بد– صورة الإله المعبود بصفاته وعاداته، وما يحبه وما يكرهه، وطقوس عبادته، إلى آخر ذلك مما يتعلق بالعبادات والطقوس الدينية لكل إله، فإذا انتقلوا إلى عبدة إله آخر ترسخ لديهم الصورة نفسها للإله الجديد، حتى إذا جاءتهم الإنبياء وردتهم إلى عبادة الله تعالى لم يستطيعوا أن يتخلصوا من المخزون الديني الذي ترسخ عندهم، فألبسوا عبادتهم لله ثوب مخزونهم القديم، وأضفوا على الله كثيرًا من صفات وأسماء الآلهة القديمة، لاسيما الصفات والأسماء التي راقت لهم ووافقت ميولهم وأهواء نفوسهم، ليس هذا فحسب، بل رمزوا لله تعالى ببعض الرموز التي كانت رموزًا للآلهة التي عبدوها سابقًا.

بسبب هذا هذا المخزون الديني المترسخ عندهم تعددت وكثرت أسماء الإله لديهم، وتعددت كذلك معاني هذه الأسماء ومدلولاتها، فكان منها أسماء دلت ألفاظها على الكمال

---

[١٣٩] سفر الملوك الأول، إصحاح ١١: ٣٣.

[١٤٠] سفر أرميا، إصحاح ١١، ١٣.

المطلق، وأسماء أخرى خاصة سموا بها الإله وزعموا أنها تدل على الكمال، غير أن الباحث يجد أن هذه الأسماء قد تحمل دلالات على النقص والعيب خاصة إذا قرنت بتصور اليهود لحقيقتها.

وأنا أحاول في المبحثين الآتيين الوقوف على أهم وأشهر هذه الأسماء.

المبحث الأول

الأسماء الحسنى

ذكرتِ التوراةُ للإله عدة أسماء عامة تشترك فيها الملة اليهودية مع الملة النصرانية، ومع ملة الإسلام أيضًا مع الاختلاف أحيانًا في معاني هذه الأسماء وحقيقتها ومدلولاتها بين هذه الملل الثلاث، وهذه الأسماء إجمالًا تثبت في لفظها الكمال المطلق للإله، وتدل على تنزيهه عن النقص والعيب.فمن أهم وأشهر الأسماء التي تدل في لفظها على الكمال وتنافي النقص والعيب[١٤١]:

١ – الله [١٤٢]:

هذا اسم الإله خالق جميع الكائنات والحاكم الأعظم لجميع العوالم، والواهب كل المواهب الحسنة، والله روح غير محدود، أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله وجودته وحقه، وهو يعلن لنا نفسه بطرق متنوعة وفي أحوال مختلفة متباينة فيظهر لنا في أعماله، وتدبير عنايته، لكنه يتجلى غاية التجلي ويظهر ذاته في الكتب المقدسة[١٤٣].

ويرى بعض الباحثين أن أصل كلمة الله هو ألوهيم، وهو لفظ في صيغة الجمع

---

[١٤١] ربما بقيت هذه الأسماء في التورة لم تمتد إليها يد التحريف أو التبديل، واكتفوا بتحريف حقيقتها ومدلولها.

[١٤٢] قال الجرجاني: الله: علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها(التعريفات، للشريف الجرجاني،ص٣٤) وقد عرف اليهود هذا الاسم العظيم من أنبيائهم ورسلهم، وبخاصة موسى عليه السلام، لكنهم بعد موسى عليه السلام بدءوا يحرفون في الاسم المقدس، فظهر اسم " يَهْوَهْ "، وغيره من الأسماء.

[١٤٣] قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٧.

بالعبرية، ومعناه الدقيق في تلك اللغة هو: الآلهة[١٤٤]، بينما ذهب باحثون آخرون إلى أن هذا الاسم هو الذي أطلقه التعدديون، حيث اعتبروا أن التوحيد هو تماهي وانصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلهًا واحدًا [١٤٥].

وقد تكرر هذا الاسم في التوراة كثيرًا، ولكن الله – كما تحكي التوراة– يظهر لأنبيائه وشعبه في صورة سيد يجلس على كرسي، ويرتدي أثوابًا لها أذيال طوال، وحوله الملائكة يتنادون باسمه القدوس؛ فتهتز أساسات الأعتاب من صوتهم، فيرونه عيانًا ويكلمهم ويكلمونه، يقول النبي إشعياء: «رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ ...، السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلٍّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، ...، فَقُلْتُ:وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ ...، ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ قَائِلاً:مَنْ أُرْسِلُ؟، وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟، فَقُلْتُ:هأَنَذَا أَرْسِلْنِي، فَقَالَ: اذْهَبْ وَقُلْ لِهذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلاَ تَعْرِفُوا...»[١٤٦].

فذات الله على حسب التوراة هي على جسم إنسان وصورة إنسان؛ لأن الله خلق الإنسان على صورته، كما تقول التوراة: «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ»[١٤٧].

---

[١٤٤] انظر كتاب: اليهودية، زكي شنودة، ص ٢٩٢.

[١٤٥] التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب، دار النفائس للطباعة والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٢٣.

[١٤٦] سفر إشعياء، إصحاح ٦: ١– ٩.

[١٤٧] التكوين، إصحاح ١:٢٧.

٢- القدوس:

الذي أكمل جميع الكائنات، ومعناه ذو القداسة يقال عنه تعالى أنه وحده قدوس أي ذو القداسة الأصلية وتستعمل هذه اللفظة غالبا للدلالة على الله تعالى[١٤٨].

والقداسة صفة لله وحده، فهي صفة إلهية وليست صفة بشرية، وهي أساس الإيمان بالله وأصله الراسخ، وهذه الصفة الإلهية تشتمل على الرحمة والحنان، فالإله القدوس هو الإله الرحيم الحنان الذي اختار شعبه وغمرهم بمراحمه وألطافه[١٤٩].

ولا توجد قداسة بعيدة عن الله أو منفصلة عنه، كما أن قداسته لا تتجلى في أعماله فقط، وأنما تنعكس على كل ما يتصل به، فكل ما يتصل به مقدس بقداسته.

وقد انعكست هذه القداسة على شعبه الذي اختاره دون شعوب الأرض؛ لأنه اختياره، فصار شعبًا مقدسًا، تقول التوراة حاكية قول الرب لشعب إسرائيل: «لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ»[١٥٠].

وتقول كذلك: «يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكَ»[١٥١].

وجاء فيها كذلك: «إِسْرَائِيلُ قُدْسٌ لِلرَّبِّ»[١٥٢].

---

[١٤٨] قاموس الكتاب المقدس، ص٤٩١.

[١٤٩] دائرة المعارف الكتابية، ج٦، ص ١٨٨.

[١٥٠] سفر التثنية،إصحاح ٦:٧، وقد تكررت هذه الجملة كثيرًا باختلاف يسير في بعض ألفاظها(انظر: سفر التثنية إصحاح ١٤: ٢، وإصحاح ٢٦: ١٩، وغيره من الأسفار).

[١٥١] سفر التثنية، إصحاح ٢٨:٩.

[١٥٢] سفر إرميا، إصحاح ٢:٣.

وتصبح الأمة كذلك كلها أمة مقدسة، والجماعة كلها مقدسة؛ لاتصالها بالرب الذي هو معها دائما يتوسط جموعها ويدبر أمرها، تقول التوراة: «يقول الرب لموسى وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً»(١٥٣).

وتقول أيضًا: «إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ»(١٥٤).

وقد ورد هذا الاسم –اسم القدوس– كاسم لله تعالى في مواضع كثيرة من التوراة، منها على سبيل المثال ما جاء في الإصحاح العشرين من سفر اللاويين: «وَأَجْعَلُ أَنَا وَجْهِي ضِدَّ ذلِكَ الإِنْسَانِ، وَأَقْطَعُهُ مِنْ شَعْبِهِ، لأَنَّهُ أَعْطَى مِنْ زَرْعِهِ لِمُولَكَ؛ لِكَيْ يُنَجِّسَ مَقْدِسِي، وَيُدَنِّسَ اسْمِيَ الْقُدُّوسَ»(١٥٥).

وفي سفر يشوع: «فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ إِلهٌ قُدُّوسٌ»(١٥٦)

وفي سفر هوشع: «لاَ أَعُودُ أَخْرِبُ أَفْرَايِمَ، لأَنِّي اللهُ لاَ إِنْسَانٌ، الْقُدُّوسُ فِي وَسَطِكَ فَلاَ آتِي بِسَخَطٍ»(١٥٧).

٣– الأمين:

صفة الأمانة من الصفات التي تميز ذات الإله من حيث طبيعته الأخلاقية؛ إذ إنها

---

(١٥٣) سفر الخروج، إصحاح ١٩:٦.

(١٥٤) سفر العدد،١٦: ٣.

(١٥٥) سفر اللاويين، إصحاح٢٠: ٣

(١٥٦) سفر يشوع، إصحاح ٤: ١٩.

(١٥٧) سفر هوشع، إصحاح ١١: ٩.

تشير إلى ثبات الإله ووفائِه بموعوداته وعهوده التي قطعها على نفسه، وبخاصة لشعبه المختار، وقد تناولت التوراة صفة الأمانة عند الإله في إطار ما تتضمنه من رحمة وصلاح، فمن رحمته أنه لا يغير الوعود التي قطعها على نفسه للآباء – إبراهيم وإسحاق ويعقوب – مع الأبناء حتى وإن خالف الأبناء، تقول التوراة: «فَاعْلَمْ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ اللهُ، الإِلهُ الأَمِينُ، الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ إِلَى أَلْفِ جِيلٍ»[١٥٨].

ولم يرد اسم الأمين كاسم لله باللفظ كثيرًا في التوراة لكنه ورد بالمعنى في كثير من المواضع، فمن المواضع القليلة التي ورد فيها بلفظه ما جاء في سفر هوشع: «وَلَمْ يَزَلْ يَهُوذَا شَارِدًا عَنِ اللهِ وَعَنِ الْقُدُّوسِ الأَمِينِ»[١٥٩].

أما المواضع التي ورد فيها بالمعنى فكثير ة منها ما جاء في سفر التثنية: «إِلهُ أَمَانَةٍ لاَ جَوْرَ فِيهِ. صِدِّيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ»[١٦٠].

وما جاء في سفر هوشع: «وَأَنْتَ فَارْجِعْ إِلَى إِلهِكَ. اِحْفَظِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ، وَانْتَظِرْ إِلهَكَ دَائِمًا»[١٦١].

٤– السيد الرب:

يرد هذان الاسمان في التوراة كثيراً غير أنهما تارة يأتيان مقترنين، فتكون كلمة السيد

---

[١٥٨] سفر التثنية،إصحاح ٧: ٩.

[١٥٩] سفر هوشع، إصحاح ١١: ١٢.

[١٦٠] سفر التثنية، إصحاح ٣٢: ٤.

[١٦١] سفر هوشع، إصحاح ١٢: ٦.

مفسرة لمعنى الرب[١٦٢]، وتارة يأتي كل اسم فيهما منفردًا.

فمن المواضع التي جاءا فيها مقترنين ما جاء في سفر الخروج: «ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَظْهَرُ جَمِيعُ ذُكُورِكَ أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ»[١٦٣].

وفي حوار إبراهيم عليه السلام مع الله تعالى كان إبراهيم يخاطب الله بـ"السيد الرب"، جاء فس سفر التكوين: «فَقَالَ أَبْرَامُ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، .... أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟»[١٦٤].

وفي سفر إشعيا: «لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل إني استريح من خصمائي وأنتقم من أعدائي»[١٦٥].

وما جاء في سفر الخروج: «فقال موسى للرب استمع أيها السيد»[١٦٦].

ومن المواضع التي جاء فيها لفظ الرب منفردًا[١٦٧] ما جاء في سفر التكوين: «لأَنَّ

---

[١٦٢] إذ من معاني الرب في اللغة المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم.... إلخ (انظر لسان العرب، لابن منظور، مادة ربب، ج ١، ص٣٩٩)، وقد تستخدم في التوراة بأحد هذه المعاني (انظر دائرة المعارف الكتابية، ج٤، ص٤٧).

[١٦٣] سفر خروج، إصحاح ٣٤: ٢٣.

[١٦٤] سفر التكوين، إصحاح ١٥: ٢، ٨.

[١٦٥] سفر إشعياء، إصحاح ٢٤:١.

[١٦٦] سفر الخروج، إصحاح ٤: ١٠.

[١٦٧] نلمس هذه الكثرة حين نرى أن اسم الرب ورد في سفر التكوين ١١٤ مرة، وسفر الخروج مثلاً ٢٦٠ مرة، وفي سفر التثنية أكثر من ٤٦٠ مرة، وفي سفر العدد ٢٤٩ مرة، وفي سفر اللاويين ١٣٣ مرة.

الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ»[١٦٨].

وما جاء في سفر العدد: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ»[١٦٩].

وفي سفر القضاة: «وَنَسُوا الرَّبَّ إِلهَهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالسَّوَارِيَ»[١٧٠].

وجاء في المزامير: «اِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ»[١٧١].

ومن المواضع التي جاء فيها لفظ السيد خاصًا بالله تعالى منفردًا –وهي مواضع قليلة– ما جاء في سفر الخروج: «فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ»[١٧٢].

وجاء أيضًا: «اعلموا أن السيد إلهكم الذي هو نار أكول... »[١٧٣].

وقد وردت لفظة الأرباب جمعًا لكلمة "رب" في التوراة: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ»[١٧٤].

---

[١٦٨] سفر التكوين، إصحاح ٢: ٥.

[١٦٩] سفر العدد، إصحاح ١: ١.

[١٧٠] سفر القضاة، إصحاح ٣:٧.

[١٧١] سفر المزامير، مزمور ١٠٧:١.

[١٧٢] سفر الخروج، إصحاح ٤: ١٠.

[١٧٣] ذكر ذلك ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل،ج١، ص١٢٣، فقال: وَفِي السّفر الْخَامِس اعلموا أَن..... إلخ، وقد وردت هذه العبارة في التوراة بألفاظ مغايرة قليلاً، وبدلت فيها كلمة السيد بكلمة الرب، فجاءت في سفر التثنية مرتين: الأولى: فَاعْلَمِ الْيَوْمَ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ الْعَابِرُ أَمَامَكَ نَارًا آكِلَةً (إصحاح٩: ٣) والثانية: لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ (إصحاح ٤: ٢٤).

[١٧٤] سفر التثنية، إصحاح ١٠: ١٧.

وفسرت هذه اللفظة بأنه قد يقصد بها الملائكة الذين هم من رتبة الرب؛ لأن لفظة الرب تأتي بمعنيين: أحدهما بمعنى الإله، والمعنى الثانى هو ملاك من رتبة الأرباب،كما جاء في سفر زكريا فى قصة مقاومة الشيطان لهوشع الكاهن العظيم وأمامه ملاك الرب: «فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ:لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ يَا شَيْطَانُ ! لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ الَّذِي اخْتَارَ أُورُشَلِيمَ»(١٧٥).

فكلمة الرب هنا تعني ملاكًا من رتبة الأرباب.

ووردت أيضًا لفظة رَبُّ الجُنُودِ في مواضع عدة من العهد القديم، خاصة في سفر صمويل الأول، من هذه المواضع: «هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ»(١٧٦).

«...وَنَذَرَتْ نَذْرًا وَقَالَتْ: يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِنْ نَظَرْتَ نَظَرًا إِلَى مَذَلَّةِ أَمَتِكَ... »(١٧٧).

وهي ترجمة للعبارة العبرية "يهوه صباؤوت" وتعني رئيس قوات العبرانيين، وقد وردت ترجمة هذه العبارة في العهد القديم باللغة اليونانية بلفظ (بنتكراتور) وتعني الحاكم على الجميع(١٧٨).

٥- الأول والآخر:

أو "البداية والنهاية" ومعناهما الإله الذي لم يوجد إله قادر على كل شيء قبله ولا بعده، ولن يكون هناك إله قادر على كل شيء إلا هو.

---

(١٧٥) سفر زكريا، إصحاح ٣: ٢.

(١٧٦) سفر صمويل ١، إصحاح ١٥: ٢.

(١٧٧) سفر صمويل ١، إصحاح ١: ١١.

(١٧٨) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٧١.

وهما من الأسماء التي وردت للدلالة على الإله، كما في سفر إشعيا: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي»[١٧٩].

وفيه كذلك: «اِسْمَعْ لِي يَا يَعْقُوبُ، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ: أَنَا هُوَ، أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ»[١٨٠].

إلا إن هذين الاسمين لم يرد إطلاقهما على الإله في أسفار التوراة الخمسة[١٨١].

٦- القدير:

يعني القادر على كل شيء، الذي يمتلك القوة والسيطرة والتمكن والهيمنة، فقدرته لا حدود لها، فالإله قادر على كل البشر ومهيمن على كل الإلهة التي تعبد، وهو الذي يمكن أن يلتجأ إليه فيحفظ، ويستنصر به فينصر.

وقد جاءت تسمية الإله باسم القدير في عدة مواضع من التوراة، منها:

ما جاء في سفر التكوين: «ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ»[١٨٢].

وجاء في سفر التكوين كذلك: وقال إسحاق لابنه يعقوب: «وَاللهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ»[١٨٣].

---

[١٧٩] سفر إشعيا، إصحاح ٤٤: ٦.

[١٨٠] سفر إشعيا، إصحاح ٤٨: ١٢ – ١٣.

[١٨١] وهما من أسماء الله تعالى التي سمى به نفسه عز وجل، كما جاء في سورة الحديد ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾.

[١٨٢] سفر التكوين، إصحاح ١٧: ١.

[١٨٣] سفر التكوين، إصحاح ٢٨: ٣.

وفيه أيضًا: «وَقَالَ لَهُ اللهُ (أي لإسرا ئيل): أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ»[١٨٤].

وفي نفس السفر أيضًا: «وَاللهُ الْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الرَّجُلِ حَتَّى يُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ الآخَرَ وَبَنْيَامِينَ»[١٨٥].

وفي سفر العدد: «وَحْيُ الَّذِي يَسْمَعُ أَقْوَالَ اللهِ وَيَعْرِفُ مَعْرِفَةَ الْعَلِيِّ. الَّذِي يَرَى رُؤْيَا الْقَدِيرِ»[١٨٦].

وفي سفر أيوب: «أإلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي»[١٨٧].

٧- العلي:

ومعناه العلوي أو الذي هو أعلى، أي صاحب أعلى مركز وسلطة[١٨٨].

وقد ورد هذا الاسم في مواضع متعددة من التوراة، فقد جاء في سفر التثنية: «حِينَ قَسَمَ الْعَلِيُّ لِلأُمَمِ، حِينَ فَرَّقَ بَنِي آدَمَ»[١٨٩].

وفي سفر العدد: «وَحْيُ الَّذِي يَسْمَعُ أَقْوَالَ اللهِ وَيَعْرِفُ مَعْرِفَةَ الْعَلِيِّ»[١٩٠].

وفي صموئيل الثاني: «أرعد الرب من السماوات، والعلي أعطى صوته»[١٩١].

---

[١٨٤] سفر التكوين، إصحاح ٣٥: ١١.

[١٨٥] سفر التكوين، إصحاح ٤٣: ١٤.

[١٨٦] سفر العدد، إصحاح ٢٤: ١٦.

[١٨٧] سفر أيوب، إصحاح ١١: ١٢.

[١٨٨] وعليه تكون إسرائيل فوق الدول، لأنهم هم شعب الإله الذين اصطفاهم واختارهم.

[١٨٩] سفر التثنية، إصحاح ٣٢: ٨.

[١٩٠] سفر العدد، إصحاح ٢٤: ١٦.

[١٩١] سفر صموئيل الثاني، إصحاح ١٤: ٢٢.

وفي المزامير: «لأَنَّهُمْ عَصَوْا كَلاَمَ اللهِ، وَأَهَانُوا مَشُورَةَ الْعَلِيِّ»[١٩٢].

٨- الخالق:

أي هو مَن أوجد كل شيء من العدم بعد أن لم يكن موجودًا، فهو صانع السماوات والأرض ومصورهما بمن فيهما، وهو الذي قدر للأشياء أقدارها في الأزل.

وقد جاء هذا الاسم في مواضع متعددة، منها في سفر التكوين: «وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا»[١٩٣].

وفي سفر إشعياء: «أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ؟ إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ»[١٩٤].

وفي سفر إشعياء أيضًا: «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ:خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا»[١٩٥].

٩- الجليل:

أي الأعظم، المهاب، الذي له أوصاف الجلال وهي أوصاف العظمة والعزة والكبرياء.

والدليل عليه قوله: «لِتَهَابَ هذَا الاسْمَ الْجَلِيلَ الْمَرْهُوبَ، الرَّبَّ إِلهَكَ»[١٩٦]

---

[١٩٢] سفر المزامير،مزمور ١٠٧: ١١.

[١٩٣] سفر التكوين، إصحاح ٢: ٣.

[١٩٤] سفر إشعياء، إصحاح ٤٠: ٢٨.

[١٩٥] سفر إشعياء، إصحاح ٤٥: ١٨.

[١٩٦] سفر تثنية، إصحاح ٢٨: ٥٨.

١٠ – الحي:

والحي هو المتصفُ بالحياةِ الأبدية التي لا نهاية لها.

جاء في سفر التثنية: «إِذْ أَيُّ بَشَرِيٍّ سَمِعَ صَوْتَ اللهِ الْحَيِّ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ مِثْلَنَا وَعَاشَ؟»[١٩٧]

١١– الحاكم:

الحاكم وهو القاضي الذي يقضي في جميع الأشياء بالعدل التام، وهو أيضًا الحكيم صاحب الحكمة العظيمة.

جاء في سفر التكوين: «إِنْ أَسَأْتَ مُعَامَلَةَ ابْنَتَيَّ، أَوْ تَزَوَّجْتَ عَلَيْهِمَا، فَإِنَّ الله يَرَاكَ وَيَكُونُ حَاكِماً بَيْنِي وَبَيْنَكَ»[١٩٨].

---

[١٩٧] سفر التثنية، إصحاح ٥: ٢٦.

[١٩٨] سفر التكوين، إصحاح ٣١: ٥٠.

المبحث الثاني

الأسماء الخاصة

إله اليهود إله قومي خاص بهم هم دون غيرهم، فهم شعبه وأبناؤه الذي اختارهم من بين كل الأمم؛ لذا كان من الطبيعي أن يكون لهذا الإله أسماء خاصة لاتعرف في أي ملة من الملل الثلاثة إلا عند اليهود ومن وافقهم على توراتهم المحرفة.

وغالب هذه الأسماء أخذها اليهود عن ثقافتهم التي تراكمت عندهم من احتكاكاتهم بالأمم والشعوب المختلفة: مصريين وكنعانيين وآشوريين وبابليين... إلخ.

وهذه الأسماء لا تدل في معانيها وحقيقتها عند اليهود على كمال مطلق، بل قد تدل على النقص، وهي في التوراة كثيرة، نذكر هنا أهمها وأشهرها عندهم:

١- إيل:

اسم من أسماء الله في العبرية[١٩٩]، وهو مصطلح عام يعبر عن العظمة والنفوذ، وقد استخدم كاسم علم لإله إسرائيل في فترة متأخرة من فترات التوحيد، وذلك حينما اعتبروا اسم العلم "ياه" أو "يهوه" أقدس من أن يتردد على الشفاه، لكن المعنى الأصل للاسم "إيل"

---

[١٩٩] جاء في لسان العرب: وإيل: من أسماء الله عز وجل، عبراني أو سرياني، قال ابن الكلبي: وقولهم جبرائيل وميكائيل وشراحيل وإسرافيل وأشباهها إنما تنسب إلى الربوبية، لأن إيلا لغة في إل، وهو الله عز وجل (لسان العرب، لابن منظور، مادة أيل، ج١١، ص٤٠)، وفي القاموس المحيط: إِيلُ، بالكسر: اسمُ الله تعالى (القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة أيل،ص٩٦٤)، وفي المعجم الوسيط: إيل اسْم الله تَعَالَى بالعبرية (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة أيل، ج١، ص٣٤).

يحيط به الغموض والإبهام الكامل[٢٠٠].

وهذا الاسم هو من أقدم الأسماء التي وردت للدلالة على الإله الواحد، جاء في التوراة: فَدَعَت (أي هاجر جارية سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام) اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا: «أَنْتَ إِيلُ رُئِي»[٢٠١].

ولما عاد يعقوب عليه السلام من فدان أرام اشترى من بني حمور أرضًا وأقام مذبحًا لله، كما جاء في سفر التكوين: «وَأَقَامَ هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَاهُ إِيلَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ»[٢٠٢].

وكذلك لما عاد يعقوب عليه السلام إلى مدينة لَوز التي سميت بعد ذلك بيت إيل بنى مذبحًا لله: «وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا، وَدَعَا الْمَكَانَ إِيلَ بَيْتِ إِيلَ؛ لأَنَّهُ هُنَاكَ ظَهَرَ لَهُ اللهُ حِينَ هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَخِيهِ»[٢٠٣].

وقد ذكرت التوراة أن يعقوب عليه السلام قد سماه الله إسرائيل، وهو مكون من مقطعين: إسرا، وإيل، ومعناه يجاهد مع الله أو يصارع الله[٢٠٤].

وهذا الاسم كان معروفاً عند اليهود من قبل أن يعرفوا اسم"يهوه"الذي زعمت التوراة أن موسى عليه السلام علمهم إياه، ويقال إن "إيل" التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون.

وقد تستعمل كلة إيل بمفردها للدلالة على الإله الواحد، وقد تستعمل مع لقب من

---

[٢٠٠] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص ٣٧٩.

[٢٠١] سفر التكوين، إصحاح ١٦: ١٣.

[٢٠٢] سفر التكوين، إصحاح ٣٣:٢٠.

[٢٠٣] سفر التكوين، إصحاح ٣٥:٧.

[٢٠٤] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص٢٢٧.

ألقاب الله مثل: إيل عليون، ومعناه: الله العلي، وإيل شداي، ومعناه: الله القدير أو القادر على كل شيء[٢٠٥].

وقد تستعمل كجزء من أسماء عديدة كثيرة، فقد يضاف في أول الاسم مثل ألعاد، ومعناه: الله قد شهد، وأليعازر، ومعناه: الله قد أعان، وإيل بريث، ومعناه إله العهد، وأحيانًا يضيفونه في آخر الاسم فيقولون: إسرائيل، ومعناه عندهم: الذي جاهد مع الله، وميخائيل، ومعناه: من مثل الله، وجبرائيل، ومعناه:رجل الله، وبيت إيل، ومعناه: بيت الله.

وربما اختصروا الاسم فقالوا: "دانيال"، ومعناه: الله قضى، وحزقيال، ومعناه: الله يقوى.

وكثيراً ما يرد الاسم مع صفة من صفات الله مثل "إيل عليون" كما جاء في الأصل العبري أي الله العلي، وإيل شداي، كما جاء في الأصل العبري كذلك، أي الله القدير[٢٠٦].

وأحيانا يستخدم إيل للتعبير عن إله من آلهة الأموريين والكنعانيين[٢٠٧]، وقد ذكر الدكتور أحمد سوسة أن إيل كان أكبر آلهة الكنعانيين وأعلاها مقامًا، وكان يلقب بالإله العلي أو الإله العظيم، وأن التراتيل الكنعانية قد وصفته بأنه هو الذي يبعث الأمطار ويجري الأنهار، وهو القادر على كل شيء والحاكم والملك المطلق، ولا ينافسه أحد ولا يستطيع أن يرد حكمه السامي أحد، وقد عثر على كتاب موجه إلى أحد الملوك بدأه كاتبه بذكر الإله

---

[٢٠٥] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص٥٦٧.

[٢٠٦] قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠١، دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص٥٦٧.

[٢٠٧] قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠١.

إيل وتسميته بـ"سيد الآلهة الحامي"، وكان لإيل نفس المكانة السامية عند الآراميين، وورد اسمه في كتاباتهم، كما اتخذ الهكسوس اسم الإله إيل للتبرك به فأضافوه إلى أسماء بعض ملوكهم، فقد ورد ذكر أحد ملوكهم باسم "يعقوب أيل" ومعناه لِيَحمِ الإله أيل يعقوب[٢٠٨].

يقول الأستاذ أندرسون في مجموعة العهد القديم والدراسات العصرية: (إن إله الكنعانيين الأعلى "إيل" يعبد بأسماء متعددة بين الساميين الغربيين، ويعرف باسم شدَّاي، وإيل عليون، وسالم، وصادق، وحداد)[٢٠٩].

وفي تقديري أنه طالما أن "إيل" اسم لله تعالى، فطبيعي أن يكون هو الإله المعظم عند الكنعانيين والآراميين؛ لأن إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام قد عاش في أرض كنعان فلا غرابة أن يتوارث الكنعانيون اسم الإله الأوحد"إيل"والصفات التي يتصف بها، وطبيعي أيضًا أن يتأثر الآراميون كذلك؛ لأن إبراهيم عليه السلام نشأ بأرضهم وكانت بداية دعوته إلى التوحيد فيها قبل ينصرف عنها، وكذلك أسس دعوة التوحيد في جزيرة العرب التي يرجح بعض الباحثين أن أصول الهكسوس ترجع إلى بعض القبائل التي سكنتها، وبنى بيت الله فيها، حتى لقد ظلت دعوته متوارثة إلى عهد النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، فكان بعض أهل مكة يدينون بالحنيفية، كزيد بن عمرو بن نفيل وغيره.

وتوجد كلمات قريبة من كلمة إيل في اللغات السامية الأخرى، وتدل على معنى إله، فمثلا إيل في الأكادية تدل على إله على وجه العموم، وإيل في الأوجريتية اسم أبي الآلهة[٢١٠].

---

[٢٠٨] العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، ص ٢٦ -٢٧.

[٢٠٩] نقلاً عن كتاب:إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، ص ١١٧.

[٢١٠] قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠١.

٢- أدوناي:

هو في الأصل اسم وصفي، لكن أصبح اسمًا علمًا لله في عبرية ما قبل التاريخ، ومعناه في العبرية: السيد الرب، وهو لقب من ألقاب الإله، ويترجم عادة بـ"السيد"، ويستخدم أحيانًا بصيغة المفرد"أدون"، وأحيانًا بصيغة الجمع "أدوناي" باعتباره اسمًا من أسماء الإله وصيغة الجمع لتأكيد السيادة الكاملة للإله.

وهذا الاسم يستعمل في مخاطبة الإله بخشوع ووقار وهيبة[٢١١].

وكثيرًا ما يرتبط بالاسم "ياه"، وتترجم بـ"السيد الرب"، أو بالاسم إلوهيم، وتترجم بـ"الرب إلهي"[٢١٢].

وقد جاء في المزامير ما يشير إلى أن أدوناي هو ملاك الرب الذي بلغ مرتبة الألوهية: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ![٢١٣]؛ أي قال الرب "يهوه" لربي "أدوناي".

وتستخدم هذه الكلمة في المخطوطات العبرية للعهد القديم بديلاً لكلمة "يهوه"، التي لم يكن يسمح لليهودي أن ينطق بها، فعندما كان القارئ العبراني يصل إلى كلمة "يهوه"، كان ينطقها "أدوناي"[٢١٤].

وظل هذا الاستخدام منذ القدم، حتى ترجم اسم أدوناي في الكثير من آيات العهد

---

[٢١١] قاموس الكتاب المقدس، ص٧٧.

[٢١٢] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص ٣٩٢.

[٢١٣] المزامير، مزمور ١١٠: ١، وإن كان العهد القديم فسر هذه الفقرة بأنها خطاب من الآب للابن(انظر: دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص ٣٩٢).

[٢١٤] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص١٤٥.

القديم إلى كيريوس (يهوه)، ولا يـزال اليهـود حتى أيامنا هذه يقرؤون اسم يهوه في الكتاب المقدس العبري أدوناي، خوفاً من الزلل والخطأ في لفظ اسم الجلالة يهوه.

وقد بدأ هذا الأمر في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، حيث رأى كهنة اليهود وعلماؤهم أن الناس يرددون اسم"يهوه"في شيء من الاستهانة والاستهتار بما لا يليق بلفظ الجلالة، فحرموا على الجميع النطق بهذا الاسم، فلم يعد يحل لأحد أن ينطق به إلا رئيس الكهنة وحده أثناء الصلاة وإعطاء البركة في الهيكل، واستعاضوا عن اسم الجلالة"يهوه"بأسماء أخرى أهمها: أدوناي، أي السيد الرب[٢١٥]، ومن ثم صاروا حين يريدون أن ينطقوا باسم الله يقولون: أدوناي.

وإنما فعل الكهنة هذا تنفيذًا لما جاء في الوصية الثالثة من الوصايا العشر: «لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً»[٢١٦].

وقد نسب اليهود إلى اسم أدوني بعض أسمائهم، ومن ذلك: أدوني صادق[٢١٧] أي الرب عادل، وأدونيًا[٢١٨] أي الرب(سيدي) هو الله[٢١٩].

٣ – شدَّاي:

وهـذا الاسـم هـو أحـد ألقاب الإله الوصفية في العبرية، ومعناه القدير أو القوي، وقد

---

[٢١٥] وهما اللفظان اللذان وردا في الترجمات العربية.

[٢١٦] سفر الخروج، إصحاح٢٠: ٧، وسفر التثنية، إصحاح ٥: ١١، وانظر: أسماء الله يهوه وإيلوهيم وأدوناي، البعد الكتابي لأسماء الله باللغة العبرية للأب أنطونيوس لحدو، مقال على الشبكة العنكبوتية.

[٢١٧] سفر يشوع: إصحاح١٠: ١.

[٢١٨] سفر صموئيل الثاني: إصحاح٣: ٤.

[٢١٩] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص١٤٥.

ترجم هكذا في الكثير من المواضع في التوراة كما في سفر التكوين[٢٢٠] وسفر العدد[٢٢١]، كما ترجم بمعنى القادر أو القادر على كل شيء، وهو نفس المعنى، كما في سفر الخروج[٢٢٢]، وسفر إشعياء[٢٢٣].

يقول الأستاذ حبيب سعيد: وهذا الإله يظهر لإبراهيم باسم شدَّاي أي القدير الكامل، وذلك عند تكرار الوعد بإعطائه نسلاً[٢٢٤].

ويرى البعض أن شداي مأخوذ من الكلمة العبرية شدد والتي تعني: يدمر أو يرعب، للتعبير عن الإله الظاهر في أعماله الجبارة المرعبة، واستخدام هذا الاسم يدل على توحيد الإله المصحوب بالهيبة التي تبعث في النفوس الرعب والخوف من هذا الإله[٢٢٥].

ويرى البعض أن معنى شداي: إله الجبال، أي الإله القوي، ولا اختلاف فالمعنى في النهاية واحد يرجع إلى القدرة والقوة.

وقد استخدم هذا الاسم غالبًا مفردًا، وأحيانًا كان يستخدم مركبًا، مثل:"إيل شداي"، وقد أضيفت بعض الأسماء إلى هذا الاسم مثل:

---

[٢٢٠] إصحاح ١٧: ١، وإصحاح ٢٨: ٣، وغيرها.

[٢٢١] إصحاح٢٤: ٤و إصحاح ٢٤: ١٦.

[٢٢٢] إصحاح ٦: ٣.

[٢٢٣] إصحاح١٣: ٦.

[٢٢٤] المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، ص٧٤.

[٢٢٥] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص٣٩٣.

صوريشداي[٢٢٦]، عَمِّيشَدَّاي[٢٢٧].

٤- إلوهيم :

إلوهيم كلمة عبرية لوصف الإله أو الآلهة، وهي مكونة من قسمين: "أيلوه"بمعنى إله، و"يم"تفيد الجمع، فالمعنى الحرفي للكلمة: الآلهة، وهو من أقدم أسماء الإله المعروفة للجنس البشري وأكثرها انتشارًا، وبحسب دائرة المعارف الكتابية فإن اسم إلوهيم مشتق من اسم"إيل"، ويعني: الخالق القدير[٢٢٨].

ويستعمل إلوهيم في التوراة ليدل على صفة الإله الواحد الحقيقي، كخالق عظيم، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود[٢٢٩].

وإلوهيم اسم عام قد يطلق على الآلهة الأخرى، مثل كموش إله المؤابيين، وعشتار إلاهة الصيدونيين، وبعلزبون إله عقرون[٢٣٠]، يقول الأستاذ حبيب سعيد: وهنا نلاحظ أنه

---

[٢٢٦] العدد، إصحاح ١: ٦، وإصحاح ٧: ٣٦، وهو اسم عبري معناه: القادر على كل شيء صخرة، اسم أبي رئيس سبط شمعون عند خروج بني إسرائيل من مصر(انظر: قاموس الكتاب المقدس الإلكتروني، المنشور على موقع البشارة على الشبكة العنكبوتية)

[٢٢٧] العدد إصحاح١٠: ٢٥، وهو اسم عبري معناه: القدير عمّي، وهو أبو اخيعزر المسؤول عن تعداد الشعب في دان(انظر: قاموس الكتاب المقدس الإلكتروني، المنشور على موقع البشارة على الشبكة العنكبوتية).

[٢٢٨] دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص٣٧٩.

[٢٢٩] قاموس الكتاب المقدس، ص٧٧.

[٢٣٠] المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، جمعية الكتاب المقدس، ط ١،٢٠٠٣م، ص١٤١.

أطلق على الله أربعة أسماء لكل منها دلالته الخاصة: الله"إلوهيم"اسم نكرة يطلق على أي إله وهو قد يطلق على آلهة الوثنيين[٢٣١].

وقد تباينت آراء الباحثين حول سبب مجيء كلمة "إلوهيم" جمعًا، فأرجع الدكتور اللاهوتي الخوري بولس الفغالي سبب ذلك إلى أن نهاية الكلمة هي بمثابة علامة التنوين في اللغة العربية، كما نقول: اللهم[٢٣٢]، واستدل على هذا بأن كلمة إلوهيم تستخدم في الأوغاريتية في صيغة المفرد كاسم علم لإله محدد هو إيل.

ويمكن ان نعتبر "إلوهيم" كتضخيم للكلمة وكرفع شخص محدد لمستوى شامل، وهذا ما يسمى جمع الرفعة والجلال[٢٣٣]، أو هي جمع للدلالة على أن إله إسرائيل يقوم بعمل ما كان يعتقده الشعوب الأخرى أن آلهتهم تقوم به،فإلوهيم رحيم يراعي في أعماله القوانين الأخلاقية، وهو إله قادر يخلق السموات والأرض بالكلمة، فيقول كن فيكون[٢٣٤].

لكن مؤلفو كتاب تفسير العهد القديم كانوا يرون أن كلمة إلوهيم جاءت في العبرية بصيغة الجمع إشارة إلى الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس[٢٣٥]

---

[٢٣١] المدخل إلى الكتاب المقدس، ص ٧٤.

[٢٣٢] ربما يقصد الميم المشددة التي تلحق آخر لفظ الجلالة كتعويض عن ياء النداء المحذوفة.

[٢٣٣] المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، ص١٤١.

[٢٣٤] اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، ص ١٦.

[٢٣٥] لم أكن أفهم أو أستوعب ما يتردد في كتابات النصارى من أن كلمة كذا أو المصطلح الفلاني أو التعبير الفلاني الوارد في العهد القديم إشارة إلى الثالوث أو إلى يسوع المخلص الذي جاء ليفدي البشر ويخلصهم، وذلك بسبب العداء المعروف لدى اليهود للمسيح عليه السلام، والذي من شأنه أن يدفع اليهود –وقد حرفوا وبدلوا في كتابهم المقدس " التوراة "– إلى حذف وتبديل كل ما فيه إشارة إلى المسيح=

فهم يقولون: الله أتت في اللغة العبرية "ألوهيم" أي بالجمع وتعني الله المثلث الأقانيم، مع أن كلمة"خلق"أتت في العبرية بالمفرد، ومعنى ذلك أن الله الواحد المثلث الأقانيم هو الذي خلق العالم[٢٣٦].

بينما يرى الدكتور مُحَمَّد أحمد الحاج أن هذه الصيغة هي التي أطلقها التعدديون الذين اعتبروا أن التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلهاً واحداً، وهذا هو الاسم

=من قريب أو بعيد. لم أكن أفهم هذا الأمر حتى وقفت على تفسيرات النصارى للكتاب المقدس وبخاصة العهد القديم، فهم باختصار يعتقدون أن الله إنما خلق الكون من أجل المسيح ونزوله ليخلص البشر من الخطيئة في هذه القصة الطويلة التي تبدأ بوقوع آدم في الخطيئة بإغواء من حواء التي غرتها الحية (الشيطان) وخدعتها، فبشر الله حواء بأن نسلها (يقصد المسيح) سيسحق رأس الحية على الصليب ويقيده، وأن شجرة الحياة التي أكل منها آدم عليه السلام إنما ترمز للمسيح الذي هو مصدر الحياة داخل القلب وداخل الفردوس وداخل العالم كله، والذبيحة التي عملها الله لآدم بعد وقوعه في الخطيئة وألبسه جلدها وكذلك التي قدمها هابيل ويقدمها كل نسل آدم إنما هي إشارة إلى ذبيحة المسيح، وأنه لا مغفرة ولا تغطية للخطيئة بدون سفك دماء (الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم)، (سفر التكوين)، إعداد مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، الناشر كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية، مصر،ط١، ٢٠٠٦،ج١، ص ١٨ – ١٩) بل إنهم يعتقدون أن الثالوث وجد قبل ان يخلق البشر، فهم يعلقون على ما جاء في سفر التكوين: وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا (إصحاح ١: ٢٦)، مفسرين كلام الله عن نفسه بصيغة الجمع هنا عند خلقه الإنسان فقط، مع أنه تكلم بصيغة الإفراد مع خلقه للمخلوقات الأخرى بأن ذلك إعلان للثالوث المقدس الذي خلق العالم كله، وإنما أعلن مع الإنسان فقط؛ لأن خلق الإنسان هو أهم عمل عمله الله (الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم سفر التكوين، ج١، ص ٣١).

[٢٣٦] الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، سفر التكوين، ج١، ص ٢٢.

الدارج عند اليهود اليوم [٢٣٧].

٥- يَهْوَهْ[٢٣٨]:

هذا الاسم هو الذي يشغل حيزًا كبيرًا عند الباحثين في حديثهم عن آلهة اليهود، وذلك يرجع لعدة أسباب منها أنه أقدس أسماء الإله وأكثرها تمييزًا له عند اليهود؛ لأنه يجعل الإله معينا معلنًا يستطيع الإنسان أن يدعوه ويتوجه إليه، غير أن هذا الاسم يكتنفه غموض وإشكال كبير، أوقع الباحثين في حيرة وخلاف؛ لأنه لا يعلم اشتقاق هذا الاسم على وجه اليقين[٢٣٩].

فيرى بعض الباحثين أن كلمة يهوه أو ياهو هي فعل المضارع من هيه أو هوه كما كان في الأصل، ومعناه كان أو حدث، أو وجد، والاسم بهذا يعني: الذي كان، أو الذي أعلن ذاته وصفاته، وقد جاء في سفر الخروج: فَقَالَ مُوسَى لِلهِ: ... فَإِذَا قَالُوا لِي:مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ([٢٤٠]) وتعني أنا من هو، وهي تدل بهذا

---

[٢٣٧] مقدمة هداية الحيارى، الدكتور مُحَمَّد أحمد الحاج، ص ٢٠٥.

[٢٣٨] بفتح الياء وسكون الهاء وفتح الواو وكانوا يكتبونه بالأحرف الأربعة ي. هـ. و. هـ (J. H. V. H) لأن اللغة العبرية كانت تكتب بدون حروف العلة إلى سنة ٥٠٠ م، فأصبحت الكلمة تكتب يهوه أو يهوا أو ياهو وصار معناها سيد أو إله، ولما ابتكرت علامات ضبط الحروف العبرية في القرن السابع الميلادي كانوا في معابدهم يتورعون عن النطق باسم الله إذ كان ذلك محرمًا عليهم فكانوا يستخدمون كلمة أدوناي أو أدونا والتي تعني ربي (انظر: اليهودية في العقيدة والتاريخ، عصام الدين حفني ناصف، ص٩٦، اليهودية، أحمد شلبي، ص ١٧٦).

[٢٣٩] دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص ٣٩٢، قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٢٩، التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب، دار النفائس، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٢٣وما بعدها.

[٢٤٠] سفر الخروج، إصحاح ٣: ١٣ -١٤.

على كينونة الإله ومشيئة وعمله وأمانته نحو شعبه[٢٤١].

وقد ذهب زكي شنودة إلى أن يهوه لفظ عبري معناه: الموجود، أو الكائن، أو الذي كان؛ لأنه مشتق من اللفظ العبري (هيه) أو (هوه) الذي يفيد الوجود أو الكينونة، وقد أطلقت التوراة اسم (يهوه) على الله في المواضع التي اعتبرته فيها إله اليهود وحدهم، وهو الذي أعلن نفسه بهذا الاسم لموسى، في حين أن هذا الاسم كان خافيًا عنهم قبل ذلك[٢٤٢].

يقول الأستاذ ربحي كمال: (يهوه) هو معبود بني إسرائيل، وهو اسم علم مفرد مذكر، وروعيَ في وضع هذا الاسم الدلالة على كينونة الذات الإلهيّة في الأزل والأبد والحال[٢٤٣].

ويجزم الدكتور مُحَمَّد بحر عبد المجيد أن اسم ياهو مشتق من مصدر الكينونة في اللغة العبرية، فيقول: والاسم يهوه مشتق من مصدر الكينونة في اللغة العبرية، ربما للدلالة على أن الإله أزلي أبدي، ...، والفقرة الثالثة من من الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج ربما تؤيد أن الاسم يدل على الكينونة إذ تقول الفقرة: وقال الرب لموسى أكون الذي أكون[٢٤٤].

بينما يرى المستشرق مرجليوس أن الاسم عربي، ومما يدعم هذا الرأي أن يهوه أول ما عرف في شبه جزيرة سيناء في الجزء المتاخم لشمال الجزيرة العربية، وفي أماكن متاخمة لهذه المنطقة، فجبل سيناء وحوريب وقادش كلها في جنوب فلسطين قريب من الجزيرة العربية[٢٤٥].

---

[٢٤١] قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٢٩، المحيط الجامع في الكتاب المقدس، ص١٤١٦.

[٢٤٢] اليهودية، زكي شنودة ص ٢٩٣.

[٢٤٣] دروس في اللغة العبرية، ربحي كمال، مطبعة جامعة دمشق، ط٣، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ص٥٦٠.

[٢٤٤] اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، ص ١٣- ١٥.

[٢٤٥] اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، ص ١٣- ١٤.

وقد أشار مؤلفو دائرة المعارف الكتابية إلى أن الاسم لا يعلم له اشتقاق على وجه اليقين، لكنهم رجحوا أنه مشتق من الحياة، فقالوا: "والأرجح أن الاسم مشتق من الحَيْوَةِ، كما سميت حواء بذلك؛ لأنها أم كل حي، فأهية هي أحيا، بإبدال الحاء هاءً، وهو أمر وارد كثيراً[٢٤٦].

وهذا ما ذهب إليه الأستاذ العقاد فقال: وهو (يعني يهوه) اسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب (يا هو) لأن بني إسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيراً، ويكتفون بالإشارة إليه[٢٤٧].

ويذهب البعض أن اسم يَهْوَه مشتق من الفعل هوى بمعنى سقط أي أنه هو المسقط للمطر والصواعق ويربطون معنى هذا الاستقاق بالصفات التي عرفت عن يهوه كإله العواصف والبروق والقوى الطبيعية[٢٤٨].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل اسم يهوه – الذي هو أشهر اسم لإله اليهود – اسم يهودي خاص بإله اليهود؟

يجيب الأستاذ عصام الدين حفني ناصف على هذا السؤال قائلاً: كان يهوه أول أمره إلهًا من آلهة الطبيعة، كان إلهًا للجبال، ثم أصبح إلهًا قبليًا مقاتلاً؛ لأن رجال القبيلة التي عبدته كانوا مقاتلين مظفرين ذوي شوكة وبأس، وظل هذا شأنه حتى السبي البابلي، ثم شملته حركة الترقيات، فأصبح عميدًا للآلهة في فلسطين،...؛ لهذا نرى سفري التثنية ويشوع يصوران يهوه في صورة الطاغية الذي يهيمن على سائر الآلهة[٢٤٩].

---

[٢٤٦] دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٣٩٢– ٣٩٣.

[٢٤٧] الله، للعقاد، درا نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥، ص٧٤.

[٢٤٨] انظر: اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، ص١٤.

[٢٤٩] اليهودية في العقيدة والتاريخ،عصام الدين حفني ناصف، ص٩٥.

ويرى الخوري بولس الفغالي أن يهوه كان معروفًا منذ القدم عند الشعوب السامية، وأن موسى عليه السلام هو الذي أعطاه مدلولاً جديدًا، فقد تزوج موسى من ابنة الكاهن القيني، وتعرف وهو مقيم في سيناء على إله القينيين الذي كانوا يعبدونه، ثم فرضه على قبائل بني إسرائيل، وجعل يهوه اسمًا خاصًا لإله بني إسرائيل(٢٥٠).

وقول الفغالي إن موسى أخذ اسم يهوه وفرضه على بني إسرائيل ليس بالصواب بل هو خطأ محض وهو أيضًا مخالف لما جاء في التوراة التي تصرح أن الإله هو الذي أخبر موسى باسمه هذا الذي لم يكن معروفًا على عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب: «ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: أَنَا الرَّبُّ، وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَمَّا بِاسْمِي "يَهْوَهْ" فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ»(٢٥١).

ودليل ذلك أن موسى عليه السلام خرج من مدين هو وزوجه فلما وصل الجبل – أي جبل الطور في سيناء – قال له الرب: «فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، فَقَالَ مُوسَى للهِ: مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟، فَقَالَ: إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ، ...، فَقَالَ مُوسَى للهِ: هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟ ...، وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ

(٢٥٠) المحيط الجامع في الكتاب المقدس، ص١٤١٧.

(٢٥١) سفر الخروج، إصحاح ٦: ٢- ٣.

يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ»[٢٥٢].

فموسى لم يكن يعرف الاسم ولم يكن أخذه من القينيين ثم فرضه على بني إسراءيل، لكنه سأل الرب الذي أرسله عن اسمه حتى إذا قال للقوم إن الرب قد أرسلني وسألوه عن اسمه أخبرهم به.

ومما يؤكد أن يهوه ليس خاصًا باليهود أنه قد وجد من بين الآثار في كنعان عام ١٩٣١م قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ ق. م) عليها اسم إله كنعاني يسمى ياه أو ياهو[٢٥٣].

وقد طرح الدكتور أحمد شلبي سؤالاً مؤداه: هل"يَهْوَه"هو اسم الإله عند اليهود أو في اللغة العبرية؟

ثم تولى الإجابة على هذا السؤال قائلاً: "إن الإجابة على هذا السؤال تجيء بالنفي القاطع؛ لأن الصفات التي ذكرها اليهود لـ(يهوه) تبعُدُ كل البعد عما يتصف به الإله عند أي جماعة من جماعات المتدينين، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً ولا هادياً، وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم ...، فيهوه ليس خالقاً لهم بل مخلوق لهم، وهو لا يأمرهم، بل يسير على هواهم، وكثيراً ما يأتمر بأمرهم، وفي يهوه صفات الحربية إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، وهو يأمرهم بالسرقة إن أرادوا أن يسرقوا، ويتعلم منهم ما يريدونه أن يعلم[٢٥٤].

---

[٢٥٢] سفر الخروج، إصحاح ٣: ١٠- ١٥.

[٢٥٣] قصة الحضارة،وِل ديورانت، ج٢، هامش ص٣٤٠.

[٢٥٤] اليهودية، أحمد شلبي، ص ١٧٦ - ١٧٧.

وقد أشار وِل ديورانت إلى اختلاق اليهود لهذا الإله بتلك الصفات التي وصفوه بها في إله من صنع الأهواء، يوافق شهوات وميول معبوديه أو بالأحرى مختلقيه، يقول ديورانت: يبدو أن اليهود الفاتحين عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها وجعلوا منه إلهًا صارمًا ذا نزعة حربية، صعب المراس، ثم جعلوا لهذه الصفات حدودًا تكاد تبعث الحب في القلوب...وقصارى القول أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا[٢٥٥].

لأجل هذا كان اليهود يعتقدون أن يهوه هو الإله الواحد، لكن عندهم هم فقط، فهو إلههم وحدهم دون عامة البشر، أمّا الشعوب والأمم الأخرى، فلها ألهتها الخاصة التي تحميها وترعاها؛ لذا كانوا يذكرونه بلفظ ربنا، ويقصدون ربنا وحدنا دون باقي الناس، وكانوا يعتقدون أن معبودات القبائل المتاخمة لهم هي أيضًا آلهة[٢٥٦]، وإن كانت دون يهوه شأنًا وقوة، جاء في المزامير: «لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ»[٢٥٧].

وفي المزامير كذلك: وَرَبُّنَا فَوْقَ جَمِيعِ الآلِهَةِ[٢٥٨].

---

[٢٥٥] قصة الحضارة، ديورانت، ج٢، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

[٢٥٦] قد يعترض البعض على هذا الأمر ويقول: إنهم كانوا يقصدون التسمية اللغوية فقط، وقد سمى القرآن الكريم ما يعبد من دون الله إلهًا، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (سورة الفرقان: ٤٣)، ويرد على هؤلاء ما جاء في سفر الملوك الثاني من قول ملاك= =الرب لإيليَّا التِّشْبِيِّ وَقُلْ لَهُمْ: أليس لأَنَّهُ لاَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلهٌ، تَذْهَبُونَ لِتَسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلهَ عَقْرُونَ؟، فهذا القول يدل على أنهم كانوا يذهبون لهذه المعبودات معتقدين أنها آلهة، وإلا لم يذهبوا إليها.

[٢٥٧] المزمور ٨٦: ٨.

[٢٥٨] المزمور ١٣٥: ٥.

وجاء في سفر الملوك الثاني: فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لإِيلِيَّا التِّشْبِيِّ: قُمِ اصْعَدْ لِلِقَاءِ رُسُلِ مَلِكِ السَّامِرَةِ وَقُلْ لَهُمْ: أليس لأَنَّهُ لاَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلهٌ، تَذْهَبُونَ لِتَسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلهَ عَقْرُونَ؟[٢٥٩].

وَوَقَفَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ تُجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ إِلهٌ مِثْلَكَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ[٢٦٠].

ومع ذلك لم يكن يهوه الإله الأوحد الذي يعترف اليهود بوجوده، أو يعترف هو نفسه بوجوده، والدليل على ذلك أن كل ما يطلبه في الوصية الأولى من الوصايا العشر هو أن يقوم مقام سائِر الأرباب: وهو يقر بأنه إله غيور ويأمر أتباعه بهدم مذابحهم، وتكسير أنصابهم وأبادتهم، وقلما كان اليهود قبل إشعياء يفكرون في أن يهوه إله الأسباط جميعًا، أو حتى إله العبرانيين جميعًا.

ويعلل ديورانت هذا الأمر قائلا: "ذلك أن النزعة الانفصالية التي كانت تتملك نفوس أولئك القوم من الناحيتين الاقتصاد

تسميه استقلالاً دينيًا ولم يكن جميع اليهود اللهم إلا أعظمهم علمًا يعدون تَمُّوز إلهًا حقًا فحسب، بل إن عبادته فضلاً عن هذا كانت في وقت من الأوقات منتشرة في بلاد اليهود، حتى لقد شكا حزقيال من أن البكاء حزنًا على تموز كان يسمع في الهيكل لقد كان ما بين اليهود من فوارق وما كان لهم من استقلال كافيين لأن تبقى لطوائفهم آلهتم الخاصة، حتى في

---

[٢٥٩] سفر الملوك الثاني، إصحاح ١: ٣.

[٢٦٠] سفر الملوك الأول، إصحاح ٨: ٢٢ -٢٣.

زمن إرميًا على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا، ثم يظهر النبي الحزين غضبه على بني وطنه لأنهم يعبدون بعلاً ومولك[٢٦١].

والتوراة تصرح أن اسم يهوه ولم يكن معروفًا قبل موسى، فعلى عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يكن الإله معروفًا باسم يهوه، تقول التوراة: «ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: أَنَا الرَّبُّ، وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَمَّا بِاسْمِي "يَهْوَهْ" فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ»[٢٦٢].

هذا على الرغم من وجود بعض الآثار الكنعانية التي تذكر وجود إله كنعاني له نفس الاسم، وذلك قبل زمن موسى عليه السلام بأكثر من ألف عام.

وقد نسب اليهود أسماءهم أو أسماء مدنهم أو المواضع المقدسة لديهم إلى اسم (يهوه)، ومن هذه الأسماء:

يهوناثان[٢٦٣]؛ ومعناه: يهوه أعطى.

ومنها: يهوناداب[٢٦٤]؛ ومعناه: يهوه كريم.

ومنها:يهو ياداع[٢٦٥]؛ ومعناه: الله يعرف.

---

[٢٦١] قصة الحضارة، ديورنت، ج٢، ص ٣٤٣.

[٢٦٢] سفر الخروج، إصحاح ٦: ٢- ٣.

[٢٦٣] سفر القضاة، إصحاح ١٨: ٣٠.

[٢٦٤] سفر الملوك ٢، إصحاح ١٠: ١٥.

[٢٦٥] سفر صموئيل الثاني، إصحاح ٨: ١٨.

ومنها: يهو ياريب[٢٦٦]؛ ومعناه الله يحارب.

ومنها: يهوياقيم[٢٦٧]؛ ومعناه: الله يقيم، ومنها: يهوياكين[٢٦٨]؛ ومعناه: يهوه يثبت.

ومن أسماء مدنهم: يهوه شمة[٢٦٩]؛ ومعناه: الله هناك.

ومن أسماء مذابحهم: يهوه شلوم[٢٧٠]؛ ومعناه: الله سلام، ومنها: يهوه نسي[٢٧١]؛ ومعناه:يهوه رايتي.

ومن أسماء المواضع المقدسة لديهم: يهوه يرأه[٢٧٢]؛ ومعناه: الله يرى.

وأحياناً يختصرون اسم (يهوه) في أول الاسم الذي ينسبونه إليه فيقولون: يوآب[٢٧٣]؛ ومعناه: يهوه أب، ويوآخ[٢٧٤]؛ ومعناه: يهوه أخ، ويوحنان[٢٧٥]؛ ومعناه: الله حنون، ويوصاداق[٢٧٦]؛ ومعناه: الله عادل.

---

[٢٦٦] أخبار الأيام الأول، إصحاح ٢٤: ٧.

[٢٦٧] سفر الملوك الثاني، إصحاح ٢٣: ٣٤.

[٢٦٨] سفر الملوك الثاني، إصحاح ٢٤: ٨.

[٢٦٩] سفر حزقيال، إصحاح ٤٨: ٣٥.

[٢٧٠] سفر القضاة، إصحاح ٦: ٢٤.

[٢٧١] سفر الخروج، إصحاح ١٧: ١٥.

[٢٧٢] سفر التكوين، إصحاح: ٢٢: ١٤.

[٢٧٣] أخبار الأيام الأول، إصحاح ٤: ١٤.

[٢٧٤] سفر الملوك ٢، إصحاح ١٨: ١٨.

[٢٧٥] سفر الملوك الثاني، إصحاح ٢٥: ٢٣.

[٢٧٦] سفر عزرا، إصحاح ٣: ٢.

كما يختصرون الاسم في آخره فيقولون: بناياهو[٢٧٧]؛ ومعناه: الذي بناه الله[٢٧٨].

أما صفات الإله يهوه:

فقد صور العهد القديم يهوه على أنه إله القوى الطبيعية، ويظهر وسط الرعد والبرق والسحب، ويزلزل الجبال وترعد له الأرض وتمطر السماء عند ظهوره[٢٧٩]، ونسب العهد القديم إليه صورًا من القسوة والوحشية التي لا تليق بإله كيهوه، فهوه يرضى بأن تحرق المدن وتدمر، ويقتل أهلها شيوخًا وأطفالاً ونساءً ليكونوا قربانًا له.

كما ذكر في سفر العدد، حيث دفع الكنعانيين في يد الإسرائيليين فحرقوا كقربان ليهوه[٢٨٠]، وجاء في صموئيل الأول: «فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا»[٢٨١].

وفي سفر التثنية يأمر يهوه الإسرائيليين بقتل كل حي في المدينة وجمع الأمتعة في وسط ساحة المدينة، وحفر المدينة لتكون تلاً إلى الأبد[٢٨٢]، وربما تدل النصوص على مدى تأثر اليهود بديانات الشعوب التي عاشوا بينها، فنجد فكرة "تحريم" المدن المفتوحة مثلا عند المؤابيين، كما يتضح من السطر السادس عشر و السابع عشر من النقش المعروف بنقش

---

[٢٧٧] سفر صموئيل الثاني، إصحاح٢٣: ٢٠.

[٢٧٨] انظر في ذلك كله، وزيادة عليه: قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٢٦ – ٧٣٢.

[٢٧٩] سفر القضاة، إصحاح ٥: ٤ – ٥.

[٢٨٠] سفر العدد، إصحاح ٢١: ٢– ٣.

[٢٨١] سفر صموئيل الأول، إصحاح ١٥: ٣.

[٢٨٢] سفر التثنية، إصحاح ١٣: ١٥ – ١ ٧.

ميشع المؤابي، فيقول ميشع أنه قتل سبعة آلاف وأحرمهم لعشتركموش، وربما تحريم المدن كان صورة من صور القرابين البشرية كانت تقدم للآلهة.

ويهوه كغيره من آلهة الشعوب الأخرى إله متعصب لشعبه ينصرهم ظالمين أو مظلومين، ويحل لليهود خداع غير اليهودي وسرقة ماله، فقد أمر يهوه اليهوديات بسلب جاراتهن المصريات ليلة الخروج من مصر[٢٨٣].

ومن مظاهر تعصبه أنه لم يكن يسلم شعبه إلى أعدائهم قط حتى ولو كان شعبه هو المخطيء، اللهم إلا إذا أخطأ الشعب في حق يهوه فإنه في هذه الحالة يسلمه إلى العدو، وكان يهوه يعاقب الأبناء على الجرائم التي يرتكبها الآباء، ويعاقب الشعب على ما يرتكبه الملك، كما يعاقب على الأخطاء التي ترتكب من غير قصد، وينسب العهد القديم إلى يهوه أعمال الإنسان وحركاته وأحاسيسه، فهو إله يغضب ويثور ويندم ويحزن[٢٨٤].

يقول وِل ديورانت: "يبدو أن اليهود الفاتحين عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهًا صارمًا ذا نزعة حربية، صعب المراس، ثم جعلوا لهذه الصفات حدودًا تكاد تبعث الحب في القلوب، ذلك أن هذا الإله لا يكلف الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء، وشاهد ذلك أنه يطلب إلى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يهلك أبناءهم على علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين، وكذلك لا يرى أنه معصوم من الخطأ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء أنه خلق الإنسان، ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاؤل ملكًا، وتراه من حين إلى حين شرهًا، غضوبًا متعطشًا للدماء متقلب الأطوار نزقًا نكدًا،

---

[٢٨٣] سفر الخروج،إصحاح: ٢١، ٢٢.

[٢٨٤] اليهودية، محمد بحر عبد المجيد، ص ١٣ – ١٥، بتصرف.

...، وهو لا يرضى عما استخدمه يعقوب من ختل وخداع في الانتقام من لابان، وضميره لا يقل مرونة عن ضمير الأسف الذي يندفع في تيار السياسة، وهو كثير الكلام يحب إلقاء الخطب الطوال وهو حيي لا يسمح للناس أن يروا منه إلا ظهره، وقصارى القول أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا[٢٨٥].

[٢٨٥] قصة الحضارة، ديورانت، ج٢، ٣٣٩ – ٣٤٠.

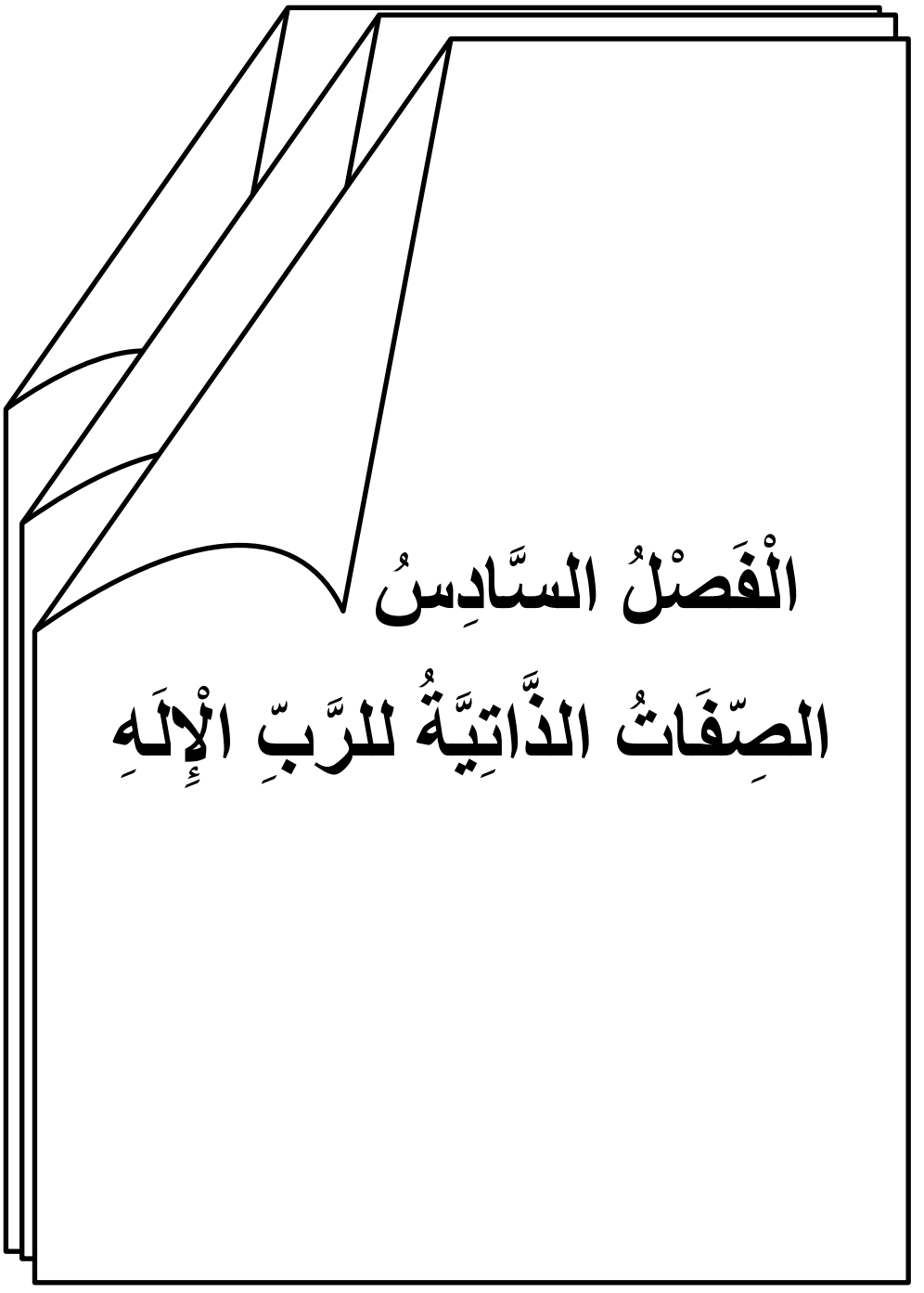

الْفَصْلُ السَّادِسُ

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ للرَّبِّ الْإِلَهِ

●● إن الله سبحانه وتعالى هو الإله الذي عرفه البشر بفطرتهم السليمة وأخبرت به الأنبياء ودلت عليه، ونزلت الكتب السماوية دالة عليه وعلى أسمائه وصفاته، آمرة بعبادته وتوحيده، الإله القدير الحكيم الخالق الرازق الواحد المتفرد في ذاته، وفي أسمائه وصفاته، إله جميع الخلق، رب السماوات وما أظلت، ورب الأرض وما أقلت، رب لكل البشر، وليس لطائفة من الطوائف، أو جماعة من الجماعات، لا يحابي أحدًا من خلقة ولا ينحاز لطائفة دون طائفة، بل يضع الموازين القسط، رحيم بعباده جميعهم، لا يأمر بالسوء ولا الفحشاء ولا يرضاهما لعباده، ولا يرضى لعبادة الكفر ولا الحقد ولا الشر ولا المنكر، ولا يأمر عباده إلا بما يصلح أمر الدنيا والآخرة، كريم حليم غفور رحيم، اتصف بكل صفات الكمال والجلال، وتنزه عن كل النقص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورى].

●● أما إله اليهود فهو إله صنعته أهواؤهم وتخيلاتهم، وأضفت عليه من الصفات والنعوت ما يتناسب مع طبائعهم التي تميل إلى العناد والشر والحقد والكراهية العنصرية المقيتة، ويتواءم مع نفسياتهم المريضة التي ترفع شعار القسوة والوحشية، وتتعطش للانتقام وسفك الدماء؛ لذا جاء الإله انعكاسًا لهذه الطبائع، وصورة مجسمة لتلك النفسيات.

●● فترى التوراة التي حرفوها تصف الرب الإله بصفات المخلوقين دون تفريق بينه وبينهم، فذات الرب لا تختلف عن ذات المخلوقين، وكذا صفاته لا تختلف عن صفاتهم، بما في ذلك الصفات التي يستقبح الناس الاتصاف بها، كالاندفاع خلف الشهوات والرغبة في الانتقام، والضعف والجهل الشديد إلى غير ذلك، مما يأنف الإنسان أن يتصف به.

●● والغريب في الأمر أنك تسمع الرب في توراتهم يصرح باتصافه بهذه الصفات أو

لوازمها دون خجل حتى وإن كانت قبيحة، ويتكرر هذا التصريح في عدة مواضع من هذه التوراة.

ولو أنك تأملت هذا الأمر وأعملت فيه العقل لبرهة لهالك الأمر؛ لأن العقل يحيل أن يتصف الرب بهذه الصفات المستقبحة في نظر عموم الناس، ولدارت في داخلك أسئلة مقلقة محيرة، يتوقف العقل عندها فلا يجد لها جوابًا.

فكيف يتصف الرب الإله بهذه الصفات، والأصل في الرب الإله أن يتصف بالكمال المطلق؟ !

وهل يعقل أن يكون الرب الإله كالمخلوقين يشعر بما يشعرون به من الأسف والحزن، والسعادة ... إلخ؟، ويعاني مما يعانون منه من الضعف والعجز والجهل.... إلخ؟!

وإذا كان الرب الإله مثلي في كل الصفات، لا يختلف عني في شيء فلماذا أعبده؟! وما الذي يميزه عني فيجعلني ألجأ إليه وأخضع له وأذل؟!

أليس من الممكن أن أكون أنا أفضل منه؛ إذ قد يخطر ببالي شيء مما فيه الخير والنفع لي وللناس لا يخطر بباله – وهو مثلي –؟! كما يحدث ذلك في دنيا الناس فهم على تماثلهم قد يخطر ببال هذا ما لا يخطر ببال هذا، وقد يفعل هذا ما لا يستطيع أن يفعله هذا ...إلخ.

وهل من المعقول أن يكون هذا الرب الإله العاجز هو الخالق لهذا الكون العظيم الذي لا يستطيع الإنسان أن يحيط بما فيه من المخلوقات؟ !

وهل من المعقول أن يكون هذا الرب الإله الضعيف هو الذي يدبر أمر هذا الكون يسيره ويسير هذه الأفلاك التي تتحرك في نظام بديع في غاية الدقة والإتقان؟.

وهل..؟، وهل..؟.... وهل؟..... وكيف؟.

أسئلة محيرة حقًا يتحير العقل فيها ويتوقف عندها فلا يجد لها جوابًا، وليس أمامه طريق إلا أن يكذب هذه الكتب المنزلة ويقر ببطلانها، أو يسلم لها ويؤمن بما جاء فيها، ولكن في هذه الحالة هو مضطر أن يتخلى عن عقله، ويلغي فكره تمامًا؛ لأنه لو فكر لبرهة لضاع إيمانه.

وفي المبحثين الآتيين نعرض لبعض الصفات الذاتية التي وصفوا -أو بالأحرى انتقصوا- بها الرب الإله؛ لزيغهم وضلالهم وفساد عقائدهم.

المبحث الأول

الصفات الحسية للذات الإلهية عند اليهود

١- التجسيم

لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الأحد، الذي دعا لعبادته الأنبياء والرسل بل كان اتجاههم إلى التجسيم، والتعدد هو الصفة البارزة لكل متتبع للتوراة والتلمود وسائر كتبهم الدينية.

ولا ننكر أن النزعة التوحيدية كانت موجودة في تراث اليهود الديني، ففي التوراة، وفي التلمود أيضًا نصوص كثيرة تؤكد وحدانية الإله، وتساميه، وترفض النزعات الحلولية التجسيمية أو التشبيهية للإله، لأنهم يرون أن وحدانية الإله من وحدانية شعبه، فيظل الإله إلهًا قوميًا خاصًا مقصورًا على الشعب اليهودي وحده؛ لذا نجد الشعب اليهودي يشهد على صلاة الشماع، ويظهر الاتجاه التوحيدي أيضًا في أفكار دينية أخرى مثل الاختيار والوعد الإلهي وأرض الميعاد التي تصبح مقدسة ومختارة تمامًا كالشعب اليهودي، فيكون الإله واحدًا والشعب واحد والأرض واحدة، ولا أدل على ذلك من أن اليهودية ظلت ديانة الشعب اليهودي(جماعة يسرائيل) وحده، ومن أن الإله قد اختار الشعب اليهودي من بين جميع شعوب الأرض؛ ليكون – وحده – موضع عطفه ووعنايته، ويجعل تاريخ البشر يدور حول حياة هذا الشعب ومصيره[٢٨٦].

---

[٢٨٦] انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة،ط١، ١٩٩٩، ج٥، ص٦٦.

ولكن الذي يغلب على النصوص هو الحلول والتجسيم الذى يصل إلى الاتحاد الكامل في أعلى درجاته في تراث القبَّالاه[٢٨٧]، الذي يعد بمثابة انحطاط للتوحيد؛ لأنه تراث يكاد يكون خاليًا تمامًا من أي توحيد، بحيث لا يصبح هناك فارق بين الجوهر الإلهي والجوهر اليهودي، إنما الفارق يكون بين الجوهر اليهودي الذي حل فيه الإله بروحه فصار جوهرًا مقدسًا وبين جوهر بقية البشر الذي خلقوا من المادة الوضيعة، ومن هنا يكتسب الإله صفات البشر، فتراه يغازل الشعب (بنت صهيون)، ويدخل معه في علاقة عاطفية قوية ذات إيحاءات جنسية.

ونجد هذا الاتحاد واضحًا جليًا في قصة الخلق، فالإله لم يخلق العالم من العدم، لكن صدرت عنه التجليات العشرة (سفيروت)، والتي هي على صورة آدم الأول (آدم قدمون)، وهذا يعني أن صورة الإله هي ذاتها صورة الإنسان، كما أنه وحسب الفكر القبَّالي فأن التجلي المذكر للإله يطارد التجلي المؤنث، وتصبح تلاوة الشماع ما هي إلا محاولة من اليهود ليتوحد التجلي الذكوري بالتجلي الأنثوي فيجتمعا معًا جنسيًا، وبذلك يصبح الزواج بين الخالق والشعب توحدًا كاملاً، ثم يقوم الشعب بتوزيع رحمة الله على العالمين، وبذا يصبح الإنسان اليهودي شريكًا للإله في عملية الخلق ذاتها[٢٨٨].

---

[٢٨٧] القبَّالاه أو القبَّالة كلمة آرامية تعني القبول والتصوف، والقبَّالاه مذهب جديد ظهر بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، وتطور خلال القرن السادس عشر، وهو مجموعة من الحكم الباطنية التي لها علاقة بأسرار الكون والإله والكائنات الأخرى، وهذه الحكم ظهرت على يد جماعة من أحبار اليهود الذين تأثروا بالآراء والأفكار الشرقية، وبأفكار زرادشت، ونشأت عنهم حركة سميت "الحكمة المستورة" (انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، ص ١٢٠ – ١٢١)

[٢٨٨] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري،ج٥، ص٦٦ – ٦٧.

هذا وقد تأثر اليهود كثيرًا في مراحل تاريخهم بالأمم والشعوب التي جاورتهم أو تعايشوا معها، وهذا التأثر واضح وضوحًا شديدًا في كثير من معتقداتهم التي استقَوها من معتقدات الشعوب التي خالطوها، ولا أدل على ذلك من تأثرهم بمعتقدات المصريين مثلا لما خالطوهم زمنًا، وقد نتج عن هذا التأثر تقليدهم لهذه الأمم في تصورهم للإله المعبود وتجسيمهم له في صورة معينة.

يقول الدكتور مُحَمَّد بحر عبد المجيد: "وإذا قلبنا صفحات العهد القديم نجد أن تصور اليهود للرب في مرحلة من مراحل تاريخ اليهود لا تختلف كثيرًا عن تصور الأمم الأخرى التي عاشوا بينها لآلهتهم رغم جهود الأنبياء لتنقية الفكر اليهودي من شوائب المعتقدات الوثنية التي دخلت اليهودية من أديان الشعوب التي عاش اليهود بينهم"[٢٨٩].

وقد ظهر منهم هذا التقليد حتى في وجود أنبيائهم، ولا أدل على ذلك من قولهم لموسى عليه السلام في أول طلب طلبوه بعد أن نجاهم الله من فرعون، وقد مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم: اجعل لنا إلهًا -أي صنمًا- كما لهم آلهة، وما ذلك إلا تقليدًا للمصريين الذين كانت كل آلهتهم محسوسة مرئيَّة إمَّا في صورة الفرْعون الَّذي حلَّت فيه الآلهة، أو اتَّحد هو بها، أو في صور الأصْنام التي تعجُّ بها المعابد.

فغضب موسى عليه السلام غضبًا شديدًا وذكَّرهم بنعَم الله تعالى عليهم، لكن الأمر لم ينته بهم عند هذا؛ فقد صعُب عليهم أن يتقبلوا إلهًا غير ملموس ولا مرئي؛ فقد رسخت في أذهانِهم وقلوبِهم عقيدةُ الإله المرئي، وصورة الإله المحسوس المرئي؛ فطلَبوا من موسى عليه السلام مطلبهم الثاني -حسَب ما أمْلته عليهم ثقافتُهم الوثنيَّة- طلبوا أن يرَوا الله جهرة، قال تعالى:

---

[٢٨٩] اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، ص: ١٦.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ [البقرة].

ثم لما تركهم موسى عليه السلام وذهب ليكلم ربه، اتخذوا العجل وقال لهم صانعه هذا هو إلهكم وإله موسى، وقد اختاروا أن يصوروا الإله في صورة العجل تأثرًا بالمصريين الذين كانوا يعبدون العجل المسمَّى "أبيس"، والبقرة المسمَّاة بهاثور أو حتحور.

ومن الأدلة كذلك عبادتُهم للبعل، واعترافهم وعبادتهم لآلهة الشعوب الأخرى.

وهذا التأثر والتقليد جعل اليهود يشبهون الله بذاك الإله البدائي القبلي القديم السائد لدى كثير من الأمم والذي كان على شاكلة البشر يحب ويكره، ويحزن ويغار، وينزل من فوق عرشه وملكوته ليصارع باليد، ويطالب بنصيبه من اللحم والشحم والمسكن ككل البشر.

ولا يمكن لإنسان أن يتخيل أن هذا التجسيم وتلك التصورات قد جاءت بها التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وإنما هي من تحريفاتهم وضلالاتهم، يقول السموأل بن يحيى المغربي: "... فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا، وليست كتاب الله، وهذا يدل على أنه -أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم- رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية؛ فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندم على ما مضى من أفعاله والإقلاع عن مثلها وغير ذلك"[٢٩٠].

فالإله عندهم على هيئة الإنسان له جسم ووجه، وعينان وحاجبان، وأذن وأنف، وفم

---

[٢٩٠] بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى المغربي، علق عليه عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص ١٣٤.

وشفتان، وشعر وأيدي وذراع، ويمين وأصابع ورجلين[٢٩١]، وهو يأكل ويشرب ويشم وينام ويتعب ويستريح ويمشي ويركب ويجلس ويقوم، ويصاب بالحمى ويعمل بيديه فتارة تراه جنديًا مقاتلا وتارة تراه يحلق شعر عباده، ... والخلاصة أن هذا الإله هو إله آدمي بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ومن مظاهر تجسيم الإله عند اليهود:

•• أن الإله عندهم يشبه الإنسان تمام الشبه:

لأن الإله عندما أراد أن يخلق الإنسان خلقه على صورته، جاء في سفر التكوين: «يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ، عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ»[٢٩٢].

وفيه أيضًا: «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ»[٢٩٣].

وفيه أيضًا: «لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ»[٢٩٤].

وفيه أيضًا: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ...»[٢٩٥].

لكن التوراة ترجع لتناقض نفسها فتنفي أن يكون هناك شيء مشابه أو مماثل للإله،

---

[٢٩١] جاء في القرآن والسنة المشرفة ما يثبت اتصاف الله تعالى ببعض هذه الصفات، وبعضها سكت عنه الشرع، لكن الشريعة الإسلامية كما أثبتت هذه الصفات أثبتت كذلك عدم المشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوقين بوجه من الوجوه، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أما اليهود فهم يشبهونها بصفات المخلوقين.

[٢٩٢] سفر تكوين، إصحاح ٥: ١.

[٢٩٣] سفر التكوين، إصحاح١: ٢٧.

[٢٩٤] سفر التكوين، إصحاح٩: ٦.

[٢٩٥] سفر التكوين، إصحاح ١: ٢٦.

ففي إشعياء: «فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ»[٢٩٦].

وفي نفس السفر: «فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ، وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ»[٢٩٧].

وفيه كذلك: «اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ، لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ، الإِلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي»[٢٩٨].

•• له جسم يراه الناس:

فهو يبدو للناس جالسًا على كرسية مرتديًا ثوبًا واسعًا كبيرًا تملأ أذياله الهيكل، جاء في سفر أشعياء: «فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ»[٢٩٩].

وهو يظهر أمام الناس في صورة بشرية حتى يراه الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم ماثلاً أمامهم، يقول سفر الخروج: «وَقَالَ مُوسَى: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِي وَسَطِ مِصْرَ، فَيَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، ...؛ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ، فَيَنْزِلُ إِلَيَّ جَمِيعُ عَبِيدِكَ هؤُلاَءِ، وَيَسْجُدُونَ لِي قَائِلِينَ: اخْرُجْ أَنْتَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ فِي أَثَرِكَ، وَبَعْدَ ذلِكَ أَخْرُجُ»[٣٠٠].

فهذا النص يدل على أن فرعون وعبيده سيرونه ويكلمونه بعد السجود له قائلين

---

[٢٩٦] سفر إشعياء، إصحاح ٤٠: ٢٥.

[٢٩٧] سفر إشعياء، إصحاح ٤٠: ١٨.

[٢٩٨] سفر إشعيا، إصحاح٤٦: ٩.

[٢٩٩] سفر إشعيا، إصحاح ٦: ١.

[٣٠٠] سفر الخروج، إصحاح ١١: ٤- ٨.

أخرج أنت وجميع الشعب سيخرجون خلفك.

وجاء في نفس السفر كذلك ما يدل على رؤية المؤمنين له: «ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ...، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، ...، فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا»[٣٠١].

وفي سفر صمويل الثاني: «رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ، وَطَارَ وَرُئِيَ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ»[٣٠٢].

وقد ظهر الرب واثنان من ملائكته لإبراهيم عليه السلام في صورة ثلاثة من الرجال وأكلوا عنده، ثم بشر الرب إبراهيم بأن سيكون له ابن من سارة، جاء في سفر التكوين: «وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ ممْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ، فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ، ...، ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ، ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ، وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا»[٣٠٣].

كما ظهر ليعقوب عليه السلام على هيئة إنسان، وصارعه حتى طلوع الفجر، ولم يتركه يعقوب حتى باركه؛ يقول سفر التكوين: «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ، ...، وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي، ....فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ قَائِلاً: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»[٣٠٤].

---

[٣٠١] سفر الخروج، إصحاح ٢٤: ٩-١١.

[٣٠٢] سفر صموئيل الثانى، إصحاح ٢٢: ٧-١١.

[٣٠٣] سفر التكوين، إصحاح ١٨: ١- ٨.

[٣٠٤] سفر التكوين، إصحاح٣٢: ٢٤-٣٢.

وظهر كذلك لموسى عليه السلام وكلمه محملاً إياه رسالة ينقلها إلى شعبه، بأن يجمع شيوخ بني إسرائيل ويخبرهم أن الإله قد ظهر له وحمله هذه الرسالة ليبلغها لهم، جاء في سفر الخروج: «وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: ...، اِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمُ: الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلاً: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صُنِعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ»[٣٠٥].

لكن ورد في التوراة أيضًا ما يناقض ذلك، فقد ورد في عدة نصوص أنه لا يرى، وأن البشر إذا رأوه يموتون، من هذه النصوص ما جاء في سفر الخروج أن موسى عليه السلام لما طلب رؤية الله ومجده أخبره أنه لا يُرى: فَقَالَ (يعني موسى عليه السلام): «أَرِنِي مَجْدَكَ، فَقَالَ: أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ ...، وَقَالَ: لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ»[٣٠٦].

٢- له يدان وله يمين وذراع:

فالإله له يدان قويتان صانعتان، يضرب بهما أعداءه بعجائِب من البلايا والنقم، يقول سفر الخروج: «الْمَكَانِ الَّذِي صَنَعْتَهُ يَا رَبُّ لِسَكَنِكَ الْمَقْدِسِ الَّذِي هَيَّأَتْهُ يَدَاكَ يَا رَبُّ»[٣٠٧].

وفي نفس السفر: «فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ»[٣٠٨].

---

[٣٠٥] سفر الخروج، إصحاح ٣: ١٥- ١٦.

[٣٠٦] سفر الخروج، إصحاح ٢٠:٣٣.

[٣٠٧] سفر الخروج، الإصحاح ١٥: ١٧، ومن الطريف أن النصارى يزعمون أن الأيدي القوية التي كتبت أصابعها اللوحين، واليمين القادرة والذراع الباطشة هي التي دقت فيها المسامير على الصليب!.

[٣٠٨] سفر الخروج، إصحاح ٢: ٢٠.

وله يمين قادرة تحطم أعداءه وتفنيهم، إذا مدها إليهم ابتلعتهم الأرض، جاء في سفر الخروج: «يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ ... تَمُدُّ يَمِينَكَ فَتَبْتَلِعُهُمُ الأَرْضُ»[٣٠٩].

وله ذراع عظيمة يرهبها الأعداء، فيكونون أمام عظمتها صامتين كأنهم حجارة، جاء في سفر الخروج: «بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ كَالْحَجَرِ حَتَّى يَعْبُرَ شَعْبُكَ يَا رَبُّ»[٣١٠].

ولا يفوت الرب أن يستغل هاتين اليدين في التصفيق؛ ليعبر عن شدة غضبه، تقول التوراة: «وَأَنَا أَيْضًا أُصَفِّقُ كَفِّي عَلَى كَفِّي وَأُسَكِّنُ غَضَبِي»[٣١١].

وتقول أيضًا: «فَهأَنَذَا قَدْ صَفَّقْتُ بِكَفِّي بِسَبَبِ خَطْفِكِ الَّذِي خَطَفْتِ»[٣١٢].

ويخرج من يده شعاع يدل على قدرته وعظمته، جاء في سفر حَبَقُّوق: «لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ»[٣١٣].

٣- له إصبع:

فالرب له أصبع، وهذا من تمام شكل اليد وجمالها، كما أن للأصبع فوائِد كثيرة منها استخدامه في الكتابة، فقد كتب الرب لَوْحَي الشهادة لموسى عليه السلام بأصبعه وأعطاهما له بعد فراغه من الكلام معه في جبل سيناء، تقول التوراة: «فَقَالَ الْعَرَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: هذَا إِصْبَعُ اللهِ»[٣١٤].

---

[٣٠٩] سفر الخروج، إصحاح ١٥: ٦ - ١٢.

[٣١٠] سفر الخروج، إصحاح ١٥: ١٦.

[٣١١] سفر حزقيال، إصحاح٢١: ١٧.

[٣١٢] سفر حزقيال، إصحاح٢٢: ١٣.

[٣١٣] سفر حَبَقُّوق، إصحاح ٣: ٤.

[٣١٤] سفر الخروج، إصحاح ٨: ١٩.

وتقول: «ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللهِ»(٣١٥).

٤- له رِجلان:

ورجلا الرب يضعهما على ما يشبه العقيق الأزرق الشفاف، جاء في سفر الخروج: «ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ ..، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ»(٣١٦).

كما أن هاتين الرجلين تخرج من أمامهما الحمى، جاء في سفر حَبَقُّوق: وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى(٣١٧).

٥- له أُذنان:

وذلك ليستمع إلى نداء عباده، وصراخهم، جاء في سفر صمويل الثاني: «فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي دَخَلَ أُذُنَيْهِ»(٣١٨).

كما أنه يصغي بأذنيه لكلام عباده، ويستمع لدعائهم وصلواتهم، جاء في سفر الملوك الثاني: «أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ وَاسْمَعْ ...، وَاسْمَعْ كَلاَمَ سَنْحَارِيبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِيُعَيِّرَ اللهَ الْحَيَّ»(٣١٩).

---

(٣١٥) سفر الخروج، إصحاح ٣١: ١٨.

(٣١٦) سفر الخروج، إصحاح ٢٤: ٩- ١٠.

(٣١٧) سفر حبقوق، إصحاح ٣: ٥.

(٣١٨) سفر صموئيل الثانى، إصحاح٢٢: ٧.

(٣١٩) سفر الملوك الثاني، إصحاح١٩: ١٦.

وفي سفر نحميا: «لِتَكُنْ أُذْنُكَ مُصْغِيَةً وَعَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ لِتَسْمَعَ صَلاَةَ عَبْدِكَ، ...»[٣٢٠].

وجاء في سفر دانيال: «أَمِلْ أُذُنَكَ يَا إِلهِي وَاسْمَعْ ...»[٣٢١].

٦- له عينان:

وهاتان العينان يفتحهما الرب لينظر ويرى، جاء في سفر الملوك الثاني: «اِفْتَحْ يَا رَبُّ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ»[٣٢٢].

وفي سفر دانيال: «اِفْتَحْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ خِرَبَنَا وَالْمَدِينَةَ الَّتِي دُعِيَ اسْمُكَ عَلَيْهَا!»[٣٢٣].

ولكن يبدو أن الرب ضعيف البصر، فهو لا يستطيع أن يرى من فوق، بل لابد أن ينزل ليرى ويتأكد: فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا[٣٢٤].

هو أيضًا يريد أن ينزل ليرى هل هم الذين يفعلون هذا الصراخ؟ وإن لم يكونوا هم فسيعلم ما الذي يحدث، جاء في سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا، أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ»[٣٢٥].

---

[٣٢٠] سفر نحميا، إصحاح١: ٦.

[٣٢١] سفر دانيال، إصحاح ٩: ١٨.

[٣٢٢] سفر الملوك الثاني، إصحاح ١٩: ١٦.

[٣٢٣] سفر دانيال، إصحاح ٩: ١٨:

[٣٢٤] سفر التكوين، إصحاح ١١: ٥.

[٣٢٥] سفر التكوين، إصحاح ١٨: ٢٠-٢١.

٧- له أجفان:

يستخدمهما في امتحان بني آدم، جاء في سفر المزامير: عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ، أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ[٣٢٦].

٨- له فم وشفتان ولسان:

يتكلم بفمه، ويخرج منه النار غضبًا وغيظًا، وكما إن شفتيه تمتليء سخطًا وغضبًا حينما يشتد به الغضب، جاء في سفر إشعياء: «لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ قَدْ تَكَلَّمَ»[٣٢٧].

وفي سفر صمويل الثاني: «صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ»[٣٢٨].

وفي إشعياء: «هُوَذَا اسْمُ الرَّبِّ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ، غَضَبُهُ مُشْتَعِلٌ وَالْحَرِيقُ عَظِيمٌ، شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا، وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ»[٣٢٩].

وفي سفر المزامير: «لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ»[٣٣٠].

ولا يفوت الرب كذلك أن يستغل فمه في الصفير لجمع الناس، ولجمع الذباب والنحل كذلك!.

جاء في سفر زكريا: «أَصْفِرُ لَهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ لأَنِّي قَدْ فَدَيْتُهُمْ، وَيَكْثُرُونَ كَمَا كَثُرُوا»[٣٣١].

---

[٣٢٦] سفر المزامير، مزمور ١١: ٤.

[٣٢٧] سفر إشعياء، إصحاح: ١: ٢٠، وإصحاح ٥٨: ١٣.

[٣٢٨] سفر صموئيل الثانى، إصحاح٢٢: ٩.

[٣٢٩] سفر إشعياء، إصحاح٣٠: ٢٧.

[٣٣٠] سفر المزامير، مزمور ٨٩: ٣٤.

[٣٣١] سفر زكريا، إصحاح١٠: ٨.

وفي سفر إشعياء: «فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا»[٣٣٢].

وفي نفس السفر أيضًا: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يَصْفِرُ لِلذُّبَابِ الَّذِي فِي أَقْصَى تُرَعِ مِصْرَ، وَلِلنَّحْلِ الَّذِي فِي أَرْضِ أَشُّورَ، فَتَأْتِي وَتَحِلُّ جَمِيعُهَا فِي الأَوْدِيَةِ الْخَرِبَةِ وَفِي شُقُوقِ الصُّخُورِ، وَفِي كُلِّ غَابِ الشَّوْكِ، وَفِي كُلِّ الْمَرَاعِي»[٣٣٣].

٩- له أنف:

ويبدو أنه يتنفس من هذا الأنف، وأن الريح التي تخرج منه ريح شديدة، إذا مرت على البحر أدى ذلك إلى تراكم الماء وانتصابه كأنه رابية مرتفعة، جاء في سفر الخروج: «لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ»[٣٣٤].

وفي نفس السفر كذلك: «وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ، انْتَصَبَتِ الْمَجَارِيَ كَرَابِيَةٍ»[٣٣٥].

وحينما نزل فرعون وجيشه ومركباته وفرسانه في قاع البحر نفخ الرب فخرج من أنفه على البحر ريح شديدة كانت سببًا في أن البحر غطى فرعون ومن معه، تقول التوراة: نَفَخْتَ بِرِيحِكَ فَغَطَّاهُمُ الْبَحْرُ[٣٣٦].

---

[٣٣٢] سفر إشعياء، إصحاح ٥: ٢٦.

[٣٣٣] سفر إشعياء، إصحاح ٧: ١٨- ١٩.

[٣٣٤] سفر الخروج، إصحاح ٣١: ١٧.

[٣٣٥] سفر الخروج، إصحاح ١٥: ٨.

[٣٣٦] سفر الخروج، إصحاح ١٥: ١٠.

وهذه الريح الشديدة التي تخرج من أنفه تدمر الأمم فهي في توقدها تشبه نهر الكبريت، جاء في إشعياء: «وَنَفْخَتُهُ كَنَهْرٍ غَامِرٍ يَبْلُغُ إِلَى الرَّقَبَةِ، لِغَرْبَلَةِ الأُمَمِ بِغُرْبَالِ السُّوءِ..... نَفْخَةُ الرَّبِّ كَنَهْرِ كِبْرِيتٍ تُوقِدُهَا»[٣٣٧].

كما أنه يستخدمه في النفخ والنخر[٣٣٨]، جاء في سفر إشعياء: أَنْفُخُ وَأَنْخُرُ مَعًا[٣٣٩].

---

[٣٣٧] سفر إشعياء، إصحاح٣٠: ٢٧- ٣٣.

[٣٣٨] النخر والنخير، قال ابن منظور: صَوْتُ الْأَنْفِ، ويقال: نَخَرَ الْإِنْسَانُ.. مَدَّ الصَّوْتَ وَالنَّفَسَ فِي خَيَاشِيمِهِ (لسان العرب، لابن منظور، ج٥، ص١٩٧، بتصرف يسير).

[٣٣٩] سفر إشعياء، إصحاح٤٢: ١٤.

المبحث الثاني

الصفات المعنوية للذات

١- له قلب وأحشاء:

وهذا من كمال شبهه بالإنسان ظاهرًا وباطنًا، فإذا كان في الظاهر على صورة الإنسان، فإن له مكونات داخلية هي كمكونات الإنسان؛ أحشاء وحنايا، قلب يتقلب، ويجمح إلى الانتقام، ولا ينسى يومه، يشعر بالأنين، كما يشعر بالحنين ويرحم، جاء في سفر هوشع: «قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي، اضْطَرَمَتْ مَرَاحِمِي جَمِيعًا»[٣٤٠].

وفي سفر إشعياء: «لأَنَّ يَوْمَ النَّقْمَةِ فِي قَلْبِي»[٣٤١].

وجاء في سفر إرميا: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ حَنَّتْ أَحْشَائِي إِلَيْهِ، رَحْمَةً أَرْحَمُهُ، يَقُولُ الرَّبُّ»[٣٤٢].

وفي سفر إرميا كذلك: «أَحْشَائِي، أَحْشَائِي! تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي، يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي»[٣٤٣].

---

[٣٤٠] سفر هوشع، إصحاح١١: ٨.

[٣٤١] سفر اشعياء، إصحاح٦٣: ٤.

[٣٤٢] سفر إرميا، إصحاح ٣١: ٢٠.

[٣٤٣] سفر إرميا، إصحاح ٤: ١٩.

٢- له نَفْسٌ[٣٤٤]:

فالرب له نفس تضيق ذرعًا من أجل مشقة إسرائيل، جاء في سفر القضاة: وَأَزَالُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ مِنْ وَسَطِهِمْ وَعَبَدُوا الرَّبَّ، فَضَاقَتْ نَفْسُهُ بِسَبَبِ مَشَقَّةِ إِسْرَائِيلَ[٣٤٥].

٣- بل ذهبوا إلى ما هو أقبح من ذلك وأشنع، فصوروا إلههم الذي يعبدونه بالحيوانات، وجعلوا صفاته كصفات الحيوانات، ومن ذلك:

•• أن قوته تشبه قوة بعض الحيوانات:

فهو حينما يغضب على بني إسرائيل، ويعزم على الانتقام منهم يصير كالحيوانات الغادرة المتوحشة: قوي شرس كالأسد، متربص كالنمر، متوحش كالدبة، مفترس كاللبوة، جاء في سفر هوشع: فَأَكُونُ لَهُمْ كَأَسَدٍ، أَرْصُدُ عَلَى الطَّرِيقِ كَنَمِرٍ، أَصْدِمُهُمْ كَدُبَّةٍ مُثْكِلٍ، وَأَشُقُّ شَغَافَ قَلْبِهِمْ، وَآكُلُهُمْ هُنَاكَ كَلَبْوَةٍ. يُمَزِّقُهُمْ وَحْشُ الْبَرِّيَّةِ[٣٤٦].

وهو يزمجر، ويزأر زئيرًا قويًا ضد من عصاه من سكان الأرض، ويفعل ببني إسرائيل فعل الأسود بفرائسها، ليردهم من غيهم وعصيانهم إليه، جاء في سفر هوشع: لأَنِّي لأَفْرَايِمَ كَالأَسَدِ، وَلِبَيْتِ يَهُوذَا كَشِبْلِ الأَسَدِ، فَإِنِّي أَنَا أَفْتَرِسُ وَأَمْضِي وَآخُذُ وَلاَ مُنْقِذٌ، أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي حَتَّى يُجَازَوْا وَيَطْلُبُوا وَجْهِي، فِي ضِيقِهِمْ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ[٣٤٧].

---

[٣٤٤] النَّفْسُ: الرُّوحُ (القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ٥٧٧)، وقال الجرجاني: النفس: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية(التعريفات، للجرجاني، ص ٢٤٢).

[٣٤٥] سفر القضاة، إصحاح ١٠: ١٦.

[٣٤٦] سفر هوشع، إصحاح ١٣: ٧.

[٣٤٧] سفر هوشع، إصحاح٥: ١٤- ١٥.

وفي سفر إرميا: «وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ مِنَ الْعَلاَءِ يُزَمْجِرُ، وَمِنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ يُطْلِقُ صَوْتَهُ، يَزْأَرُ زَئِيرًا عَلَى مَسْكَنِهِ، هُتَافٍ كَالدَّائِسِينَ يَصْرُخُ ضِدَّ كُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ»[٣٤٨].

•• أنه لا يستنكف أن يكون كالحيوانات الحقيرة أحيانًا

فهو إذا أراد أن يهلك قرية أو مدينة تسلل إليها دون أن يشعربه أحد، وفعل فيها فعل العُث في الصوف والسوس[٣٤٩] في الحبوب، جاء في سفر هوشع: «فَأَنَا لأَفْرَايِمَ كَالْعُثِّ، وَلِبَيْتِ يَهُوذَا كَالسُّوسِ»[٣٥٠].

٤- الإله ضعيف:

فقد جاء إلى يعقوب وصارعه حتى طلع الفجر، ولم يستطع الإله لضعفه أن يتغلب على يعقوب، حيث تمكن يعقوب منه وأمسك به فلما تعجل الإله الذهاب عند طلوع الفجر طلب من يعقوب أن يطلقه، ولكن يعقوب لم يطلقه حتى باركه، جاء في سفر التكوين: «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ

---

[٣٤٨] سفر إرميا، إصحاح ٢٥: ٣٠.

[٣٤٩] قال ابن منظور: والعُثَّةُ: السُّوسَةُ أَو الأَرَضَةُ الَّتِي تَلْحَسُ الصُّوفَ، ...، والعُثُّ: دُويبة تأْكل الجُلودَ؛ وَقِيلَ: هِيَ دُوَيْبَةٌ تَعْلَقُ الإِهابَ فتأْكُله، هَذَا قَوْلُ ابْنِ الأَعرابي ...، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: العُثُّ، بِغَيْرِ هَاءٍ: دَوابُّ تَقَعُ فِي الصُّوف (لسان العرب، ج٢، ص ١٦٨)، والسُّوسُ والسَّاسُ: لُغَتَانِ، وَهُمَا العُثَّة الَّتِي تَقَعُ فِي الصُّوفِ وَالثِّيَابِ وَالطَّعَامِ...، السُّوس العُثُّ، وَهُوَ الدُّودُ الَّذِي يأْكل الحبَّ، وَاحِدَتُهُ سُوسة، حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ(لسان العرب، ج٦، ص١٠٧- ١٠٨).

[٣٥٠] سفر هوشع، إصحاح ٥: ١٢، وإفرايم هو ابن يوسف عليه السلام، وتطلق الكلمة أحيانًا على نصيب هذا الابن من الأرض، والتي تقع في القسم الأوسط من فلسطين الغربية،فأحيانا يستخدم الأنبياء اسم إفرايم للدلالة على مملكة الشمال بكاملها (انظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٦).

عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ، وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ:لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي ...»[٣٥١].

بل إنه حينما كان مع يهوذا وملك الجبل لم يقوَ على طرد سكان الوادي منه؛ لأنهم يمتلكون مركباب حديد، وهو ضعيف لا حيلة له، جاء في سفر القضاة: «وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا فَمَلَكَ الْجَبَلَ، وَلكِنْ لَمْ يُطْرَدْ سُكَّانُ الْوَادِي لأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتِ حَدِيدٍ»[٣٥٢].

فهل يعجز الإله أمام مركبات الحديد؟.

إن الرب ليشعر بالانهزامية النفسية أمام شعبه، يشعر أمامهم بالضعف، حتى يشكو إلى موسى استهانة شعبه به وتكذيبهم له: «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟»[٣٥٣].

---

[٣٥١] سفر التكوين، إصحاح ٣٢:٢٤ – ٣٠

[٣٥٢] سفر القضاة، إصحاح ١: ١٩.

[٣٥٣] سفر العدد، إصحاح ١٤: ١١.

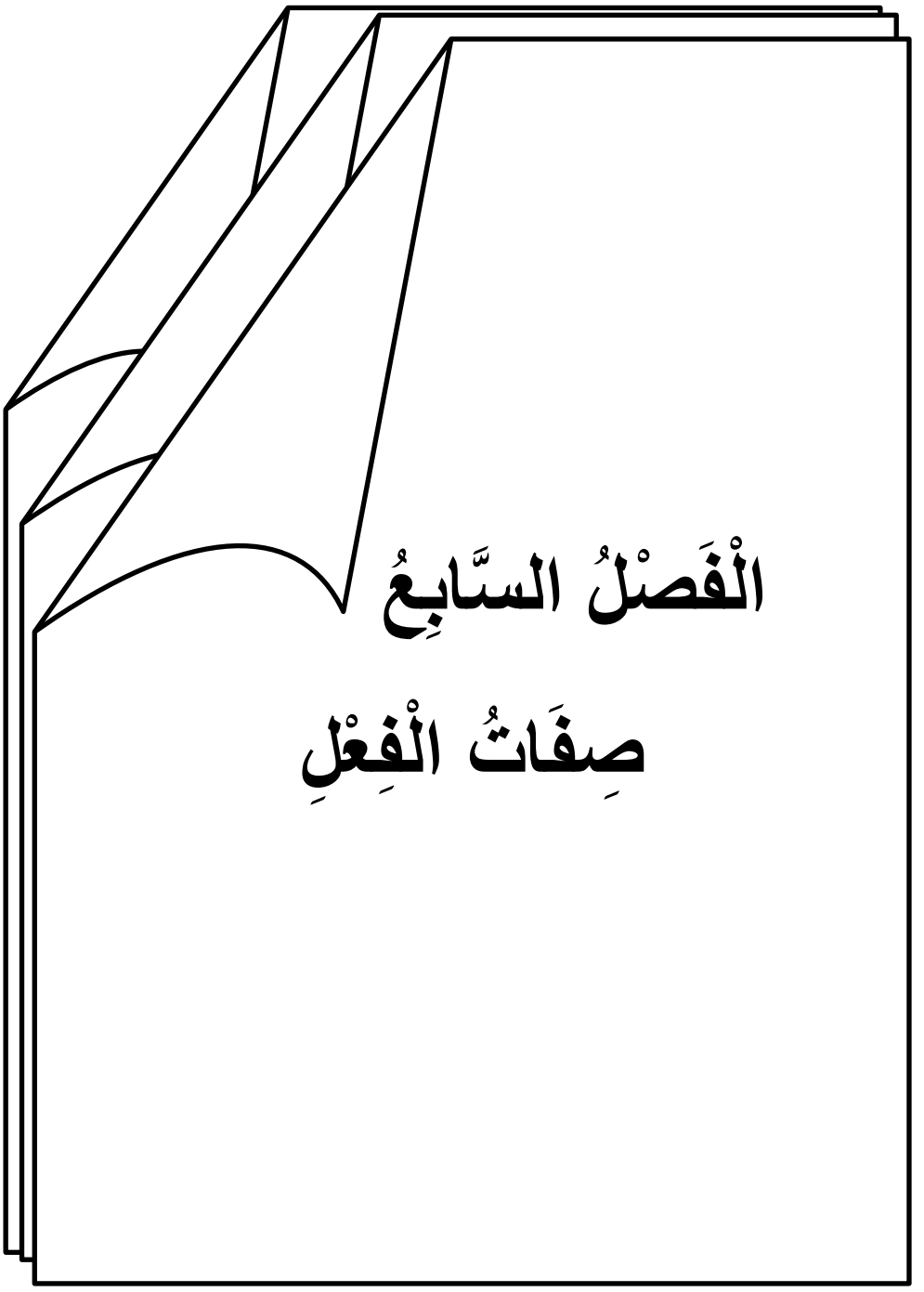

الْفَصْلُ السَّابِعُ

صِفَاتُ الْفِعْلِ

وفي هذا الفصل نذكر صفات الفعل التي نسبها اليهود لإلههم المزعوم، والتي يقوم بها هذا الإله في حياته أو تعامله مع عباده، وكلها وردت على سبيل إلصاق النقص والعيب والعجز لهذا الإله، فهم لا يتورعون –على عادتهم– من نسبة الأفعال البشرية لإلههم ومعبودهم، لأن هذا جزء من معتقدهم القائِم في الأصل على تجسيم الإله، ومن هذه الأفعال التي نسبت إليه[٣٥٤]:

١– الإله يأكل ويتغذى ويسكر:

وهذا طبيعي؛ لأنه إذا كان شبيهًا بالإنسان في كل شيء، وكان له جسم، فلا بد لهذا الجسم من غذاء حتى لا يموت، ولا بد أن يكون هذا الغذاء يليق بالرب، لذا فهو يشترط على عباده أن يقدموا له طعامًا بعينه، وفي أوقات محددة، ليتنسم الرائِحة ويستمتع، جاء في سفر العدد: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: قُرْبَانِي، طَعَامِي مَعَ وَقَائِدِي رَائِحَةُ سَرُورِي، تَحْرِصُونَ أَنْ تُقَرِّبُوهُ لِي فِي وَقْتِهِ، وَقُلْ لَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَقُودُ الَّذِي تُقَرِّبُونَ لِلرَّبِّ: خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ لِكُلِّ يَوْمٍ مُحْرَقَةً دَائِمَةً، الْخَرُوفُ الْوَاحِدُ تَعْمَلُهُ صَبَاحًا، وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تَعْمَلُهُ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ، وَعُشْرَ الإِيفَةِ مِنْ دَقِيق مَلْتُوتٍ بِرُبْعِ الْهِينِ مِنْ زَيْتِ الرَّضِّ تَقْدِمَةً، مُحْرَقَةٌ دَائِمَةٌ، هِيَ الْمَعْمُولَةُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ، لِرَائِحَةِ سَرُورٍ، وَقُودًا لِلرَّبِّ»[٣٥٥].

---

[٣٥٤] جاء في القرآن والسنة المشرفة ما يثبت فعل الله تعالى لبعض هذه الأفعال، ولكنه سبحانه متفرد في أفعاله وصفاته كما أنه جل ذكره متفرد في ذاته، فلا تشبه أفعاله أفعال المخلوقين، وبعض هذه الأفعال سكت عنه الشرع، لكن قصد اليهود بنسبة هذه الأفعال لله تعالى التشابه التام بين الإله والمخلوقين، كما أسلفنا.

[٣٥٥] سفر العدد، إصحاح ٢٨: ١– ٢.

وجاء في سفر التكوين: «وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ، وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا»[٣٥٦].

وفي سفر العدد: «وَسَكِيبُهَا رُبْعُ الْهِينِ لِلْخَرُوفِ الْوَاحِدِ، فِي الْقُدْسِ اسْكُبْ سَكِيبَ مُسْكِرٍ لِلرَّبِّ، وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تَعْمَلُهُ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ كَتَقْدِمَةِ الصَّبَاحِ، وَكَسَكِيبِهِ تَعْمَلُهُ وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ»[٣٥٧].

وفي سفر القضاة: فَقَالَتِ الأَشْجَارُ لِلْكَرْمَةِ: تَعَالَيْ أَنْتِ وَامْلِكِي عَلَيْنَا، فَقَالَتْ لَهَا الْكَرْمَةُ: «أَأَتْرُكُ مِسْطَارِي الَّذِي يُفَرِّحُ اللهَ وَالنَّاسَ وَأَذْهَبُ لِكَيْ أَمْلِكَ عَلَى الأَشْجَارِ؟»[٣٥٨].

وكل هذه النصوص إشارة إلى أن الإله يتغذى ويسكر، ويستمتع برائحة اللحم المشوي كغيره من آلهة الشعوب الأخرى[٣٥٩].

وقد أكل الإله وملائكته الطعام الذي صنعه إبراهيم: «وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ ...، ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ، وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا»[٣٦٠].

بل إن الرب يُصاب بالتُّخمة من كثرة الأكل: لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ،

---

[٣٥٦] سفر التكوين، إصحاح ٨: ٢٠- ٢١.

[٣٥٧] سفر العدد، إصحاح ٢٨: ٧ - ٨.

[٣٥٨] سفر إشعياء، إصحاح ٩: ١٢- ١٣.

[٣٥٩] اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، ص: ١٦.

[٣٦٠] سفر التكوين، إصحاح ١٨: ١- ٨.

اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُول وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ[٣٦١].

٢- الإله ينام ويستيقظ:

فالإله يأخذ قسطًا من الراحة ينام فيه ليريح بدنه، فإذا نام واستراح استيقظ، جاء في سفر زكريا: اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ[٣٦٢].

وفي سفر المزامير: فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ[٣٦٣].

٣- الإله يسهر:

فهو يسهر للهدم والإهلاك، ويسهر كذلك للبناء والغرس، جاء في سفر إرميا: وَيَكُونُ كَمَا سَهِرْتُ عَلَيْهِمْ لِلاقْتِلاَعِ وَالْهَدْمِ وَالْقَرْضِ وَالإِهْلاَكِ وَالأَذَى، كَذلِكَ أَسْهَرُ عَلَيْهِمْ لِلْبِنَاءِ وَالْغَرْسِ، يَقُولُ الرَّبُّ[٣٦٤].

٤- الإله يفكر:

فالإله له تفكير وتخطيط وموازنة للأمور، لكن أفكاره تختلف عن أفكار البشر، وتخطيطه مختلف عن تخطيطهم، جاء في سفر أشعياء: لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ؛لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ([٣٦٥]).

---

[٣٦١] سفر إشعياء، إصحاح ١: ١١.

[٣٦٢] سفر زكريا، إصحاح ٢: ١٣.

[٣٦٣] سفر مزامير، مزمور ٧٨: ٦٥.

[٣٦٤] سفر إرميا، إصحاح٣١: ٢٨.

[٣٦٥] سفر إشعياء، إصحاح ٥٥: ٨ - ٩.

٥- الإله يخاف:

وهذا من العجب، فالأصل أن الإله هو المالك لكل شيء، والقادر المتحكم في كل شيء، بيده كل الأمور، فممن يخاف؟ ومما يخاف؟، لكن إله اليهود آدمي بشري، تصيبه المخاوف والهواجس ويرتاع ويفزع منها، كالبشر تمامًا.

فالرب لما خلق آدم وأسكنه الجنة هو وزوجه حواء، ونهى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر التي كانت في وسط الجنة، لكنهما أكلا منها، خاف الرب وقال في نفسه: إن آدم قد صار مثلنا يعرف الخير والشر، ولو تركته في الجنة فسيأكل من شجرة الحياة، فيحيا إلى الأبد مثلي، فلابد إذن من إخراجه من الجنة وإنزاله إلى الأرض التي خلق منها، فطرده من الجنة ووضع على طريق شجرة الحياة ملائِكة لتحرسها حتى لا يصل إليها آدم عليه السلام، جاء في سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ، فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا، فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ»[٣٦٦].

ولما كثر الناس على الأرض واتفقوا على أن يبنوا لأنفسهم مدينة وبرجًا عاليًا يلامس السماء، خاف الرب من نجاح البشر، وقدرتهم على كل شيء، وألا يمتنع عليهم شيء يريدون أن يفعلوه بعد ذلك، وهذا يعني عجز الرب أمام إرادتهم؛ لذلك أخذ يخطط لزرع الفرقة بينهم في اللغة، فبلبل ألسنتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضًا، وبددهم على وجه الأرض، وقد نجحت خطته فقد توقف البشر عن بنيان المدينة قبل اكتمالها؛ لذلك سميت المدينة بابل، جاء في

[٣٦٦] سفر التكوين، إصحاح ٣: ٢٢ - ٢٤.

سفر التكوين: «فَنَزَلَ الرَّبُّ؛ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا، وَقَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ، وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ، هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ، فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا بَابِلَ؛ لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ، وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ»[٣٦٧].

٦- الإله يبكي ويذرف الدموع:

فهو يبكي ويذرف الدموع ليلاً ونهارًا؛ تسيل عيناه بالدموع، وتبكي نفسه إلما وحسرة، لكنه يخفي بكاء نفسه ويستره من أجل الكبرياء، يبكي لأنه قد ترك شعبه يسبى، ولم يمنعه من أعدائه، جاء في سفر إرميا: «وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا ذلِكَ، فَإِنَّ نَفْسِي تَبْكِي فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةً مِنْ أَجْلِ الْكِبْرِيَاءِ، وَتَبْكِي عَيْنَيَّ بُكَاءً وَتَذْرِفُ الدُّمُوعَ، لأَنَّهُ قَدْ سُبِيَ قَطِيعُ الرَّبِّ»[٣٦٨].

وفي سفر إرميا كذلك: «لِتَذْرِفْ عَيْنَايَ دُمُوعًا لَيْلاً وَنَهَارًا وَلاَ تَكُفَّا، لأَنَّ الْعَذْرَاءَ بِنْتَ شَعْبِي سُحِقَتْ سَحْقًا عَظِيمًا»[٣٦٩].

بل الرب يبكى ويصرخ ويولول، ويمشى حافياً عرياناً، ينتحب حزنًا كبنات آوى وينوح كالنعام السريعة، جاء في سفر ميخا: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَنُوحُ وَأُوَلْوِلُ، أَمْشِي حَافِيًا وَعُرْيَانًا، أَصْنَعُ نَحِيبًا كَبَنَاتِ آوَى، وَنَوْحًا كَرِعَالِ النَّعَامِ»[٣٧٠].

---

[٣٦٧] سفر التكوين، إصحاح ١١: ٥ – ٩.

[٣٦٨] سفر إرميا، إصحاح ١٣: ١٧.

[٣٦٩] سفر إرميا، إصحاح ١٤: ١٧.

[٣٧٠] سفر ميخا، إصحاح ١: ٨.

وفي سفر إرميا: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أُوَلْوِلُ عَلَى مُوآبَ، وَعَلَى مُوآبَ كُلِّهِ أَصْرُخُ، يُؤَنُّ عَلَى رِجَالِ قِيرَ حَارِسَ»[٣٧١].

٧- الإله يتنفس:

جاء في سفر الخروج: لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ[٣٧٢].

٨- الإله يقف ويذهب ويصعد:

وهذه نتيجة حتمية لكونه جسمًا فالجسم – في العرف – يحتاج إلى حركة وتنقل، ووقوف وجلوس، وصعود ونزول، وذهاب ومجيء.... إلى آخر ذلك مما تتصف به الأبدان والأجسام.

جاء في سفر التكوين: وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، ...وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا[٣٧٣].

وجاء في نفس السفر كذلك: ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ..... فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ[٣٧٤].

وفيه أيضًا: وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ[٣٧٥].

---

[٣٧١] سفر إرميا، إصحاح ٤٨: ٣١.

[٣٧٢] سفر الخروج، إصحاح ٣١: ١٧.

[٣٧٣] سفر التكوين، إصحاح ٢٨: ١٣.

[٣٧٤] سفر التكوين، إصحاح ١٧: ١، ٢٢.

[٣٧٥] سفر التكوين، إصحاح ١٨:٣٣.

٩- الإله يخرج ويجتاز ويمشي ويسير:

تذكر لنا التوراة أن الرب يخرج ويجتاز ويمشي، ولكن يبدو أن الإله أراد أن يميز نفسه عن الناس؛ إذ لا يليق به أن يمشي على الأرض مثلما يفعل الناس، فمشى على شوامخ الجبال، غير أنه إذا مشى أسرع في مشيه كالماء المنصب في منحدر، فتذوب الجبال وتنشق الوديان مثل الشمع حينما يوضع في النار، وما كان خروجه هذا إلا بسبب ذنب يعقوب عليه السلام وخطايا بنيه، جاء في سفر ميخا: «فَإِنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ وَيَنْزِلُ وَيَمْشِي عَلَى شَوَامِخِ الأَرْضِ، فَتَذُوبُ الْجِبَالُ تَحْتَهُ، وَتَنْشَقُّ الْوِدْيَانُ كَالشَّمْعِ قُدَّامَ النَّارِ، كَالْمَاءِ الْمُنْصَبِّ فِي مُنْحَدَرٍ، كُلُّ هذَا مِنْ أَجْلِ إِثْمِ يَعْقُوبَ، وَمِنْ أَجْلِ خَطِيَّةِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ»[٣٧٦].

وفي سفر الخروج: يقول الرب: «فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ»[٣٧٧].

وفيه أيضًا: «فَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمُ: ...، وَأَنْتُمْ لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ، فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ ...»[٣٧٨].

وفيه كذلك: «وَيَكُونُ حِينَ يَقُولُ لَكُمْ أَوْلاَدُكُمْ: مَا هذِهِ الْخِدْمَةُ لَكُمْ؟ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: هِيَ ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ الَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٣٧٩].

---

[٣٧٦] سفر ميخا، إصحاح ١:٣ - ٥.

[٣٧٧] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ١٢- ١٣.

[٣٧٨] سفر الخروج، إصحاح ١٢:٢١ — ٢٣.

[٣٧٩] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٢٦ — ٢٧.

وفي سفر التثنية: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ سَائِرٌ فِي وَسَطِ مَحَلَّتِكَ»[٣٨٠].

وفي سفر الخروج: «وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ، لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً، لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ»[٣٨١].

ويبدو أن الرب كان يتعبه السير فكان أحيانًا يركب السحاب تخلصًا من هذا التعب جاء في سفر إشعياء: «هُوَ ذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ»[٣٨٢].

ولا أدري لماذا اختار السحاب تحديدًا؟؛ فهو إذا أراد أن يظهر لشعبه ظهر في سحاب مظلم ثقيل، مع أنه يظهر أمامهم في صورة بشرية ويرونه بأعينهم!.

وإذا أراد أن يمشي أمامهم مشى في هيئة عمود السحاب، وإذا أراد أن يركب ركب السحاب، وإذا أراد أن يتذكر شيئًا وضع قوسه في السحاب.

فهل يفعل ذلك ليظهر تمكنه من كل شيء؟، ويظهر في السحاب لاعتقاده أن السحاب سيحجبه عن الناس؟، ويركب السحاب لاعتقاده أن أسرع شيء يمكن يركب؟ ربما يكون ذلك، ولا سيما أن هذا الرب جاهل مغفل.

١٠- الإله يخطِب ويتزوج وينجب:

وهذا من أسوأ شنائِعهم وفظائِعهم، وقبيح وصفهم لإلههم ومعبودهم؛ إذ يبدو أن لديه

---

[٣٨٠] سفر التثنية، إصحاح ٢٣: ١٤.

[٣٨١] سفر الخروج، إصحاح ١٣: ٢١- ٢٢.

[٣٨٢] سفر أشعيا، إصحاح ١٩: ١.

شهوة الزواج وإنجاب الذرية من البنين والبنات؛ جاء في سفر هوشع: «وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ، وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ، أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ»[٣٨٣].

وفيه أيضًا: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنَّكِ تَدْعِينَنِي: رَجُلِي، وَلاَ تَدْعِينَنِي بَعْدُ بَعْلِي»[٣٨٤].

وفي سفر حزقيال: «وَكَانَتَا لِي، وَوَلَدَتَا بَنِينَ وَبَنَاتٍ»[٣٨٥].

وفيه كذلك: «أَخَذْتِ بَنِيكِ وَبَنَاتِكِ الَّذِينَ وَلَدْتِهِمْ لِي، وَذَبَحْتِهِمْ لَهَا طَعَامًا»[٣٨٦].

---

[٣٨٣] سفر هوشع، إصحاح ٢: ١٩-٢٠.

[٣٨٤] سفر هوشع، إصحاح ٢: ١٦.

[٣٨٥] سفر حزقيال، إصحاح٢٣: ٤.

[٣٨٦] سفر حزقيال، إصحاح ١٦: ٢٠، هم يدافعون عن هذا وأمثاله، مما نُسِبَ لله سبحانه وتعالى، من الزواج والخِطْبَة والإنجاب، بأن هذا من باب الرمز لعلاقة الله بمدائن شعبه كالسامرة و أورشليم، وكانت السامرة تدعى أُهُولَةُ، وهي البنت الكبرى، وأوشليم تدعى أُهُولِيبَةُ، وهي الأخت الصغرى لأُهُولَةُ، والأختان كانتا من أم واحدة، وكانتا للرب، وأنجبتا له بين وبنات، لكنهما زنتا في مصر في صباهما، ورجعتا للزنا وهما تحت الرب، يقول الرب: وَزَنَتْ أُهُولَةُ مِنْ تَحْتِي وَعَشِقَتْ مُحِبِّيهَا ...(سفر حزقيا، إصحاح ٢٣: ٥)، والرب يرمز في زعمهم بهذه العلاقة (علاقة الزواج وإنجاب البنين والبنات) إلى العبادة، فهاتان الأختان انحرفتا عن عبادته إلى عبادة آلهة المصريين والآشوريين، فاجتباهما الرب ونصرهما على أعدائهما، لكنهما انحرفتا بعد ذلك مرة ثانية فعبدتا آلهة الآشوريين، وهذا وإن كان هو تفسيرهم لذلك لكنه لا يصح أن يقال في حق الله تعالى هذه الألفاظ القبيحة، التي لا يرضاها أراذل الناس على أنفسهم فضلا عن أشرافهم، فكيف تقال في حق خالق السماوات والأرض!. وقد أشار=

١١- الإله يعمل حلاقًا:

جاء في سفر إشعياء: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَحْلِقُ السَّيِّدُ بِمُوسَى مُسْتَأْجَرَةٍ فِي عَبْرِ النَّهْرِ، بِمَلِكِ أَشُّورَ، الرَّأْسَ وَشَعْرَ الرِّجْلَيْنِ، وَتَنْزِعُ اللِّحْيَةَ أَيْضًا!»(٣٨٧).

١٢- الإله غير معصوم:

فالإله يقع منه ما يقع من البشر من أفعال سواء أكانت حسنة أم قبيحة، وكثيراً ما يقع في الخطأ كما يقع البشر، فيحزن على ما فعل ويندم ويتراجع، ويتعرض جراء أعماله لتعنيف عباده من البشر أحيانًا، حتى يشعر في نفسه بالذلة والهوان، فتراه يصرخ إلى بعض رسله متضجرًا من تعنيف شعبه وعصيانهم وتكذيبهم له، جاء في سفر العدد: وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟»(٣٨٨).

=الله تعالى في القرآن إلى كذبهم في هذا التفسير في قوله جل ذكره: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴿١٨﴾﴾ [سورة المائدة]، فالآية تشير إلى اعتقادهم أنهم أبناء الله على الحقيقة، وليس على سبيل الرمز، لأن الله تعالى رد عليهم بأنه يعذبهم بذنوبهم وهم بشر كسائر البشر، وليس هذا بالافتراء عليهم فقد قالت اليهود:عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح عيسى ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

(٣٨٧) سفر إشعياء، إصحاح ٢٠:٧، والموسى شفرة الحلاقة.

(٣٨٨) سفر العدد، إصحاح ١٤: ١١.

١٣- الإله يعالج الأفعال معالجة البشر:

فالرب حينما رفض فرعون وشعبه أن يطلقوا شعب إسرائيل كما أمر الرب وتكرر ذلك منهم عزم على أن يضربهم ضربة قاصمة فلم يجد بدًا من أن ينزل بنفسه لينتقم منهم، لكنه خشي أن يتفطن المصريون لما أراد بهم الرب من البلاء فيحتاطوا لذلك فلا يستطيع أن ينفذ ضربته فيهم فاختار لذلك وقتًا يكون الجميع فيه في غفلة، اختار منتصف الليل! تقول التوراة: «وَقَالَ مُوسَى: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِي وَسَطِ مِصْرَ، يَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ»[٣٨٩].

ولما خرج شعب إسرائيل من مصر وأراد الرب أن يهديهم حتى لا تتقاذفهم الطرق والأودية نزل الرب وسار أمامهم في عمود سحاب نهارًا (لعله فعل ذلك ليظلهم من حر الشمس) وفي عمود نار ليلاً ليضيء لهم الطريق؛ ليسيروا نهارًا وليلاً، تقول التوراة: «وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً، لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ»[٣٩٠].

وحينما أراد أن يشق البحر لينجي بني إسرائيل من المصريين، وأراد لهم أن يمشوا في قاع البحر على أرض يابسة أجرى البحر بريح شرقية شديدة طوال الليل حتى ينشف قاع البحر!؛ جاء في سفر: «وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ»[٣٩١].

---

[٣٨٩] سفر الخروج، إصحاح ١١: ٤ - ٥.

[٣٩٠] سفر الخروج، إصحاح ١٣: ٢٠ - ٢٢.

[٣٩١] سفر الخروج، إصحاح ١٤: ٢١.

ومن معالجته للأفعال كالبشر أنه لما انتقل الشعب بأمر الرب من برية سين إلى رفيديم وأصابهم العطش الشديد ضجوا وتذمروا على موسى وهاروان واتهموهما بأنهما أخرجا الشعب من مصر ليميتاه عطشًا، عندئذٍ صرخ موسى إلى الرب شاكيًا متضرعًا، فأمره الرب أن يمشي أمام الشعب ومعه شيوخ بني إسرائيل، وليأخذ معه عصا الرب التي ضرب بها البحر، حتى يصل إلى الصخرة التي في حوريب، وطمأنه قائلاً:هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ[٣٩٢].

١٤ – الإله يختفي ويتوارى:

وبخاصة في الأزمات وأوقات الضيق، حينما يكون الناس في أمس الحاجة إليه، يقول داود عليه السلام: «يَا رَبُّ، لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيدًا؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ؟»[٣٩٣].

وقال أَيْثَانَ الأَزْرَاحِيِّ (وهو من سبط يهوذا): «حَتَّى مَتَى يَا رَبُّ تَخْتَبِئُ كُلَّ الاخْتِبَاءِ؟»[٣٩٤].

١٥ – الإله يحزن ويأسف:

فهو يحزن على الأعمال التي عملها بجهله وسوء تقديره للأمور، فقد حزن واشتد أسفه على خلق الإنسان لما رأى أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن أفكار قلبه وتصوراته كلها شر حتى إن الإله قد حزن على عمله للطيور ودبابات الأرض من أجل شر الإنسان؛ فقرر لذلك أن يمحو كل ما على وجه الأرض من إنسان وبهائم ودبابات وطيور السماء،

---

[٣٩٢] سفر الخروج، إصحاح ١٧: ٦.

[٣٩٣] سفر المزامير، مزمور ١٠: ١.

[٣٩٤] سفر المزامير، مزمور٨٩: ٤٦.

جاء في سفر التكوين: «وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ، فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»[٣٩٥].

فالإله لم يكن يدرك – على حد قوله– أن فساد البشر سيكثر بهذا الشكل، فندم على خلقهم بعد أن رأى كثرة شرهم.

١٦– الإله يسكن في وسط بني إسرائيل:

فالإله له سكن محدد يسكن فيه أن الأبد، وقد اختار أن يكون مسكنه وسط أحبائه، وشعبه الذي اختاره من بين كل الناس، اختار أن يكون مسكنه وسط إسرائيل بعد أن كان يسكن في الضباب، ثم بنى له الملك سليمان بيتًا ليسكن فيه إلى الأبد، جاء في سفر الملوك الأول: حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ[٣٩٦].

وجاء في سفر حزقيال: «وَقَالَ لِي:يَا ابْنَ آدَمَ، هذَا مَكَانُ كُرْسِيِّي وَمَكَانُ بَاطِنِ قَدَمَيَّ حَيْثُ أَسْكُنُ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ»[٣٩٧].

لكن يناقض ذلك ما جاء في أن الإله يملأ السماوات والأرض: «أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟»[٣٩٨].

---

[٣٩٥] سفر التكوين، إصحاح ٦: ٥ – ٧.

[٣٩٦] سفر الملوك الأول، إصحاح ١٢:٨– ١٣.

[٣٩٧] سفر حزقيال، إصحاح٤٣: ٧.

[٣٩٨] سفر أرميا، إصحاح ٢٣: ٢٤.

١٧- الإله يصارع ويُهزم:

فالإله ينزل من السماء كثيرًا، ويشتبك مع البشر أحيانًا في صراعات يدوية، ولكن للأسف يظهر عجز الرب وضعفه في التغلب على بعض خلقه.

فقد صارع الرب يعقوب عليه السلام فغلبه يعقوب فطلب منه الرب أن يتركه لكن يعقوب رفض ذلك، وأصر ألا يطلقه حتى يباركه، فأعاد الرب الطلب في مسكنة قائلاً: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فرفض يعقوب إطلاقه وقال لا أطلقك إن لم تباركني، فباركه وغير له اسمه من يعقوب إلى إسرائيل؛ لأنه جاهد مع الله والناس وقدر[٣٩٩].

ولا تقتصر المصارعات على يعقوب، بل يصارع الإله غيره، جاء في سفر التكوين: «فَقَالَتْ رَاحِيلُ: مُصَارَعَاتِ اللهِ قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي وَغَلَبْتُ»[٤٠٠].

١٨- الإله رجل حرب عنيف قاس:

فهو على الرغم من ضعفه وعدم قدرته على أن يتغلب على يعقوب حين صارعه إلا إنه رجل حرب قوي شرس جبار، أهلك فرعون بمركباته وجنوده وأغرقهم وألقاهم في البحر، جاء في سفر الخروج: الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ. الرَّبُّ اسْمُهُ، مَرْكَبَاتُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشُهُ أَلْقَاهُمَا فِي الْبَحْرِ[٤٠١].

وحين يغضب لا يرحم أعداءه ولا يشفق عليهم، بل يفعل بهم الأفاعيل، يهدُّ الجبال والآكام، ويجفف عليهم العشب ليهلكهم، ويجعل الأنهار العذبه يبسًا ليميتهم عطشًا؛ وما

---

[٣٩٩] سفر التكوين، إصحاح٣٢: ٢٤ - ٣٠.

[٤٠٠] سفر التكوين، إصحاح٣٠: ٨.

[٤٠١] سفر الخروج، إصحاح ١٥: ٣ -٤.

ذلك إلا لأنهم عصوه، واتخذوا آلهة غيره، فصبر عليهم وأمهلهم لكنهم لم يرجعوا عن عصيانهم، جاء في سفر إشعياء: «الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ، كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ، يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ، قَدْ صَمَتُّ مُنْذُ الدَّهْرِ، سَكَتُّ، تَجَلَّدْتُ، كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ، أَنْفُخُ وَأَنَخُرُ مَعًا، أَخْرِبُ الْجِبَالَ وَالآكَامَ وَأُجَفِّفُ كُلَّ عُشْبِهَا، وَأَجْعَلُ الأَنْهَارَ يَبَسًا وَأُنَشِّفُ الآجَامَ»[٤٠٢].

١٩ – الإله لئيم:

ومن لؤمه أنه يرد الإحسان بالإساءة، فقد أمات ابن الأرملة التي استضافت إيليَّا التِّشْبِيُّ وأكرمته، والرب هو الذي أمره أن يذهب إليها وأمرها أن تعوله، ففعلت، لكن الرب تنكر لها وأمات ابنها، وفطر قلبها عليه، حتى اشتد عجب إيليا من فعل الرب هذا، وصرخ صرخة معاتب مستنكر، جاء في سفر الملوك الأول: «وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟»[٤٠٣].

٢٠– الإله كاذب:

فالرب حينما خلق آدم عليه السلام أسكنه الجنة وأباح له أن يأكل من جميع شجرها ألا شجرة في وسط الجنة حذره أن يأكل منها، وأخبره أنه لو أكل من هذه الشجرة سيموت، جاء في سفر التكوين: وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ[٤٠٤].

---

[٤٠٢] سفر إشعياء، إصحاح ٤٢: ١٣– ١٥.

[٤٠٣] سفر الملوك الأول، إصحاح ١٧: ٢٠.

[٤٠٤] سفر التكوين، الإصحاح ٢: ١٦ – ١٧.

ولكن التوراة تحكي لنا أن الحية جاءت إلى حواء وسألتها: هل صحيح أن الرب نهاكما أن تأكلا من كل شجر الجنة؟ فأجابتها حواء بأن الرب أذن لهما أن يأكلا من كل شجر الجنة إلا الشجرة التي في وسط الجنة فقد نهانا عن الأكل منها أو مسها حتى لا نموت، فقالت الحية: لن تموتا، بل إن أكلتما منها ستنفتح أعينكما على الخير والشر، جاء في سفر التكوين: «وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا، فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا، بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، ...، فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ»[٤٠٥].

فلم يمت آدم وحواء لما أكلا من الشجرة كما أخبرهما الرب.

والغريب في الأمر أن الحية كانت أصدق من الرب، وأنصح لآدم وحواء منه، فالرب قال لهما: تموتان، والحية قالت لن تموتا، فصدَّق الواقعُ ما قالته الحية وكذَّب ما قاله الرب.

والأغرب من هذا أن الحية دخلت الجنة، وأجرت هذا الحوار مع حواء، واستجابت حواء لكلام الحية فنظرت إلى الشجرة وشغفت بها وتناولت من ثمرها وأكلت، ثم ناولت رجلها فأكل؛ فصارا عريانين، ثم اتخذا مآزر، كل ذلك يحدث في غفلة تامة من الرب، لا يدري شيئا عن هذا، حتى يَعِنَّ له أن يمشي في الجنة؛ ليبحث عن آدم يتفقد أحواله فلا يجده فينادي عليه، فلما يعلم أنه وامرأته عريانان يستنبط أنهما أكلا من الشجرة!.

---

[٤٠٥] سفر التكوين، الإصحاح ٣: ١- ٧.

والسؤال المحير هنا: لماذا يريد الرب لآدم وحواء أن يكونا جاهلين لا تتفتح عيونهما على الخير والشر؟.

تجيبنا التوراة عن ذلك بأن معرفة الخير والشر، والخلود في الحياة من خصائص الرب الإله وليس من خصائص البشر؛ لذلك لما استولى آدم على واحدة من هاتين الخصيصتين في غفلة من الرب بسبب نصيحة الحية طرده الرب من الجنة لأنه خاف أن يتسلل فيستولى على الثانية دون علم الرب فيصير ربًا إلهًا، وقد ينازع الرب بعد ذلك، جاء في سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ، فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا، فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ»[٤٠٦].

ويحذر الرب بني شعبه على لسان موسى عليه السلام بأنه يغفر الذنب لكنه لا يبريء بل يجعل ذنوب الأباء تتحملها الأبناء وتعاقب بها إلى الجيل الثالث والرابع، جاء في سفر العدد: «الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لكِنَّهُ لاَ يُبْرِئُ، بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ»[٤٠٧].

لكن حينما يرفض الشعب دخول الأرض التي وعد الرب إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها نسلهم والتي تفيض لبنًا وعسلًا، غير أن بنو عناق (الجبابرة) كانوا يسكنونها نجد الشعب يتذمرون على هارون وموسى عليهما السلام، ويرفضون أمر الرب بدخول هذه

---

[٤٠٦] سفر التكوين، الإصحاح ٣: ٢٢ – ٢٤.

[٤٠٧] سفر العدد، إصحاح ١٤: ١٨.

الأرض، فيقع الرب في حيرة وغضب؛ فقد وعد آباءهم هذه الأرض وهم يرفضون أن يدخلوها ولابد أن يعاقبوا بهذا الذنب، والعقوبة ستظل في أجيالهم إلى الجيل الثالث أو الرابع، فمتى يدخلون هذه الأرض؟.

ليس أمام الرب إلا أن يتراجع عن تهديده مكذبًا نفسَه، فلا يجعل ذنب الآباء إلى الجيل الثالث أو الرابع ولا حتى إلى الأول بل تقتصر عقوبة الذنب على الآباء فقط، أما الأبناء فإنهم يتحملون العقوبة مع الآباء مدة أربعين سنة وبعد ذلك يهلك الآباء، ويدخل الأبناء الأرض ويستمتعون بما فيها، فقال لموسى: «قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُذُنَيَّ، فِي هذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ، لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، ...، وَأَمَّا أَطْفَالُكُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَأُدْخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا»[٤٠٨].

٢١- الإله مخادع:

تذكر التوراة صراحة أن الشعب كانوا يعتقدون أن الرب مخادع، وكانوا يخاطبونه بذلك صراحة، دون خجل أو خوف، فها هو إرمياء يصرخ لائمًا الرب؛ لأنه خدع الشعب؛ وعدهم بالسلام، لكن لم يتحقق لهم السلام بل تعرضوا للقتل: «فَقُلْتُ: آهِ، يَا سَيِّدُ الرَّبُّ، حَقًّا إِنَّكَ خِدَاعًا خَادَعْتَ هذَا الشَّعْبَ وَأُورُشَلِيمَ، قَائِلاً: يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَ السَّيْفُ النَّفْسَ»[٤٠٩].

---

[٤٠٨] سفر العدد، إصحاح ١٤: ٢٨ - ٣١.

[٤٠٩] سفر إرميا، إصحاح ٤: ١٠.

كما يصرخ أَيْثَانُ الأَزْرَاحِيِّ أيضًا في سفر المزامير متهمًا الرب بالمخادعة؛ فقد نقض العهد الذي أبرمه مع عبده: «لكِنَّكَ رَفَضْتَ وَرَذَلْتَ غَضِبْتَ عَلَى مَسِيحِكَ، نَقَضْتَ عَهْدَ عَبْدِكَ نَجَّسْتَ تَاجَهُ فِي التُّرَابِ»[٤١٠].

٢٢- الإله يتعب ويحب الكسل:

فهذا الإله البشري لا يتمتع بكمال القوة، وتمام القدرة، فهو حينما يقوم بعمل معين يشعر بعده -كما يشعر البشر- بالتعب، فيحتاج إلى الراحة.

لذا لما صنع السماوات والأرض وما فيهن من أفلاك وأجرام وجبال ونبات وحيوان وإنس وجن والبحر وما فيه من كائنات، في ستة أيام، تعب فاستراح في اليوم السابع، وكان اليوم السابع هو يوم السبت، لذا باركه الرب وقدسه.

فياله من رب ضعيف لم يقوَ على خلق الخلق حتى تعب، فإذا كان قد تعب من الخلق فهل سيستطيع أن يدبر شؤون الخلق ويرعى مصالحهم؟.

بالطبع لا، سوف يعجز عن إدارته وتدبير شؤونه، لأن الصنع بطبيعة الحال أسهل من الإدارة والتدبير؛ إذا التدبير يقتضي تنظيم أمور السماوات بما فيها ومن فيها؛ حتى لا تتصادم الأجرام ويحطم بعضها بعضًا فيهلك الكون وينهد على من فيه، وكذلك تنظيم الأرض بما فيها ومن فيها، وتدبير أرزاقهم جميعًا، وألا ينسى أيًا من خلقه وإن صغر ودق وإلا هلك الخلق.

تقول التوراة: «وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ، لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ

[٤١٠] المزامير، مزمور ٨٩: ٣٨ - ٣٩.

الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ»[٤١١].

ولكن التناقض يحيط بالتوراة من كل أطرافها، فقد جاء في الأسفار ما يثبت أن الرب خلق الأرض بأطرافها فلم يتعب ولم يكل، ولم يعيَ، جاء في سفر إشعياء: «إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا»[٤١٢].

وجاء في سفر ملاخي: «لَقَدْ أَتْعَبْتُمُ الرَّبَّ بِكَلاَمِكُمْ. وَقُلْتُمْ: بِمَ أَتْعَبْنَاهُ؟»[٤١٣].

وهذا الرب كسول يخلد إلى الراحة ويقدسها؛ فبعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح يوم السابع يبدو أنه استلذ بهذه الراحة واستمتع بها، فوجدها خيرًا من العمل والتعب فبارك يومها وقدسه، وحرم على عباده أن يعملوا في هذا اليوم المقدس!!

بل إن من يعمل في هذا اليوم -يوم السبت- المقدس أي عمل فقد ارتكب جرمًا عظيمًا لا يغتفر، وذنبًا كبيرًا يستحق معه أشد العقوبة، أن يقتل وتقطع نفسه من بين الشعب، جاء في سفر الخروج: «فَتَحْفَظُونَ السَّبْتَ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ، مَنْ دَنَّسَهُ يُقْتَلُ قَتْلاً، إِنَّ كُلَّ مَنْ صَنَعَ فِيهِ عَمَلاً تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ بَيْنِ شَعْبِهَا، سِتَّةَ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السابع فَفِيهِ سَبْتُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ، ...لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ»[٤١٤].

---

[٤١١] سفر الخروج، إصحاح ٢٠: ١٠ - ١١.

[٤١٢] سفر إشعياء، إصحاح٤٠: ٢٨.

[٤١٣] سفر ملاخي، إصحاح٢: ١٧.

[٤١٤] سفر الخروج، إصحاح ٣١: ١٤ - ١٧.

والأصل في الإنسان المجتهد المجد -فضلاً عن الرب الإله الذي يحث العباد ويأمرهم ويحفزهم على الاجتهاد في العبادة ويعدهم عليها الجزاء الأوفى- أن يستلذ بالعمل المثمر خاصة إذا رأى أمام عينيه ثمرة جهده ومثابرته، حتى تصير لذة العمل عنده أعظم من لذة الراحة.

ثم إن الرب بتقديس هذا اليوم يضع بعض عباده في حرج شديد، كالطبيب الذي يريد أن يعالج مريضًا في حالة شديدة الخطورة وحالته لا تنتظر ليوم الأحد، فماذا يفعل؟، ويمكنك أن تعدد عشرات الأمثلة مثل ذلك؟، وربما تساءل إنسان: ماذا يفعل من كانت له حاجة ماسة لشيء معين يوم السبت هل يدعو الرب أن يمن عليه بهذا الشيء أم أن الرب في عطلة وراحة وهدوء ولا ينبغي لأحد أن يزعجه؟

وقد يتساءل آخر: لماذا أباح الرب للشعب في هذا اليوم أن يأكلوا ويجهزوا أطعمتهم؟ أليست هذه الأشياء داخلة في العمل؟ أفلا كان من الأفضل أن يأمر الرب الشعب أن يصوموا في هذا اليوم وألا يجهزوا شيئا أو يأكلوا إلا بعد غروب الشمس؛ حتى يكون اليوم كامل التقديس، وتكون الراحة كاملة فيه؟.

٢٣- الإله يتحير ويحتاج إلى معين يعينه:

فالرب يريد أن ينتقم ممن عصاه وانصرف عنه، لكنه لم يجد خلفه أحدًا، وتلفت فلم يرَ من يعينه، فتحير، لكن ذراعه نجدته، وغيظه سانده، فانتقم من أعدائه، جاء في سفر إشعياء: فَنَظَرْتُ وَلَمْ يَكُنْ مُعِينٌ، وَتَحَيَّرْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَاضِدٌ، فَخَلَّصَتْ لِي ذِرَاعِي، وَغَيْظِي عَضَدَنِي[٤١٥].

[٤١٥] سفر اشعياء، إصحاح ٥: ٦٣.

٢٤- الإله يتملَّق ويلاطف:

فالرب يتملق مملكة إسرائيل، ويتودد إليها ويعطيها الخيرات لكي تعود إليه لكنها لا تعيره اهتمامًا، جاء في سفر هوشع: «لَكِنْ هَأَنذا أتملَّقُها وأذهب بها إلى البرية وألاطفها»[٤١٦].

٢٥ – الإله يغار:

فالرب قد غار من خلقه لأنهم بنوا مدينة وبُرجاً، وتفاهموا مع بعضهم بلسان واحد، فنزل إليهم الرب فلما رأى ما فعلوه، وسمع ما ينوون فعله، أيقن أنهم ما فعلوا ذلك إلا لأنهم شعب واحد وتجمعهم لغة واحدة، فلم يجد أمامه وسيلة يمنعهم بها مما يريدون ألا أن يبلبل ألسنتهم، فدمر مدينتهم، وبلبل ألسنتهم، فتعددت لذلك لغاتهم، فلم يفهم بعضهم بعضًا.

جاء في سفر التكوين: «وَقَالُوا: هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ، وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا، وَقَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ، وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ، هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ، فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا بَابِلَ لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ، وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ»[٤١٧].

---

[٤١٦] سفر هوشع، إصحاح ٢: ١٤.

[٤١٧] سفر التكوين، إصحاح١١: ٣ – ٩.

وفي سفر حزقيال: «يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ فِي غَيْرَتِي»[٤١٨].

٢٦ – الإله يغتاظ:

فالرب يغتاظ من أعمال بني آدم الشريرة، ويشتد غيظه فيكون غيظه سندًا له في إهلاكهم، جاء في سفر إشعياء: «فَخَلَّصَتْ لِي ذِرَاعِي، وَغَيْظِي عَضَدَنِي، فَدُسْتُ شُعُوبًا بِغَضَبِي وَأَسْكَرْتُهُمْ بِغَيْظِي»[٤١٩].

والغريب أن بني إسرائيل الذين ينصرهم ويحميهم ويدمر الدول والأقوام من أجلهم ويفضلهم على كل خلقه هم الذين يسعون لإغاظته، جاء في سفر الملوك: «وَعَمِلَ أَخْآبُ سَوَارِيَ، وَزَادَ أَخْآبُ فِي الْعَمَلِ لإِغَاظَةِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ»[٤٢٠].

وفي سفر القضاة: «وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ»[٤٢١].

ويقول الرب ليربعام محذرًا: «وَقَدْ سَاءَ عَمَلُكَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكَ، فَسِرْتَ وَعَمِلْتَ لِنَفْسِكَ آلِهَةً أُخْرَى وَمَسْبُوكَاتٍ لِتُغِيظَنِي»[٤٢٢].

وفي سفر الملوك الأول: «وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى يَاهُو بْنِ حَنَانِي عَلَى بَعْشَا قَائِلاً: مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدْ رَفَعْتُكَ مِنَ التُّرَابِ وَجَعَلْتُكَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَسِرْتَ فِي طَرِيقِ يَرُبْعَامَ

---

[٤١٨] سفر حزقيال، إصحاح ٥: ١٣.

[٤١٩] سفر إشعياء، إصحاح٦٣: ٥ – ٦.

[٤٢٠] سفر الملوك الأول، إصحاح ١٦: ٣٣.

[٤٢١] سفر القضاة، إصحاح ٢: ١٢.

[٤٢٢] سفر الملوك الأول، إصحاح١٤: ٩.

وَجَعَلْتَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُونَ وَيُغِيظُونَنِي بِخَطَايَاهُمْ»[٤٢٣].

بل إن الرب يغتاظ حينما ينصرف بنو إسرائيل عنه إلى عبادة آلهة أخرى، فيحذرهم من عاقبة سعيهم لغيظه بهذه الطريقة: «وَلاَ تَسْلُكُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِتَعْبُدُوهَا وَتَسْجُدُوا لَهَا، وَلاَ تَغِيظُونِي بِعَمَلِ أَيْدِيكُمْ فَلاَ أُسِيءَ إِلَيْكُمْ»[٤٢٤].

٢٧- الإله غفور:

فالإله غفور يغفر الآثام والخطايا ولا يهلك بها، جاء في سفر المزامير: «أَمَّا هُوَ فَرَؤُوفٌ، يَغْفِرُ الإِثْمَ وَلاَ يُهْلِكُ»[٤٢٥].

وفي سفر نحميا: «وَأَنْتَ إِلهٌ غَفُورٌ وَحَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ»[٤٢٦].

وفي سفر ميخا: «مَنْ هُوَ إِلهٌ مِثْلُكَ غَافِرٌ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ»[٤٢٧].

لكن يناقض ذلك ما ورد في الأسفار المقدسة أنه لا يغفر، من ذلك ما جاء في يشوع: «فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ إِلهٌ قُدُّوسٌ وَإِلهٌ غَيُورٌ هُوَ، لاَ يَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ»[٤٢٨].

وفي سفر عاموس: «إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى

---

[٤٢٣] سفر الملوك الأول، إصحاح ١٦: ١-٢.

[٤٢٤] سفر إرميا، إصحاح ٦:٢٥.

[٤٢٥] سفر المزامير، مزمور٧٨: ٣٨.

[٤٢٦] سفر نحميا، إصحاح ٩: ١٧.

[٤٢٧] سفر ميخا، إصحاح ٠٧: ١٨.

[٤٢٨] سفر يشوع، إصحاح ٢٤: ١٩.

جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ»[٤٢٩].

وفي سفر ناحوم: «بَطِيءُ الْغَضَبِ وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلكِنَّهُ لاَ يُبَرِّئُ الْبَتَّةَ»[٤٣٠].

٢٨- الإله رؤوف:

وهو أيضًا رؤوف، لكنه بشعبه الذي اختاره وفداه، وهو يرشده دائمًا برأفته ويهديه بقوته، تقول التوراة: «تُرْشِدُ بِرَأْفَتِكَ الشَّعْبَ الَّذِي فَدَيْتَهُ، تَهْدِيهِ بِقُوَّتِكَ إِلَى مَسْكَنِ قُدْسِكَ»[٤٣١].

٢٩- الإله يهتف ويصرخ ويصيح:

جاء في سفر إشعياء: «الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ، ...، يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ، ...، كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ»[٤٣٢].

لكنه قد يسكت ويصمت زمانًا طويلا، يتحلى بالصبر والتحمل، جاء في سفر إشعياء: «قَدْ صَمَتُّ مُنْذُ الدَّهْرِ، سَكَتُّ، تَجَلَّدْتُ»[٤٣٣].

٣٠- الإله يتردد ويتراجع:

من صفات الرب عندهم أنه لا يرى ولا يعلم إلا ما كان أمام عينيه، فإذا غاب عن المكان فإنه لا يدري ما الذي يحدث فيه، لذا نجده يتردد أحيانًا في فعل بعض الأشياء التي

---

[٤٢٩] سفر عاموس، إصحاح ٣: ٢.

[٤٣٠] سفر ناحوم، إصحاح ١: ٣.

[٤٣١] سفر الخروج، إصحاح ١٣:١٥.

[٤٣٢] سفر إشعياء، إصحاح ٤٢: ١٣ - ١٤.

[٤٣٣] سفر إشعياء، إصحاح ٤٢: ١٤.

عزم على فعلها، ويتراجع عن عزمه ونيته؛ لأنه قد بدا له أن مانوى عليه أو عزم على تنفيذه سيء أو يناقض وعوده التي قطعها على نفسه من قبل، وغالبًا لا يتردد الرب أو يتراجع إلا إذا ذكره أحد من خلقه.

فحينما كثرت معاصي سدوم وعمورة وعظمت خطاياهم قرر الرب أن ينزل ليرى هل فعلوا ذلك حقيقة فينزل عليهم نقمته، جاء في سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا، أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمَ»[٤٣٤].

فلما نزل وتحقق من اقترافهم الخطايا واستحقاقهم للعذاب قرر أن يهلكهم جميعًا، لكن إبراهيم عليه السلام جادله في هذا الأمر؛ إذ كيف يهلك البار مع الأثيم؟ إن هذا من الظلم، وديَّان الأرض لا يصنع إلا عدلاً، فأجابه الرب بأنه لن يهلك هؤلاء القوم إن وجد فيهم خمسين بارًا، جاء في سفر التكوين: «وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟، حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ، حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟، فَقَالَ الرَّبُّ: إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ»[٤٣٥].

ولم يزل إبراهيم يجادل الرب وينقص العدد حتى وصل بالعدد إلى عشرة، «فقال له

---

[٤٣٤] سفر التكوين، إصحاح ١٨: ٢٠ -٢٢.

[٤٣٥] سفر التكوين، إصحاح ١٨: ٢٢ - ٢٦.

الرب لا أهلك المدينة إن وجد بها عشرة من الأبرار من أجل العشرة»[٤٣٦].

وقد كان شيوخ بني إسرائيل يستغلون عدم معرفة الرب بما ليس في حيز سمعه ولا بصره، فكانوا إذا أرادوا أن يفعلوا شيئا دون علم الرب تخفوا في الظلام وفعلوا ما يشاءون، وهم يعتقدون أن الرب لا يراهم ولا يعلم إجرامهم وشنائعهم[٤٣٧]، يقول حزقيال: «فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ وَإِذَا كُلُّ شَكْلِ دَبَّابَاتٍ وَحَيَوَانٍ نَجِسٍ، وَكُلُّ أَصْنَامِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، مَرْسُومَةٌ عَلَى الْحَائِطِ عَلَى دَائِرِهِ، وَوَاقِفٌ قُدَّامَهَا سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، وَيَازَنْيَا بْنُ شَافَانَ قَائِمٌ فِي وَسْطِهِمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِجْمَرَتُهُ فِي يَدِهِ، وَعِطْرُ عَنَانِ الْبَخُورِ صَاعِدٌ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا تَفْعَلُهُ شُيُوخُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي الظَّلاَمِ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَخَادِعِ تَصَاوِيرِهِ؟ لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الرَّبُّ لاَ يَرَانَا! الرَّبُّ قَدْ تَرَكَ الأَرْضَ!»[٤٣٨].

وتراجع الرب عن بعض ما فعل أو عزم على فعله حينما يرى أنه ليس صحيحًا أو أن النتيجه التي تترتب عليه سيئة؛ غالبًا ما يصحبه ندم على فعل الشيء أو العزم على فعله، جاء في سفر الخروج: «فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ»[٤٣٩].

على الرغم من أن التوراة تنفي كثيرًا من الصفات السيئة عن الرب إلا إنها تقرر في مواضع أخرى أنه يفعلها، جاء في سفر العدد: لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ[٤٤٠].

---

[٤٣٦] انظر: سفر التكوين، إصحاح ١٨: ٢٧ – ٣٣.

[٤٣٧] لكن يبدو أن الرب كان أذكى منهم ؛ فقد ثقب في الحائط ثقبًا ينظر من خلاله إلى قبائحهم وشركهم ؛ لما يعلمه عنهم من المكر والخبث، وحب التمرد، واتباع الهوى.

[٤٣٨] سفر حزقيال، إصحاح ٨: ١٠ – ١٢.

[٤٣٩] سفر الخروج، إصحاح ٣٢: ١٤.

[٤٤٠] سفر العدد، إصحاح ٢٣: ١٩.

والأصل في نفي هذه الصفات نفي مقدماتها أو دوافعها.

٣١- الإله يتذكر وينسى:

وهذه من أبرز صفات الرب، وربما كان الرب الإله الذي يتصف بالصفات البشرية معذورًا في ذلك؛ لأن الخلق –وهم كثيرون– تتعدد حاجاتهم، وتختلف مطالبهم، وتتنوع دعواتهم؛ فينسى الرب ما يطلب منه أحيانًا، أو ينسى ما قطع على نفسه من وعود، ويحتاج لمن يُذكِّره بذلك، لكن هناك ميزة في هذا الرب أنه إذا ذُكِّر بوعده، أقر به فلم ينكره، وأنجزه.

فهو حينما يسمع أنين شعب إسرائيل حينما يستعبدهم المصريون ويذلونهم يتذكر وعده الذي قطعه على نفسه لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يكثر نسلهم ويعطيه الأرض (المقدسة)، فيسعى لإنفاذ عهده لهم، وإنقاذ نسلهم، تقول التوراة: «فَسَمِعَ اللهُ أَنِينَهُمْ، فَتَذَكَّرَ اللهُ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَنَظَرَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلِمَ اللهُ»[٤٤١].

وفي موضع آخر يذكر نفس الأمر، تقول: «وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ، وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي»[٤٤٢].

ولما صعد موسى الجبل ليكلم الرب ويأخذ التشريع والوصايا التي كتبها الرب لشعبه واستبطأ الشعب نزول موسى طلبوا إلى هارون أن يجعل لهم آلهة تسير أمامهم، فأمرهم هارون أن يجمعوا من نسائهم وبناتهم أقراط الذهب فجمعوها، وصنع لهم عجلاً مسبوكًا فسجدوا له وذبحوا له، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، حينها اشتد غضب

---

[٤٤١] سفر الخروج، إصحاح ٢: ٢٤ – ٢٥.

[٤٤٢] سفر الخروج، إصحاح ٦: ٥.

الرب عليهم «فقال الرب لموسى: الآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم، وأصيرك شعبًا عظيمًا!»[٤٤٣]، فما كان من موسى إلا أن تضرع للرب ألا يهلك شعبه الذي أصعده من مصر، وذكره بعبيده إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذكره بحلفه لهم أن يكثر نسلهم ويجعله كعدد نجوم السماء، وأن يعطي نسلهم هذه الأرض فيملكونها إلى الأبد، عندئذ تذكر الرب هذه الوعود فندم على ما أزمع أن يفعله بشعبه، جاء في سفر الخروج: «اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ»[٤٤٤].

والإله يعلم من نفسه أنه ينسى؛ لذلك يلجأ إلى أن يتخذ لنفسه ما ينبهه ويذكره بما ينبغي عليه أن يفعله، وهو أن يضع القوس في السحاب، وعندما ينشر السحاب وتظهر القوس (قوس قزح) يتذكر ما يجب عليه فعله، والمواثيق التي قطعها على نفسه.

يقول الرب لنوح عليه السلام: «أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ، وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ، وَقَالَ اللهُ: هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ، فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ، فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ، فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ

---

[٤٤٣] انظر: سفر الخروج، إصحاح ٣٢:١٠.

[٤٤٤] سفر الخروج، إصحاح ٣٢:١٣ – ١٤.

فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ»(٤٤٥).

ولا أدري كيف يتذكر الإله المواثيق والعهود التي تكون في أيام الصيف حيث لا يظهر قوس قزح؟ هل ينسى الإله هذه المواثيق ويضيع تلك العهود؟.

٣٢- الإله يتحرك وينزل ويتكلم بصوت:

فالرب يفعل ما يفعله البشر من حركة وتنقل ونزول وكلام وغيره، وهذا ليس بالغريب على هذا الرب الآدمي.

جاء في سفر ميخا: «فَإِنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ وَيَنْزِلُ وَيَمْشِي عَلَى شَوَامِخِ الأَرْضِ»(٤٤٦).

وفي سفر التكوين: «فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا»(٤٤٧).

وفي سفر الخروج: «فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ، إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ»(٤٤٨).

وفي نفس السفر: «فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ:

---

(٤٤٥) سفر التكوين، إصحاح ٩: ١١ – ١٦.

(٤٤٦) سفر ميخا، إصحاح ١: ٣.

(٤٤٧) سفر التكوين، إصحاح ١١: ٥.

(٤٤٨) سفر الخروج، إصحاح ٣: ٧ – ٨.

مُوسَى، مُوسَى!، فَقَالَ: هأَنَذَا، فَقَالَ: لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا، اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ![٤٤٩].

ولما أراد لشعبه أن يؤمنوا بموسى إلى الأبد رأى أن ينزل أمام عيون الجميع حتى يروه ويسمعوا كلامه لموسى، فإذا رأوا الرب وسمعوا تكليمه لموسى آمنوا بموسى إلى الأبد، جاء في سفر الخروج: «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ الْيَوْمَ وَغَدًا، وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ، لأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيُونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ»[٤٥٠].

وفي ذات السفر أيضًا: «وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ»[٤٥١].

وفيه كذلك: «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: هَا أَنَا آتٍ إِلَيْكَ فِي ظَلاَمِ السَّحَابِ لِكَيْ يَسْمَعَ الشَّعْبُ حِينَمَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ، فَيُؤْمِنُوا بِكَ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ»[٤٥٢].

لكن يبدو أن الرب الذي قرر أن ينزل أمام عيون الجميع لا يريد من الشعب أن يروه، فهو ينزل إليهم في ظلام السحاب، وربما أراد أيضًا أن يخوف الشعب ويرعبهم ليعلموا أنه قادر عليهم ويستطيع أن ينزل بهم البلاء في أي وقت.

فالرب حينما نزل لم يكتف بأنه نزل في ظلام السحاب، ولكن في صباح اليوم الثالث الذي وعد الرب الشعب أن ينزل فيه تحدث رعود وبروق وصوت بوق شديد جدًا يزداد شدة

---

[٤٤٩] سفر الخروج، الإصحاح ٣: ٤ – ٥.

[٤٥٠] سفر الخروج، إصحاح ١٩: ١٠ – ١١.

[٤٥١] سفر الخروج، إصحاح ١٩: ٢٠.

[٤٥٢] سفر الخروج، إصحاح ١٩: ٩.

كلما اقترب الرب من الجبل، حتى ارتعد كل الشعب الذي جاء إلى أسفل الجبل ليرى ويسمع الرب.

جاء في سفر الخروج: «وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَنَّهُ صَارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَوْتُ بُوق شَدِيدٌ جِدًّا، فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ»[٤٥٣].

ليس هذا فقط ولكن أصاب الجبل دخان شديد كدخان الأتون حتى ارتجف الجبل ارتجافًا شديدًا؛ وذلك لأن الرب نزل على الجبل بالنار !!

في سفر الخروج نقرأ: «وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا، فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ»[٤٥٤].

ولا أدري لماذا صوت البوق هذا الشديد الذي يصاحب نزول الرب والذي يشتد جدًا كلما نزل الرب واقترب من الجبل، ليبلغ غايته في الشدة عند هبوط الرب على الجبل؟

ولا أدري كذلك هل كان موسى يسمع صوت الرب وسط هذه البروق والرعود والأبواق الشديدة بالفعل؟ وهل كان يفهم ما يقوله الرب؟.

وكيف كان الشعب يسمعون صوت الرب كذلك وسط هذه الضجة العارمة من أصوات الرعود والبروق والأبواق الشديدة؟

---

[٤٥٣] سفر الخروج، إصحاح ١٩: ١٦.

[٤٥٤] سفر الخروج، إصحاح ١٩: ١٨ – ١٩.

وإن كانوا قد سمعوا صوت الرب فهل انتبهوا له أم أذهلهم هذا الفزع وتلك الرجفة التي أصابتهم من جراء تلك التشريفة الربانية؟.

يبدو أن الرعب والفزع قد أذهلهم فلم يسمعوا كلام الرب، فالتوراة تخبرنا أن الشعب لما أصابهم الفزع من هول ما رأوا ابتعدوا بعيدًا وقالوا لموسى تكلم معنا أنت حتى نسمع؛ لأن الرب لو تكلم معنا لمتنا، جاء في سفر الخروج: «وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالُوا لِمُوسَى:تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ، وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ»(٤٥٥).

ولكن التوراة تفاجئنا بحقيقة صادمة، فبعد هذا المشهد المرعب الذي يشبه فيلمًا من أفلام الرعب السينمائية: سحاب وظلام وبروق ورعود وأصوات أبواق شديدة ودخان ونار وجبل يرتج ... ثم تأتي الحقيقة المرة أن الرب لم ينزل من السماء أصلاً وإنما كلمهم من السماء، فبعد هذا المشهد مباشرة يقول الرب لموسى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنِّي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ»(٤٥٦).

يا له من رب مخادع جعل الشعب يعيش لحظات عصيبة في خوف وفزع ورعب ...، والأدهى من ذلك أننا لو تساءلنا: هل تحقق الهدف من نزول الرب أم لا؟.

التوراة تخبرنا أن الهدف لم يتحقق، فالهدف من النزول كما أخبر الرب أن يسمع الشعب صوته فيؤمنوا بموسى إلى الأبد: «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: هَا أَنَا آتٍ إِلَيْكَ فِي ظَلاَمِ السَّحَابِ لِكَيْ يَسْمَعَ الشَّعْبُ حِينَمَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ، فَيُؤْمِنُوا بِكَ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ»(٤٥٧).

---

(٤٥٥) سفر الخروج، إصحاح ٢٠: ١٩.

(٤٥٦) سفر الخروج، إصحاح ٢٠: ٢٢.

(٤٥٧) سفر الخروج، إصحاح ١٩: ٩.

لكن الشعب نتيجة ما أصابه من هذا المشهد المرعب لم يسمع كلام الرب، بل وقف بعيدًا، يصور سفر الخروج هذا المشهد: وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالُوا لِمُوسَى: تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ، وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ[٤٥٨].

ويبدو أن الرب لما وجد الأمر هكذا، وعلم أنه قد أفزع الشعب وأخافه رأى أن يختصر الأمر وينهي هذا الموقف فأمر موسى أن يبلغ الشعب أوامره ووصاياه، جاء في سفر الخروج: فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنِّي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ، لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ، وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ، مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلاَمَتِكَ، غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لاسْمِي ذِكْرًا آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ»[٤٥٩].

فلم يسمع الشعب كلام الرب كما أراد الرب ورسم لهم، وإنما -كالعادة- استمعوا إلى وصايا الرب وأحكامه وأوامره عن طريق موسى، ولكن بعد أن أرعبهم الرب بهذا المشهد حتى لا يتجرأ أحد منهم على التكذيب أو المخالفة والعناد!.

٣٣- الإله يتألم لألم شعبه ويسعى لإنقاذهم:

فالرب يعطف على شعبه الذي اختاره ويتألم لما أصابه، ويسعى لإنقاذه وتخليصه من معاناته، جاء في سفر الخروج: «وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: ...، اِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمُ: الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلاً: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صُنِعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ، فَقُلْتُ أُصْعِدُكُمْ مِنْ مَذَلَّةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ

[٤٥٨] سفر الخروج، إصحاح ٢١: ١٨ - ١٩.

[٤٥٩] سفر الخروج، إصحاح ٢١: ٢٣ - ٢٤.

وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً»[٤٦٠].

«فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، ...، وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ»[٤٦١].

٣٤- الإله يتصف بالجهل الشديد:

لا تتوانى التوراة بداية من أول حرف فيها عن وصف الرب بالجهل الشديد، فهو لا يعلم شيئًا حتى يراه أو يسمعه أو يُخبر به، فلا تكاد تقرأ الأسطر الأولى من التوراة حتى تقف على جهل هذا الرب وتخبطه، فقد خلق الرب الظلمة فلما خلق النور رأى أنه حسن، وكلما تقدمت في القراءة تجد جملة «وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ» تتكرر معك كلما خلق الرب شيئًا، وكأنه يخلق الأشياء عشوائيًا ثم إذا رآها حسنةً فرح بذلك ثم واصل خلقه لأشياء أخرى ...، فما أجهله من رب لا يدري ما يخلقه!.

ثم إذا انتقلت إلى خلق أهم مخلوق على وجه الأرض، الإنسان فسوف ترى العجب العجاب، فقد خلق الله آدم وحواء وأطلقهما في الجنة ونهاهما عن الأكل من الشجرة، ولم يدر أين هما من الجنة؟، ولم يدر هل أكلا من الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها أم لا؟ لذا فقد خرج يبحث عنهما في الجنة فحدث هذا الموقف: «وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ

---

[٤٦٠] سفر الخروج، إصحاح ٣: ١٥ – ١٧.

[٤٦١] سفر الخروج، إصحاح ٣: ٧ – ١٠.

عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟، فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ: مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟»[٤٦٢].

ولما أنزل الإنسان إلى الأرض تفاجأ بأن الإنسان قد أفسد الأرض بأفعاله الشريرة، وكأن الإله لما خلق الإنسان لم يكن عنده أي علم بما سيصنع الإنسان على الأرض، جاء في سفر التكوين: «وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ، فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ»[٤٦٣].

وأطرف شيء في هذا النص: وجود "إذا" الفجائية، وكأن الإله تفاجأ بهذا الأمر فكأنه لم يكن يرى ثم رأي ولم يكن يعلم ثم علم لما رأى.

فهذا الإله جاهل كذلك بمن يختارهم لتبليغ رسالاته للناس ويظهر هذا الجهل واضحًا حينما يختار الإله موسى ليبلغ فرعون وقومه رسالة الله وليخلص بني إسرائيل من ذل فرعون وقومه من المصريين، فلا يحسن الاختيار لأنه اختار رجلا يرفض الرسالة ولا يرضاها على الرغم من أن الرسالة شرف لمن يختارهم الله لها، لكن موسى يرفضها!.

تقول التوراة حاكية لنا مقالة موسى لله حيث قال: اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ[٤٦٤].

---

[٤٦٢] سفر التكوين، إصحاح٣: ٨.

[٤٦٣] سفر التكوين، إصحاح ٦: ١٢ – ١٣.

[٤٦٤] سفر الخروج، إصحاح ٤: ١٣.

هذا على الرغم من أن الله علم موسى ماذا سيقول لبني إسرائيل وماذا يقول لفرعون وقومه وأعطاه لذلك عدة آيات ليثبت بها لهم صدق إرسال الله له: العصا واليد والماء الذي يأخذه من النهر فيلقيه على اليابسة فيتحول إلى دم ....، إلى غير ذلك من الآيات، ليس هذا فقط وإنما وعده بالنصر والتأييد وأنه سيكون في فمه يعلمه ما يقول، يقول الإله لموسى كما تحكي التوراة: «فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»[٤٦٥].

«فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ، وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا، وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ»[٤٦٦].

ولكن على الرغم من هذا رفض موسى الرسالة رفضًا قطعيًّا، فقالها صراحة للإله، ولكن في فظاظة وغلظة: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ»[٤٦٧].

وما أعظم هذا الجهل وأفظعه حينما يأمر الرب موسى وهارون أن يخبرا بني إسرائيل بهذه الوليمة الإلهية التي يطلق عليها "فصح الرب"، وملخصها أن يختار كل بيت منهم شاة صحيحة ذكرًا من الخرفان أو المعز بحسب عدد نفوس كل بيت فإن كان البيت صغيرًا يشترك في الشاة مع أقرب جار من بيته يكون عدد نفوس بيته قليلاً، ثم يذبح كل بيت هذه الشاة ليلة الرابع عشر من الشهر الذي هو أول شهور السنة عندهم، ويلطخ بدمها قائمتي الباب وعتبة البيت الذي يأكلونها فيه، ويأكلون هذه الشياه مشوية بالنار، ولا يأكلونها نيئة ولا مطبوخة بالماء، ويأكلون الشاة لا يبقون منها شيئًا في هذه الليلة؛ لأن ما يتبقى منها إلى

---

[٤٦٥] سفر الخروج، إصحاح ٤: ١٢.

[٤٦٦] سفر الخروج، إصحاح ٤: ١٥ – ١٧.

[٤٦٧] سفر الخروج، إصحاح ٤: ١٣.

الصباح يحرق بالنار، وإذا أكلوها فليأكلوا بعجلة وسرعة ولتكن أحقاؤهم مشدودة عليهم وأحذيتهم في أرجلهم وفي أيديهم عصيهم![٤٦٨].

ولكن ما الحكمة من تلطيخ القوائم والعتبة بدم هذه الشاة التي يذبحونها يجيبنا الرب على هذا التساؤل بإجابة في غاية الدهشة والغرابة إذا لو أجاب بها ملك من ملوك الدنيا فضلاً عن أن يكون ربًا إلهًا لكانت منقصة عظيمة في حقه، تنقل لنا التوراة إجابة الرب حيث يقول: «فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ، أَنَا الرَّبُّ، وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ»[٤٦٩].

فيا له من جهل مطبق لا يستطيع الرب –لفرط جهله– أن يفرق بين بيوت المؤمنين به وبيوت غيرهم ممن لم يؤمن به إلا بتلك العلامات التي يضعونها على بيوتهم، ولو أن أحد الإسرائيليين انشغل فنسى أن يضع العلامة للرب لأهلكه الرب الجاهل، ولو أن بعض المصريين رأي الإسرائيليين يفعلون ذلك ففعله مثلهم ولو من باب اللهو والتقليد لنجا من بطش هذا الرب الغشوم !!

ولعلنا نتساءل: لماذا اختار الرب هذه الليلة تحديدًا لتنفيذ هذه المهمة؟ ربما لأن الرب لا يستطيع أن ينفذ مهماته التي يخطط لها إلا في النور الساطع؛ ولذلك اختار لنزوله ليضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ليلة الرابع عشر من الشهر حيث يكون القمر

---

[٤٦٨] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ١- ١١.

[٤٦٩] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ١٢- ١٣.

تمامًا ونور القمر ساطعًا يتلألأ في جوانب الليل يمحو الظلام الدامس ويحل مكانه نورًا هادئًا جميلاً.

بل الأعجب أن الإله لما خطط لضرب مصر الضربة القاضية التي تجعل فرعون يطلق بني إسرائيل كانت خطته أن فرعون سيطلق الشعب بعد سبعة أيام من ليلة نزوله، لكن حدث ما لم يكن يعلمه الرب، ولا خطط له، فقد أطلق فرعون الشعب في نفس الليلة التي نزل فيها الرب، وأرسل لموسى وهارون أن يذهبا بالشعب ليعبدوا ربهم([٤٧٠]).

بل إن التوراة لتقدم لنا المرة تلو المرة الأدلةَ على جهل الرب الإله فهو دائمًا يرسل موسى بكلامه وأوامره إلى شعب إسرائيل وينتظر أن يأتي إليه موسى بالرد، تقول التوراة: «فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ الشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا الرَّبُّ، فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ، فَرَدَّ مُوسَى كَلاَمَ الشَّعْبِ إِلَى الرَّبِّ، ... وَأَخْبَرَ مُوسَى الرَّبَّ بِكَلاَمِ الشَّعْبِ»[٤٧١].

ومع هذا الجهل فإننا نجد الإله يخبر موسى بضلال شعب إسرائيل وعبادتهم للعجل الذي صنعه لهم هارون فحينما صعد موسى الجبل ليكلم الرب، ويأخذ التشريع والوصايا التي كتبها الرب لشعبه، واستبطأ الشعب نزول موسى فطالبوا هارون أن يجعل لهم آلهة تسير أمامهم فجمع هارون منهم الحلي وصنع لهم عجلاً مسبوكًا فسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر!.

تقول التوراة: فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبِ انْزِلْ؛ لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ

---

[٤٧٠] انظر القصة كاملة في سفر الخروج، إصحاح ١٢.

[٤٧١] سفر الخروج، إصحاح ١٨: ٧- ٨.

مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ، صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ[٤٧٢].

فلا أدري إن كان ذلك تناقضًا في نص التوراة أم أن الرب الإله يعلم أشياء ويجهل أخرى؟.

ولما كثر صراخ سدوم وعمورة، وتمادوا في العصيان وعظمت خطيئتهم جدًا، أراد الرب أن يعرف ويتأكد من أنهم فعلوا الخطايا بالفعل أم لا، فقرر أن ينزل ليعرف ذلك ويتأكد منه، جاء في سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا، أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ»[٤٧٣].

ومن دلائِل جهله أنه اختار شاول ملكًا، وقال له: «فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا»[٤٧٤].

ولم يكن يعلم أن شاول الذي اختاره واصطفاه ليحارب أعداءه ويقيم كلمته، وأيده بالنصر لن يقيم كلمته، ولن يخضع لأمره، فما إن تم له النصر على أعدائه حتى خالف أمر الرب، وأهمل كلمته: «وَعَفَا شَاوُلُ وَالشَّعْبُ عَنْ أَجَاجَ وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالثُّنْيَانِ وَالْخِرَافِ، وَعَنْ كُلِّ الْجَيِّدِ، وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُحَرِّمُوهَا. وَكُلُّ الأَمْلاَكِ الْمُحْتَقَرَةِ وَالْمَهْزُولَةِ حَرَّمُوهَا[٤٧٥].

حتى الأشياء التي حرموها إنما حرموها، زهدًا فيها؛ لعدم قيمتها.

---

[٤٧٢] سفر الخروج، إصحاح ٣٢: ٧ – ٨.

[٤٧٣] سفر التكوين، الإصحاح ١٨، العدد ٢١ – ٢٢، والمقصود بالصراخ المجاهرة بفعل المعاصي.

[٤٧٤] سفر صمويل١، إصحاح ١٥: ٣.

[٤٧٥] سفر صمويل ١، إصحاح ١٥: ٩، وأجاج هو ملك العماليق الذين أُمر شاول بمحاربتهم.

لذا ندم الرب الجاهل على سوء اختياره، وقبح تدبيره، جاء في سفر صمويل الأول: «وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلاً: نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي»[٤٧٦].

ومن جهله أنه لما كثر الناس في الأرض، وتضخم عددهم، وكان لسانهم واحد ولغتهم واحدة اختاروا بقعة من الأرض واتفقوا أن يبنوا لأنفسهم مدينة وبرجًا عاليًا، وأن يجعلوا لهم اسمًا حتى لا يتبددوا على وجه الأرض، هم يفعلون هذا والرب لا يدري ما الذي يفعلونه، فينزل الرب بنفسه لينظر ماذا يفعل هؤلاء البشر؛ ليعرف كيف سيواجه أفعالهم، جاء في سفر التكوين: «وَقَالُوا: هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ، وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا»[٤٧٧].

وخلاصة الأمر أن هذا الرب كان يتميز بالجهل المطبق بكل ما ليس في نطاق رؤيته أو سمعه، وبالجهل التام بعواقب الأمور وما تؤول إليه، وبالجهل التام حتى بنتائج أفعاله التي يفعلها، فكثيرًا ما تأتي النتائج على خلاف ما خطط ورسم.

وقد توارث عنهم النصارى إلصاق الصفات القبيحة بذات الله عز وجل من الجهل الخنوع والضعف وغيرها، فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ![٤٧٨].

---

[٤٧٦] سفر صمويل ١، إصحاح ١٥: ١٠ – ١١.

[٤٧٧] سفر التكوين، إصحاح ١١: ٤ – ٥.

[٤٧٨] رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، إصحاح ١: ٢٥.

٣٥- الإله قاسٍ متوحشٌ حتى على شعبه:

فعلى الرغم من شفقة الإله على شعبه المختار وتألمه لما يصيبه من بلايا، وإسراعه لإنقاذه من أيدي أعدائِه وقهرهم، بل وندمه كثيرًا على أنه مكن الأعداء من شعبه، إلا إننا نرى كل هذه الشفقة والرحمة تتحول إلى قسوة ووحشية وشراسة على هذا الشعب إذا أخطأ، فقد توعد الرب من لم يسمع وصاياه التي أوصاه بها ولم يعمل بفرائِضه بكل أنواع البلايا التي قد تخطر على البال أو لا تخطر، وأول هذا البلاء أنه سيكون ملعونًا في كل مكان يحل فيه، هو وكل ما اتصل به، حتى أولاده الذين يولدون بعد معصيته –ولا ذنب لهم- سيكونون ملعونين، وأرضه وثماره وأبقاره ونتاجها، وأغنامة ونتاجها، ليس هذا فقط بل ستصيبه جميع الأمراض والأوبئِة ...، إلى غير ذلك من أنواع العقوبات التي تصيبه في كل جزء من أجزاء بدنه من رأسه إلى أخمص قدميه[٤٧٩].

وهذه العقوبات لن تنقطع عنه بل تصيبه إلى الأبد، جاء في سفر التثنية: «إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ:مَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ، مَلْعُونَةً تَكُونُ سَلَّتُكَ وَمِعْجَنُكَ، مَلْعُونَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ وَثَمَرَةُ أَرْضِكَ، نِتَاجُ بَقَرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ، مَلْعُونًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ، يُرْسِلُ الرَّبُّ عَلَيْكَ

[٤٧٩] وأنا أعجب ممن كتب هذا النص، كيف جمع كل هذه العقوبات وسردها بهذا الشكل؟ لأنني أزعم أننا لو أتينا بإنسان موتور قد امتلأ قلبه حقدًا على واتره، وقلنا له اذكر لنا أنواعًا من العقوبات التي تريد أن ننفذها في واترك لما استطاع أن يذكر كل هذه العقوبات مع امتلاء قلبه بالحقد والغل على واتره، فكيف بالرب الذي يفترض فيه أن يكون رحيمًا رفيقًا بكل خلقه، وبشعبه الذي اختاره واصطفاه من بين البشر؟!!

اللَّعْنَ وَالاضْطِرَابَ وَالزَّجْرَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ لِتَعْمَلَهُ، حَتَّى تَهْلِكَ وَتَفْنَى سَرِيعًا مِنْ أَجْلِ سُوْءِ أَفْعَالِكَ إِذْ تَرَكْتَنِي، يُلْصِقُ بِكَ الرَّبُّ الْوَبَأَ حَتَّى يُبِيدَكَ عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، ضْرِبُكَ الرَّبُّ بِالسِّلِّ وَالْحُمَّى وَالْبُرَدَاءِ وَالالْتِهَابِ وَالْجَفَافِ وَاللَّفْحِ وَالذُّبُولِ، فَتَتَّبِعُكَ حَتَّى تُفْنِيَكَ، وَتَكُونُ سَمَاؤُكَ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِكَ نُحَاسًا، وَالأَرْضُ الَّتِي تَحْتَكَ حَدِيدًا، وَيَجْعَلُ الرَّبُّ مَطَرَ أَرْضِكَ غُبَارًا، وَتُرَابًا يُنَزِّلُ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى تَهْلِكَ، يَجْعَلُكَ الرَّبُّ مُنْهَزِمًا أَمَامَ أَعْدَائِكَ. فِي طَرِيق وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ عَلَيْهِمْ، وَفِي سَبْعِ طُرُق تَهْرُبُ أَمَامَهُمْ، وَتَكُونُ قَلِقًا فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ الأَرْضِ، وَتَكُونُ جُثَّتُكَ طَعَامًا لِجَمِيعِ طُيُورِ السَّمَاءِ وَوُحُوشِ الأَرْضِ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُهَا، يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِقُرْحَةِ مِصْرَ وَبِالْبَوَاسِيرِ وَالْجَرَبِ وَالْحِكَّةِ حَتَّى لاَ تَسْتَطِيعَ الشِّفَاءَ، يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِجُنُونٍ وَعَمَى وَحَيْرَةِ قَلْبٍ، فَتَتَلَمَّسُ فِي الظُّهْرِ كَمَا يَتَلَمَّسُ الأَعْمَى فِي الظَّلاَمِ، وَلاَ تَنْجَحُ فِي طُرُقِكَ بَلْ لاَ تَكُونُ إِلاَّ مَظْلُومًا مَغْصُوبًا كُلَّ الأَيَّامِ وَلَيْسَ مُخَلِّصٌ، تَخْطُبُ امْرَأَةً وَرَجُلٌ آخَرُ يَضْطَجِع مَعَهَا، تَبْنِي بَيْتًا وَلاَ تَسْكُنُ فِيهِ، تَغْرِسُ كَرْمًا وَلاَ تَسْتَغِلُّهُ، يُذْبَحُ ثَوْرُكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَلاَ تَأْكُلُ مِنْهُ، يُغْتَصَبُ حِمَارُكَ مِنْ أَمَامِ وَجْهِكَ وَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْكَ. تُدْفَعُ غَنَمُكَ إِلَى أَعْدَائِكَ وَلَيْسَ لَكَ مُخَلِّصٌ، يُسَلَّمُ بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ لِشَعْبٍ آخَرَ وَعَيْنَاكَ تَنْظُرَانِ إِلَيْهِمْ طُولَ النَّهَارِ، فَتَكِلاَّنِ وَلَيْسَ فِي يَدِكَ طَائِلَةٌ، ثَمَرُ أَرْضِكَ وَكُلُّ تَعَبِكَ يَأْكُلُهُ شَعْبٌ لاَ تَعْرِفُهُ، فَلاَ تَكُونُ إِلاَّ مَظْلُومًا وَمَسْحُوقًا كُلَّ الأَيَّامِ، وَتَكُونُ مَجْنُونًا مِنْ مَنْظَرِ عَيْنَيْكَ الَّذِي تَنْظُرُ، يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِقَرْحٍ خَبِيثٍ عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ وَعَلَى السَّاقَيْنِ، حَتَّى لاَ تَسْتَطِيعَ الشِّفَاءَ مِنْ أَسْفَلِ قَدَمِكَ إِلَى قِمَّةِ رَأْسِكَ، يَذْهَبُ بِكَ الرَّبُّ وَبِمَلِكِكَ الَّذِي تُقِيمُهُ عَلَيْكَ إِلَى أُمَّةٍ لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ، وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ، وَتَكُونُ دَهَشًا وَمَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسُوقُكَ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ، بِذَارًا كَثِيرًا تُخْرِجُ إِلَى الْحَقْلِ، وَقَلِيلاً تَجْمَعُ، لأَنَّ الْجَرَادَ يَأْكُلُهُ، كُرُومًا تَغْرِسُ وَتَشْتَغِلُ، وَخَمْرًا لاَ تَشْرَبُ وَلاَ تَجْنِي، لأَنَّ الدُّودَ يَأْكُلُهَا، يَكُونُ

لَكَ زَيْتُونٌ فِي جَمِيعِ تُخُومِكَ، وَبِزَيْتٍ لاَ تَدَّهِنُ، لأَنَّ زَيْتُونَكَ يَنْتَثِرُ، بَنِينَ وَبَنَاتٍ تَلِدُ وَلاَ يَكُونُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ إِلَى السَّبْيِ يَذْهَبُونَ، جَمِيعُ أَشْجَارِكَ وَأَثْمَارِ أَرْضِكَ يَتَوَلاَّهُ الصَّرْصَرُ، اَلْغَرِيبُ الَّذِي فِي وَسَطِكَ يَسْتَعْلِي عَلَيْكَ مُتَصَاعِدًا، وَأَنْتَ تَنْحَطُّ مُتَنَازِلاً، هُوَ يُقْرِضُكَ وَأَنْتَ لاَ تُقْرِضُهُ هُوَ يَكُونُ رَأْسًا وَأَنْتَ تَكُونُ ذَنَبًا، وَتَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتَتَّبِعُكَ وَتُدْرِكُكَ حَتَّى تَهْلِكَ، لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ الَّتِي أَوْصَاكَ بِهَا، فَتَكُونُ فِيكَ آيَةً وَأُعْجُوبَةً وَفِي نَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ»[٤٨٠].

٣٦- الإله يتصف بالتناقض العجيب والرعونة في التصرف:

فالرب قد قال لموسى اذهب إلى مصر وقل لشيوخ بني إسرائيل إن الرب إلهكم وإله آبائكم قد أرسلني، واذهب إلى فرعون وقل له أطلق بني إسرائيل ليعبدوا الله ووعده النصر والتمكين، فلما استجاب موسى وأركب أهله على الحمير متجهًا إلى مصر عَنَّ للرب أن يقتله!، كيف؟ ولماذا؟ لا تجد لذلك مبررًا!.

كيف يأمره بالذهاب إلى مصر وتبليغ الرسالة إلى بني إسرائيل، وإلى وفرعون ويعده بالتأييد وأنه سيكون في فمه ويعلمه ما يتكلم به وهو يريد أن يقتله؟.

فهو إما أنه كان يضمر قتله ووعده بما وعد مكرًا وكذبًا أو أنه إله جاهل لم يكن يعلم أنه سيقتله وعَنَّ له في لحظة معينة أن يقتله!.

وكذلك حينما تختن زوجة موسى ابنًا لها وتمس رجليه بالدم وتَقول: إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي ينفك عنه الرب ويتركه!.

---

[٤٨٠] سفر التثنية، إصحاح ٢٨:١٦- ٤٢، وقد نقلت النص بطوله على ما فيه من إسهاب لشدة دهشتي مما ورد في هذا النص من عقوبات، وكيف جمعت بهذا الشكل.

تقول التوراة: «وَحَدَثَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَنْزِلِ أَنَّ الرَّبَّ الْتَقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي، فَانْفَكَّ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ»[٤٨١].

٣٧- الإله يتصف بالظلم وعدم التمييز بين الظالم المتجبر والمستضْعَف المسكين:

فمن أبرز صفات الرب الإله عند اليهود الظلم وعدم التمييز بين الظالم المتجبر والمستضعف المسكين (ولعل هذا من أهم الأسباب التي تسوغ لهم الاعتداء والظلم والطغيان) فها هو الرب يضرب أرض مصر كلها ويصيب أهل مصر جميعهم بالبلايا والمصائب؛ لأن فرعون يرفض أن يطلق بني إسرائيل كما أمر الرب، وما كل ذلك إلا ليثبت أنه الرب الأقوى من كل الآلهة التي يعبدها المصريون، فيرمي أهل مصر جميعهم بالبلاء ولا يرحم الضعفاء ولا المظلومين الذين لا حيلة لهم ولا ذنب لهم إلا أنهم يعيشون في مصر، فيرمي الرب أهل مصر بأن يحول نهر النيل وجميع آبارهم وكل مياههم دمًا، حتى يموت السمك وينتن النهر؛ فيعاف المصريون أن يشربوا من ماء النهر، ويعم الدم كل أرض مصر.

جاء في سفر الخروج: «فَفَعَلَ هكَذَا مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. رَفَعَ الْعَصَا وَضَرَبَ الْمَاءَ الَّذِي فِي النَّهْرِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عُيُونِ عَبِيدِهِ، فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ دَمًا، وَمَاتَ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَأَنْتَنَ النَّهْرُ، فَلَمْ يَقْدِرِ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ، وَكَانَ الدَّمُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»[٤٨٢].

ثم لما لم يستجب فرعون ويطلق بني إسرائيل أنزل الرب على أهل مصر البلاء الثاني،

---

[٤٨١] سفر الخروج، إصحاح ٤:٢٤- ٢٦.

[٤٨٢] سفر الخروج، إصحاح ٧:٢٠ - ٢١.

وذلك بأن يبتليهم بالضفادع التي تصعد لتغطي أرض مصر، تقول التوراة: «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: قُلْ لِهَارُونَ: مُدَّ يَدَكَ بِعَصَاكَ عَلَى الأَنْهَارِ وَالسَّوَاقِي وَالآجَامِ، وَأَصْعِدِ الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَمَدَّ هَارُونُ يَدَهُ عَلَى مِيَاهِ مِصْرَ، فَصَعِدَتِ الضَّفَادِعُ وَغَطَّتْ أَرْضَ مِصْرَ، وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ وَأَصْعَدُوا الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ»(٤٨٣).

فلما عاند فرعون وأبى نزل البلاء الثالث من قبل الرب حيث ضرب الرب أرض مصر بالباعوض الذي تسلط على الناس والبهائم وكثر جدًا حتى صار تراب الأرض بعوضًا، وعم ذلك جميع أرض مصر، تقول التوراة: ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مُدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تُرَابَ الأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ، فَفَعَلاَ كَذلِكَ. مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ بِعَصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الأَرْضِ، فَصَارَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الأَرْضِ صَارَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ، وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا الْبَعُوضَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا. وَكَانَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ»(٤٨٤).

ولكن ذلك لم يُجْدِ مع فرعون وحاشيته فلم يرتدع، ولم يطلق بني إسرائيل، لكن اشتد قلبه فلم يسمع لأمر الرب فرمى الرب مصر وأهلها بالذبان، فامتلأت البيوت بالذُّبَّانَ، بل امتلأت به الأرض التي هم عليها كذلك، جاء في سفر الخروج: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ، وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي، فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا، وَلكِنْ

(٤٨٣) سفر الخروج، إصحاح ٨: ٥- ٧.

(٤٨٤) سفر الخروج، إصحاح ٨: ١٦- ١٨.

أُمَيِّزُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لاَ يَكُونُ هُنَاكَ هذِهِ الآيَةُ، فَفَعَلَ الرَّبُّ هكَذَا»(٤٨٥).

ولما لم يرجع فرعون عن عناده ويطلق شعب الرب ليعبدوه ابتلاهم الرب بالوباء الذي ينزل على جميع بهائمهم فتموت بهائم المصريين، تقول التوراة: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي، فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمْسِكُهُمْ بَعْدُ، فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلاً جِدًّا، وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ فَلاَ يَمُوتُ مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ»(٤٨٦).

ولكن فرعون لم يستجب لتهديدات الرب فأنزل الرب نقمته علي مصر كلها، فماتت جميع مواشي المصريين، ولكن يبدو أن بعض المواشي قد نجت من ذلك الوباء، مما دفع فرعون إلى أن يزيد في عناده، فيزداد غضب الرب عليه، ويقرر أن ينتقم من أهل مصر شر انتقام، فيأمر موسى أن يأخذ ملء يديه رمادًا ويذره في السماء أمام فرعون فيصير غبارًا لينزل على الناس والبهائم دمامل وبثورًا لتقضي عليهم.

جاء في سفر الخروج: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ:خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ، وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ، لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»(٤٨٧).

---

(٤٨٥) سفر الخروج، إصحاح ٨: ٢١- ٢٤.

(٤٨٦) سفر الخروج، إصحاح ٩: ١- ٤.

(٤٨٧) سفر الخروج، إصحاح ٩: ٨- ٩.

والغريب في الأمر أن الرب يبدو عاجزًا عن الانتقام من فرعون، فتراه يغضب على فرعون، ويصب جام غضبه على أهل مصر الذين لا ذنب لهم؛إذ أن فرعون هو الذي يرفض أن يستجيب لأمر الرب ويطلق بني إسرائيل ليعبدوه.

ولا يتوقف انتقام الرب من أهل مصر عند هذا الحد، لكنه يرميهم بالرعود والبرد يمطرهم به بما لم يرَ مثله منذ صارت مصر أمة، جاء في سفر الخروج: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ بَرَدٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ: عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ عُشْبِ الْحَقْلِ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُعُودًا وَبَرَدًا، وَجَرَتْ نَارٌ عَلَى الأَرْضِ، وَأَمْطَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسَطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً. فَضَرَبَ الْبَرَدُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ، إِلاَّ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرَدٌ»[٤٨٨].

ثم تتوالى عليهم المصائب بعد ذلك حيث يرسل الرب عليهم الجراد يأكل ما أبقاه البرد من نبات الأرض حتى تخرب الأرض، ثم يرميهم الرب بالظلام الشديد الذي يستمر عليهم ثلاثة أيام لا يبصرون شيئا[٤٨٩].

ثم أخيرًا وإزاء عناد فرعون وحاشيته لم يجد الرب بدًا من النزول بنفسه ليضربهم الضربة القاضية التي لا يملك بعدها فرعون وحاشيته إلا أن يطلقوا بني إسرائيل! جاء في سفر

---

[٤٨٨] سفر الخروج، إصحاح ٩: ٢٢- ٢٦.

[٤٨٩] سفر الخروج، إصحاح ١٠: ١- ٢٧

الخروج: «وَقَالَ مُوسَى: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِي وَسَطِ مِصْرَ، فَيَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بِكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ، وَيَكُونُ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُ أَيْضًا، وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يُسَنِّنُ كَلْبٌ لِسَانَهُ إِلَيْهِمْ، لاَ إِلَى النَّاسِ وَلاَ إِلَى الْبَهَائِمِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ، فَيَنْزِلُ إِلَيَّ جَمِيعُ عَبِيدِكَ هؤُلاَءِ، وَيَسْجُدُونَ لِي قَائِلِينَ: اخْرُجْ أَنْتَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ فِي أَثَرِكَ، وَبَعْدَ ذلِكَ أَخْرُجُ»[٤٩٠].

فليلة نزول الرب لا ينبغي أن تكون ليلة عادية، ولا ينبغي أن تمر لحظاتها كما تمر اللحظات في كل الليالي، لا بد أن تكون هذه الليلة عيدًا لشعب الرب يفرح ويمرح ويذبح الذبائِح ويأكل وينتشي، وهو يرى الرب يضرب أهل مصر فيتساقط الأبرياء والمساكين صرعى، وتموت البهائِم ويضج الناس في صراخ عظيم.

إن هذا الموقف ليذكرنا بمشاهد العتاة الطغاة المجرمين وقد أحكموا قبضتهم على الضعفاء العجزة فضربوهم ضربة إبادة، ثم قاموا يسكرون ويعربدون ويتمايلون على أشلائِهم في نشوة وغرور، بينما يصرخ النساء والأطفال من حولهم.

ويحدد لهم الرب ليلة نزوله، ويأمرهم أن يستعدوا بالذبائِح قبلها بأربعة أيام: يوم العاشر يستعدون بالذبائِح وينزل هو يوم الرابع عشر ليلاً[٤٩١]، فيذبح جمهور بني إسرائِيل في هذه

---

[٤٩٠] سفر الخروج، إصحاح ١١: ٤ – ٨.

[٤٩١] لا أدري لماذا اختار ليلة الرابع عشر؟، لعله اختارها لأن القمر يكون فيها بدرًا ينير الدنيا فيستطيع أن يميز بيوت بني إسرائِيل حينما يرى الأعتاب والأبواب ملطخة بالدماء، وربما لو كان الجو مظلمًا لما استطاع الرب أن يرى هذه الدماء على الأعتاب والأبواب.

الليلة ذبائِحهم ويأكلون، لكن لا يأكلون اللحم إلا شواءً بالنار مع الفطير على الأعشاب المرة، لا يأكلونه نيئًا ولا مطبوخًا، ويأكلون كل اللحم في هذه الليلة، ولا يبقون منه شيئًا إلى الصباح، وما يتبقى إلى الصباح يحرقونه بالنار.

جاء في سفر الخروج: «فِي الْعَاشِرِ مِنْ هذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ الآبَاءِ، شَاةً لِلْبَيْتِ، ...، تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ، وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْحِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ، ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعَشِيَّةِ، ...، وَيَأْكُلُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَشْوِيًّا بِالنَّارِ مَعَ فَطِيرٍ، عَلَى أَعْشَابٍ مُرَّةٍ يَأْكُلُونَهُ، لاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ نِيئًا أَوْ طَبِيخًا مَطْبُوخًا بِالْمَاءِ، بَلْ مَشْوِيًّا بِالنَّارِ، ...، وَلاَ تُبْقُوا مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ. وَالْبَاقِي مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ، تُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ»[٤٩٢].

ويأخذون دماء الذبائِح ويلطخون بها قوائِم الأبواب والأعتاب العليا في البيوت التي يأكلون فيها! يقول سفر الخروج: «وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا»[٤٩٣].

ويبين لهم أن سبب هذا الفعل هو أن يميز الرب حينما يجتاز ليلاً بيوتهم من بيوت المصريين، وربما يرجع تحديد البيوت التي يأكلون فيها بوضع الدم عليها إلى احتمال أن يكون أحد المصريين يشوي في بيته تلك الليلة، فتنبعث من بيته رائِحة الشواء فينخدع الرب ويظنه أحد أبناء شعبه فيتجاوزه ولا يهلكه، فإذا ما وجدت العلامتان تأكد الرب واستيقن.

تقول التوراة: «فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ

---

[٤٩٢] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٣ – ١٠.

[٤٩٣] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٧.

مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ، أَنَا الرَّبُّ، وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ[٤٩٤].

ولكن الغريب في قصة الفصح هذه هذا التناقض العجيب فيها، إذ يبدو أن المؤلف لما كان مدفوعًا بصياغة حدث انزعاج فرعون والمصريين لما ضربهم الرب بالليل فقضى على كل بكر من الناس، وطلبهم من موسى والشعب أن يخرجوا حيث أرادوا ليعبدوا ربهم، فوقع بسبب هذا الاندفاع في عدة تناقضات.

أول هذه التناقضات أن كاتب هذا السفر من شدة انفعاله وتعايشه مع موقف فرعون مع بني إسرائيل، وغضب الرب عليه نسي أنه ذكر أن الرب قد ضرب المواشي بالوباء في الضربة الخامسة فأهلك جميع مواشي المصريين، ولم يتبق إلا مواشي بني إسراءيل، فهل الفترة بين الضربة الخامسة والعاشرة كانت بهذا الطول بحيث تمكن المصريين من شراء مواشي، ثم تنتج هذه المواشي ليأتي الرب في هذه الليلة فيضرب أبكارها مع أبكار الناس: فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ[٤٩٥].

وثاني هذه التناقضات أن الرب قد خطط لشعبه خطة الخروج، وهي كالتالي:

في ليلة الرابع عشر من الشهر سيذبحون الفصح ويأكلون اللحم المشوي على النار والفطير، ويعزلون كل خمير من بيوتهم، ولا يأكلون المختمر، ويظلون على هذا لمدة سبعة أيام

---

[٤٩٤] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ١٢ – ١٣.

[٤٩٥] سفرالخروج، إصحاح١٢: ١٢، وانظر دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م،ص٨٣.

من الرابع عشر إلى الحادي والعشرين، وعليهم أن يحتفظوا بالفطير يوم الحادي والعشرين لأنه سيخرجهم من مصر في هذا اليوم.

لكن ما حدث أن الرب نزل ليلة الرابع عشر وضرب كل بكر من الناس والبهائِم في أرض مصر، فضج فرعون وانزعج، وأرسل بعد منتصف الليل إلى موسى وهارون، وأمرهم أن يخرجوا بالشعب من مصر بأغنامهم وأبقارهم؛ ليعبدوا ربهم؛ فقد أطلق له الشعب، فما كان من الشعب إلا أن خرج بعجينه لم يختمر وبمعاجنه.

فنسي الكاتب أن الرب وقَّت سبعة أيام وليس بضع ساعات، وأنه قد أمر الشعب ألا يخرجوا، وأمرهم أن يجتنبوا الخمير في بيوتهم، وألا يأكلوا شيئًا مختمرًا وولكنهم خرجوا وعملوا الخمير من أول ليلة.

ولنقرأ هذا النص من سفر الخروج لنقف على مجمل القصة: «سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا. الْيَوْمَ الأَوَّلَ تَعْزِلُونَ الْخَمِيرَ مِنْ بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَكَلَ خَمِيرًا مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ السَّابِعِ تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، وَيَكُونُ لَكُمْ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ، لاَ يُعْمَلُ فِيهِمَا عَمَلٌ مَا إِلاَّ مَا تَأْكُلُهُ كُلُّ نَفْسٍ، فَذلِكَ وَحْدَهُ يُعْمَلُ مِنْكُمْ، وَتَحْفَظُونَ الْفَطِيرَ لأَنِّي فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ أَخْرَجْتُ أَجْنَادَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، ...، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، مَسَاءً، تَأْكُلُونَ فَطِيرًا إِلَى الْيَوْمِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ مَسَاءً، سَبْعَةَ أَيَّامٍ لاَ يُوجَدْ خَمِيرٌ فِي بُيُوتِكُمْ، ...، لاَ تَأْكُلُوا شَيْئًا مُخْتَمِرًا، فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا»[٤٩٦].

فالكاتب يريد أن يظهر شعب إسرائيل بصورة الشعب المظلوم المطيع للرب الإله،

[٤٩٦] سفرالخروج، إصحاح١٢: ١٥ – ٢٠.

المنتظر منه النصر، ويظهر الرب في صورة المشفق على شعبه لأنه يطيعه وينفذ أوامره، لكن يبدو أن الأحداث تشابكت وتداخلت عنده، فأظهر الرب في صورة الجاهل الذي لا يدري إلام تؤول الأمور، وأظهر الشعب في صورة المخالف لأوامر الرب، حتى موسى هو الآخر نسي أوامر الرب وخالفها، فها هو الرب يضرب المصريين بهذه الضربة القاسية وهو لا يدري عواقبها، وقد أمر شعبه ألا يخرج أحد من بيته الليلة حتى الصباح: «فَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمُ: ... وَأَنْتُمْ لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ، ... فَخَرَّ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا، وَمَضَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَفَعَلُوا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ»[٤٩٧].

لكن حدث ما لم يتوقعه الرب فقد انزعج فرعون والمصريون معه من هذا الموت التي أصاب أبكارهم، وطلبوا من شعب إسرائيل أن يخرج فورًا فسارع شعب إسرائيل بالخروج ليلاً -وقد أمرهم الرب بعدم الخروج حتى الصباح-: «فَدَعَا مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلاً وَقَالَ: قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ شَعْبِي أَنْتُمَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا، وَاذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ، خُذُوا غَنَمَكُمْ أَيْضًا وَبَقَرَكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ وَاذْهَبُوا ...، فَحَمَلَ الشَّعْبُ عَجِينَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمِرَ، وَمَعَاجِنُهُمْ مَصْرُورَةٌ فِي ثِيَابِهِمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ»[٤٩٨].

لم يعقب الرب على الأمر ولم يقل لهم لقد عصيتم أمري؛ لأنه ما خطط لهم بالشكل الصحيح، وكذلك موسى الذي أمرهم بأمر الله لم يلمهم أو يعنفهم على المخالفة، وسارت الأمور طبيعية، وكأنهم قد أمروا أن يخرجوا قبل الصباح، لا أن ينتظروا في بيوتهم حتى الصباح.

ولم يفت الكاتب الحبكة الدرامية في هذه القصة، فشعب إسرائيل يعجن العجين

---

[٤٩٧] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٢١ - ٢٨.

[٤٩٨] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٣١ - ٣٤.

بالليل ليجعل منه فطيرًا كما أمره الرب، فلما يطلب فرعون والمصريون من موسى وشعب إسرائيل الخروج بادر الشعب بحمل هذا العجين على أكتافهم وهو في المعاجن المصرورة بالثياب لم يختمر بعد، والعجيب أنهم ظلوا يحملونه ويسيرون به طوال الليل دون أن يختمر!، وخبزوه بعد ذلك خبز ملة فطيرًا، كيف ذلك؟ لا تسل؛ لأن الكاتب يريد القصة هكذا.

ويبدو لي أن الكاتب كان يحب الفطير كثيرًا؛ فقد عاد يذكر الأمر بالفطير في الإصحاح الثالث عشر أن يعمل في الفصح سبعة أيام، لا يأكلون إلا الفطير ويكرره، بعد أن كان قد ذكره بصيغة الأمر ثلاث مرارٍ في الإصحاح الثاني عشر!.

لكن فات الكاتب أن يخبرنا ماذا فعلوا بلحم الشياة التي ذبحوها ولطخوا قوائم الأبواب وأعتابها بدمائها حتى لا يخطئ الرب فلا يستطيع تمييز بيوتهم من بيوت المصريين، هل أخذوا هذا اللحم –الذي أمروا أن يأكلوه في تلك الليلة مع الفطير– معهم أيضًا أم تركوه؟، وهل استطاعوا أن يشووه على النار كما أمروا أم أنهم طبخوه في الماء؟، لا ندري عن هذا الأمر شيئًا.

٣٨ – الإله قومي متحيز:

يتحيز لشعبه في كل شيء حتى وإن ظلم الآخرين وجار عليهم، فهو يحرم جميع العمونيين والموآبيين من رحمته؛ لأنهم لم يستقبلوا شعب الرب بالخبز والماء لما خرجوا من مصر، ولأنهم استأجروا بلعام بن بعور ليدعو على شعب الرب، ولا يحرم من الرحمة هذا الجيل الذي فعل ذلك فقط بل يحرم أبناؤهم إلى الجيل العاشر من رحمة الرب بسبب ما فعله أباؤهم، جاء في سفر التثنية: «لاَ يَدْخُلْ عَمُّونِيٌّ وَلاَ مُوآبِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ، حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُلاَقُوكُمْ بِالْخُبْزِ وَالْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ

خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلأَنَّهُمُ اسْتَأْجَرُوا عَلَيْكَ بَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ مِنْ فَتُورِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ لِكَيْ يَلْعَنَكَ، وَلكِنْ لَمْ يَشَإِ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلْعَامَ، فَحَوَّلَ لأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ»[٤٩٩].

٣٩- الإله يتصف بالتجبر والانتقام ليختال وينتشي:

فالرب يضرب جمعًا غفيرًا من الناس لا لشيء إلا ليعرف الناس أنه هو الرب، فحينما يخرج الشعب مع موسى وهارون بطلب من فرعون وشعبه من المصريين نجد أن الرب يشدد على قلب فرعون وعبيده ليخرجوا خلف شعب إسرائيل ليردوهم، وهذا مكر من الرب بفرعون وجنده ليظهر جبروته وانتقامه بإهلاكهم فيتمجد بذلك، ويعلم الناس أنه الرب.

جاء في سفر الخروج: «وَكَلَّمَ الرَّبُ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْحِيرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلَ وَالْبَحْرِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ، مُقَابِلَهُ تَنْزِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هُمْ مُرْتَبِكُونَ فِي الأَرْضِ، قَدِ اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِمِ الْقَفْرُ، وَأُشَدِّدُ قَلْبَ فِرْعَوْنَ حَتَّى يَسْعَى وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ جَيْشِهِ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ»[٥٠٠].

ثم يذكر الرب سببًا ثالثًا لإنزاله العذاب وهو أن تكثر عجائبه في أرض مصر!.

فياله من إله طاغٍ متجبرٍ، يسير خلف حمقه ورعونته، ينزل العذاب والنقم بالناس دون رحمة أو رأفة لا لشيء إلا لتكثر عجائبه؛ جاء في سفر الخروج: «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:لاَ يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ لِكَيْ تَكْثُرَ عَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ»[٥٠١].

---

[٤٩٩] سفر التثنية، إصحاح ٢٣: ٣ - ٥.

[٥٠٠] سفر الخروج، إصحاح ١٤: ١-٤.

[٥٠١] سفر الخروج، إصحاح ١١: ٩.

في موضع بعد هذا أيضًا من سفر الخروج تذكر نفس الأسباب: «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا، وَارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ، فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَهَا أَنَا أُشَدِّدُ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى يَدْخُلُوا وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ، فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ»[٥٠٢].

وإني لأعجب أشد العجب، فإذا كان الرب قد أمر فرعون وشعبه أن يطلق شعب إسرائيل ليعبده، وفعل فرعون وشعبه في النهاية ما طلبه الرب منهم، ولم يأمرهم أن يؤمنوا به، ولا طلب أن يعرفوه، فلماذا شدد الرب على قلوبهم وجعل ذلك التشديد سببًا في هلاكهم؟

تنحصر إجابات الرب عن ذلك حسب ما ترويه التوراة على هذا السؤال بأن الرب فعل ذلك لأسباب منها:

•• أنه فعل ذلك ليتمجد بفرعون وجيشه ومركباته وفرسانه.

•• أنه فعل ذلك حتى يعرف المصريون –حينما يتمجد بفرعون وجيشه ومركباته وفرسانه– أنه الرب، وهذا الأمر خارج عن النص إن صح هذا التعبير؛ لأنه إذا كان الرب يريد من المصريين أن يعرفوه فلماذا لم يأمرهم صراحة على لسان موسى وهارون؟ فيقول لهم مثلاً: اعرفوني لأنني أنا الرب الذي أعطيكم وأمن عليكم، كما قال لهم صراحة على لسان موسى وهارون: أطلقوا شعب إسرائيل ليعبدوني.

•• أنه فعل ذلك علاجًا لعقدة النقص التي عنده والتي تظهرها أقواله وأفعاله من حين لآخر، ألا وهي التشفي والانتقام، فأحيانًا ينزل البلاء والوباء والهلاك على الخلق ليتشفى

[٥٠٢] سفر الخروج، إصحاح ١٤: ١٥ – ١٨.

منهم، حتى إنه لشدة غله ورغبته في التشفي لا يفرق بين من له ذنب ومن لا ذنب له، ولا بين إنسان وبهيمة وطير، بل يهلك الجميع، ثم إذا هدأت ثائرته، ورحلت العقدة عن نفسه ندم وتأسف على ما فعل، جاء في سفر حزقيال: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكِ قَدْ نَجَّسْتِ مَقْدِسِي بِكُلِّ مَكْرُهَاتِكِ وَبِكُلِّ أَرْجَاسِكِ، فَأَنَا أَيْضًا أَجُزُّ وَلاَ تُشْفُقُ عَيْنِي، وَأَنَا أَيْضًا لاَ أَعْفُو، ثُلُثُكِ يَمُوتُ بِالْوَبَإِ، وَبِالْجُوعِ يَفْنَوْنَ فِي وَسْطِكِ، وَثُلُثٌ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ مِنْ حَوْلِكِ، وَثُلُثٌ أُذَرِّيهِ فِي كُلِّ رِيحٍ، وَأَسْتَلُّ سَيْفًا وَرَاءَهُمْ، وَإِذَا تَمَّ غَضَبِي وَأَحْلَلْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ وَتَشَفَّيْتُ، يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ»[٥٠٣].

وإننا لنشعر تجاه هذا الموقف أن الرب كأنه ينتشي ويتفاخر بإهلاك عباده وتدميرهم، وكأنه يتلذذ بإشباع رغبة الانتقام والتشفي بداخله!.

٤٠- الإله يندم:

فالرب يندم على كلامه وأقواله، جاء في سفر إرميا: «فَالآنَ أَصْلِحُوا طُرُقَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ، وَاسْمَعُوا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ، فَيَنْدَمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ»[٥٠٤].

وفي سفر الخروج: "ندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه"[٥٠٥].

ويندم على أفعاله فقد ندم الرب على أنه خلق الإنسان لما رأى أن شر الإنسان قد كثر، وأن الأرض قد فسدت بسبب الإنسان؛ لذا قرر أن يمحو كل ما على وجه الأرض من إنسان وبهائم ودبابات وطيور، جاء في سفر التكوين: «فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي

---

[٥٠٣] سفر حزقيال، إصحاح ٥: ١١- ١٣.

[٥٠٤] سفر إرميا، إصحاح ٢٦: ١٣.

[٥٠٥] سفر الخروج، إصحاح ١٤:٢٣.

الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»[٥٠٦].

ثم إنه بعد أن محا الإنسان والبهائِم ودبابات الأرض وطيور السماء، وأغرق الجميع بالطوفان رجع وندم على أنه أغرق الأرض بالطوفان فأمات ما عليها من مخلوقات، ولأجل هذا الندم أقام عهدًا بينه وبين كل نفس حية في كل جسد ألا يكون هناك طوفان آخر إلى الأبد، جاء في سفر التكوين: «أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ، وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ»[٥٠٧].

وفي سفر التكوين: «وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ، وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ»[٥٠٨].

في سفر صمويل الثاني: «وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ»[٥٠٩].

•• ندم الرب على قراره بجعل شاؤول ملكًا، حيث كان قد أمر شاؤول بأن يقتل العماليق، يقتل جميع الرجال والنساء والأطفال وحتى الحيوان، فنفذ شاؤول ما أمره الإله إلا أنه اجتهد فاستبقى خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف، فقد تصرف هنا شاؤول وفق العقلية

---

[٥٠٦] سفر التكوين، إصحاح ٦: ٦ – ٧.

[٥٠٧] سفر التكوين، إصحاح ٩: ١١.

[٥٠٨] سفر التكوين، إصحاح ٨: ٢٠ – ٢١.

[٥٠٩] صمويل الثاني، إصحاح ٢٤: ١٦.

النموذجية لليهودي، فقد عز عليه خيار الغنم وخلافه فاستبقاها ليقدمها قرابين لله ليشتم رائحتها![٥١٠]؛ جاء في سفر صمويل الأول: «وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلاً: نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي»[٥١١].

•• ندم الرب لأنه ترك شعبه بيد أعدائهم يسومونهم الخسف والذل والهوان، فلما سمع أنينهم رق لهم، وندم على تركهم: «لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ بِسَبَبِ مُضَايِقِيهِمْ وَرَاضِمِيهِمْ»[٥١٢].

•• الرب يندم على غضبه على بني إسرائيل وعزمه على إهلاكهم والانتقام منهم لأنهم عبدوا العجل، وتركوا عبادة ربهم الذي أخرجهم من مصر، جاء في التوراة: «فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ، اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ»[٥١٣].

•• يندم على الشر الذي فعله بشعبه، ويعدهم لذلك أن يعينهم ويثبت مملكتهم، ويقوي دولتهم، جاء في سفر إرميا: «إِنْ كُنْتُمْ تَسْكُنُونَ فِي هذِهِ الأَرْضِ، فَإِنِّي أَبْنِيكُمْ وَلاَ

---

[٥١٠] سفر صمويل١، إصحاح ٩:١٥.

[٥١١] سفر صمويل ١، إصحاح ١٥: ١٠ – ١١.

[٥١٢] سفر القضاة، إصحاح ٢: ١٨.

[٥١٣] سفر الخروج، إصحاح ٣٢: ١١ – ١٤.

أَنْقُضُكُمْ، وَأَغْرِسُكُمْ وَلاَ أَقْتَلِعُكُمْ، لأَنِّي نَدِمْتُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي صَنَعْتُهُ بِكُمْ»[٥١٤].

•• يندم على نية الخير، وعلى نية الشر:

فأحيانًا يريد الرب إهلاك واقتلاع أمة أو مملكة؛ لجرأتها عليه ومعصيتها له، فترجع عن شرها ومعصيتها فيرجع الرب عن عذابها وإهلاكها ويندم على ما كان توعدها وهددها به، والعكس بالعكس أحيانًا يريد أن يفعل خيرًا بأمة أو مملكة فيتكلم عليها بالبناء والغرس فتفعل الشر في عينه، ولا تطيع أمره فيندم على الخير الذي كان يريد أن يحسن به عليها، جاء في سفر إرميا: «تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقَلْعِ وَالْهَدْمِ وَالإِهْلاَكِ، فَتَرْجِعُ تِلْكَ الأُمَّةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا عَنْ شَرِّهَا، فَأَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا، وَتَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْغَرْسِ، فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ، فَلاَ تَسْمَعُ لِصَوْتِي، فَأَنْدَمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قُلْتُ إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ»[٥١٥].

•• ويندم كذلك على ما كان يقصد فعله بهم لأجل سوء أعمالهم، فنراه يأمر إرميا أن يبلغهم كلام الرب جميعه لا ينقص منه كلمة لعل كل واحد منهم يرجع عن أعمال الشر التي يعملها، فإذا ما رجعوا ندم على الشر الذي قصد أن يصنعه بهم، ورد في سفر إرميا: «وَتَكَلَّمْ عَلَى كُلِّ مُدُنِ يَهُوذَا الْقَادِمَةِ لِلسُّجُودِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِكُلِّ الْكَلاَمِ الَّذِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَيْهِمْ. لاَ تُنَقِّصْ كَلِمَةً، لَعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَرْجِعُونَ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الشِّرِّيرِ، فَأَنْدَمَ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهِمْ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ»[٥١٦].

---

[٥١٤] سفر إرميا، إصحاح ٤٢: ١٠.

[٥١٥] سفر إرميا، إصحاح ١٨: ٧ – ١٠.

[٥١٦] سفر إرميا، الإصحاح ٢٦: ٢ – ٣.

•• ولما طلب الشعب من هارون أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم فصنع لهم عجلا مسبوكًا فعبدوه وذبحوا له غضب الرب عليهم وقرر أن يفنيهم، لكن موسى تضرع إليه وذكره بعهده وحلفه لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وحذره مما سيقوله المصريون عنه من أنه أخرج الشعب بخبث ليقتله في الجبال ويفنيه عن وجه الأرض، عندها علم الرب أن هذا القرار الذي أزمع عليه قرار خاطئ، فندم الرب على ذلك!.

في سفر الخروج: «فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟، لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ، اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ»[٥١٧].

قال ابن القيم: "ومن العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البداء ثم يقولون: إنه ندم وبكى عن الطوفان، وعاد في رأيه وندم على خلق الإنسان"[٥١٨].

ولكن التناقض يلاحق كتبة التوراة، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء].

---

[٥١٧] سفر الخروج، إصحاح ٣٢: ١١- ١٤.

[٥١٨] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد أحمد الحاج، دار القلم،ط١٤١٦،١هـ - ١٩٩٦م، ص ٤٣١.

فالإله الذي كان يندم ويشتد به الندم على أفعاله وأقواله ونياته، تأتي التوراة في عدة مواضع لتنفي عنه الندم؛ لأنه ليس إنسانًا، فالندم خاص بابن الإنسان، جاء في سفر العدد: «لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ، هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟»[٥١٩].

وفي سفر صمويل الأول: «لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ، لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ»[٥٢٠].

بل جاء في سفر حزقيال على لسان الرب نفسه أنه لا يندم ولا يشفق: «لاَ أُطْلِقُ وَلاَ أُشْفِقُ وَلاَ أَنْدَمُ»[٥٢١].

٤١- الإله يأمر بالزنا:

فمن الغرائِب التي نتفاجأ بها ونحن نقرأ في بداية سفر هوشع أن الرب يأمر هوشع أن يتخذ له امرأة زنى وأولاد زنا، بل إن هذا هو أول ما كلم به الرب هوشع، جاء في سفر هوشع: «أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ:اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى»[٥٢٢].

وقد علل الرب أمره لهوشع بالزنا بأن الأرض قد زنت وامتلأت بالزنا وتركت الرب[٥٢٣]، فيا له من رب سلبي عاجز، فبدلاً من أن يرسل هوشع ويأمره أن يذكر الناس

---

[٥١٩] سفر العدد، إصحاح ٢٣: ١٩.

[٥٢٠] سفر صمويل١، إصحاح ١٦: ٢٩.

[٥٢١] سفر حزقيال، إصحاح١٤:٢٤.

[٥٢٢] سفر هوشع، إصحاح١: ٢- ٥.

[٥٢٣] سفر هوشع، إصحاح١: ٢.

ويدلهم على التوبة إلى ربهم والكف عن الفواحش ويخوفهم عقاب الله، نراه يأمره هو الأخر بأن يشاركهم أفعالهم الفاحشة، ويفعل مثل ما يفعلون، وهذا يظهر لنا مدى السلبية التي كان يتمتع بها هذا الرب ويتمتع بها شعبه الذين اختارهم، ويذكرنا بالأمثال الشعبية المصرية القديمة التي تأمر الإنسان أن يفعل مثلما يفعل الناس ويسير مع التيار.

ومن الناحية النفسية فهذا لم يكن إلا نتاجًا لتاريخ طويل من القهر والذل والهوان عاشه هؤلاء القوم فعرس في نفوسهم الخوف والسلبية.

ولا يقال إن الغرض من الأمر هنا التهديد والتحذير؛ لأن هوشع ما فهم منه ذلك، بل فهم منه الأمر الصريح، فذهب الفعل ونفذ الأمر كما طلب منه، وأخذ امرأة زنا وضاجعها وحملت منه، وولدت له ابنًا، ثم حملت مرة أخرى وأنجبت له ابنة، ثم حملت مرة ثالثة وولدت له ولدًا.

والغريب في الأمر أن الرب ظل متابعًا لهذا الأمر، بل هو الذي كان يختار لهوشع أسماء مواليده الذين جاءوا من طريق الزنا!.

وليس هناك غرابة في أن يأمر الرب بالزنا لأن غالب ذرية يهوذا الذين هم من شعب الرب الذي اختاره دونًا عن البشر جميعًا هم أولاد زنا؛ فقد زوج يهوذا ابنه البكر عِير من ثامار، وكان عِير شريرًا في عين الرب فأماته!.

فقال يهوذا لابنه أُونَانُ ادخل على زوجة أخيك وتزوج بها لتقيم نسلاً لأخيك، لكن أونان علم أن النسل سيكون لأخيه وليس له، فكان إذا دخل عليها أفسد على الأرض لكي لا تحمل منه، ولا يكون النسل لأخيه، فقبح فعله في عين الرب فأماته أيضًا!.

فقال يهوذا لكنته ثامار أقعدي أرملة في بيت أبيك أرملة حتى يكبر ابني شيلة، ولما طالت الفترة على ثامار وكبر شيلة، ولم تعط له زوجة، وأخبرت أن حماها يهوذا خارج إلى تِمْنَةَ

ليجز غنمة، خلعت ثياب ترملها وتزينت وتلففت بثيابها وقعدت في طريقه، فحسبها زانية، فمال إليها، وطلب منها أن يدخل عليها، فوافقت بعد أن وعدها أن يرسل إليها جديًا من ماعزه، فطلبت أن يعطيها خاتمه وعصابته وعصاه رهينة حتى يرسل إليها الجدي، ودخل بها وحملت منه وأنجبت ولدين هما: فَارِصَ و زَارَحَ[٥٢٤]، ومن نسل هذين جاء كثير من ذرية يهوذا الذين يقول الرب فيهما: «وَأَمَّا بَيْتُ يَهُوذَا فَأَرْحَمُهُمْ وَأُخَلِّصُهُمْ بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ، وَلاَ أُخَلِّصُهُمْ بِقَوْسٍ وَبِسَيْفٍ وَبِحَرْبٍ وَبِخَيْل وَبِفُرْسَانٍ»[٥٢٥].

هذا على الرغم من تصريح التوراة بأن حكم الرب فيمن ضاجع كنته أنهما يقتلان معًا، جاء في سفر اللاويين: «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَّتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا»[٥٢٦].

بل إن الزنا هو حكم شيوخهم وعلمائهم، ففي قصة اقتتال الأسباط مع بني بنيامين، حيث أنهزم بنو بنيامين وقتل أغلبهم ولم يبق منهم إلا قلة، وقد حلف كل الأسباط ألا يعطوا بناتهم لبني بنيامين، لكنهم ندموا بعد ذلك على ما فعلوه مع بني بنيامين، وظلت أمامهم معضلة فقد انقطعت النساء من بني بنيامين، فكيف يعطى الباقون من بني بنيامين نساءً، وقد حلف الأسباط كلهم ألا يعطي أحد منهم بنته زوجة لأحد من بني بنيامين، فجلس شيوخهم ليتشاوروا، فقالوا قد أظلنا العيد السنوي للرب في شِيلوه، فليذهب بنو بنيامين وليكمنوا في الكروم، فإذا خرجت فتيات شيلوه إلى العيد يرقصن فليخرج بنو بنيامين من الكروم وليخطف كل واحد منهم واحدة من بنات شيلوه: «فَفَعَلَ هكَذَا بَنُو بَنْيَامِينَ،

---

[٥٢٤] انظر القصة كاملة في سفر التكوين، إصحاح ٣٨.

[٥٢٥] سفر هوشع، إصحاح ١: ٧.

[٥٢٦] سفر اللاويين، إصحاح ٢٠: ١٢.

وَاتَّخَذُوا نِسَاءً حَسَبَ عَدَدِهِمْ مِنَ الرَّاقِصَاتِ اللَّوَاتِي اخْتَطَفُوهُنَّ، وَذَهَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مُلْكِهِمْ وَبَنَوْا الْمُدُنَ وَسَكَنُوا بِهَا»(٥٢٧).

٤٢- الإله يأمر بالسرقة:

فالإله أراد لشعبه إذا خرج من مصر أن يخرج محملاً بالخيرات حتى وإن لم يكن يملكها فهي حلال له، حتى لا يخرجوا فارغين؛ لذا فقد أمر الرب النساء الإسرائيليات بأن تطلب كل امرأة منهن من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياب، ثم تخرج الإسرائيليات بهذه الأمتعة كأسلاب، ويعد الرب هذا الأمر نعمة أنعم بها على شعبه، جاء في سفر الخروج: «وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ، فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ، بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ، فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ»(٥٢٨).

وأمر موسى عليه السلام أن يبلغ الشعب بهذا الأمر الذي يأمرهم به الرب، ومؤداه أن يطلب كل رجل من صاحبه، وكل امرأة من صاحبتها أمتعة ذهب وأمتعة فضة، وأن الرب سيعطي الشعب نعمة في عيون المصريين حتى يعطوهم أمتعة الذهب والفضة، جاء في سفر الخروج: «تَكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُل مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ، وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ»(٥٢٩).

---

(٥٢٧) سفر القضاة، إصحاح ٢١: ٢٣، وانظر القصة من بدايتها في سفر القضاة بداية الإصحاح التاسع عشر والذي بدأ بقصة الرجل اللاوي المتغرب الذي كان سببًا في هذه الحرب.

(٥٢٨) سفر الخروج، إصحاح ٣: ٢١ – ٢٢.

(٥٢٩) سفر الخروج، إصحاح ١١: ٢ – ٣.

وبالفعل نفذ الإسرائيليون ما خطط لهم الرب وأمرهم به فسلبوا المصريين أمتعتهم وتمتعوا بنعمة الرب التي أنعم بها عليهم، جاء في سفر الخروج: «وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى، طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ، فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ»[٥٣٠].

ولأجل هذا نسبو السرقة والزنا إلى أنبيائِهم، فنسبوا السرقة إلى يعقوب عليه السلام [٥٣١]، ونسبوا إلى نبي الله داود عليه السلام أنه زنا بزوجة أحد قواده (أُورِيَّا الْحِثِّيَّ) وحملت منه[٥٣٢]، وبعد أن احتال على زوجها وقتله تزوجها وضمها إلى نسائِه وولدت له سليمان عليه السلام.

٤٣- الإله يدعو إلى التهتك:

الأصل أن يكون الرب متصفًا بالستر، يستر عباده فلا يفضحهم ويشهر بهم على رؤوس الأشهاد، لكن هذا الرب يخالف هذا الأصل، فهو يحب الفضح لا الستر، ويذكر عباده دائمًا على الملأ بقبائِحهم وخطاياهم، وكأنه يحب ذكر الفضائِح والقبائِح، لذلك قلمًا نجد سفرًا من أسفار التوراة إلا وفيه ذكر ولو لمرة –إن لم يكن مرات– عن الزنا والفواحش والعري وأثداء المرأة، ... وغير ذلك مما قد يستحيي الإنسان الحيي من ذكره، فضلاً عن أن يكون الذاكر هو الرب الذي ينبغي أن يأمر الناس بكل فضيلة ويسد أمامهم كل مسلك إلى الرذيلة والفاحشة.

والرب ههنا يعاقب بكشف العورة وهتك ستر المرأة بإيقافها عريانة كما ولدت

---

[٥٣٠] سفر الخروج، إصحاح ١٢: ٣٥ – ٣٦.

[٥٣١] انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣١: ١٧ – ٢١.

[٥٣٢] انظر سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١: ٤ – ٥.

وتجريدها مما يسترها، جاء في سفر هوشع: «حَاكِمُوا أُمَّكُمْ حَاكِمُوا، لأَنَّهَا لَيْسَتِ امْرَأَتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا، لِكَيْ تَعْزِلَ زِنَاهَا عَنْ وَجْهِهَا وَفِسْقَهَا مِنْ بَيْنِ ثَدْيَيْهَا، لِئَلاَّ أُجَرِّدَهَا عُرْيَانَةً وَأُوْقِفَهَا كَيَوْمِ وِلاَدَتِهَا»[٥٣٣].

وفيه كذلك: «وَالآنَ أَكْشِفُ عَوْرَتَهَا أَمَامَ عُيُونِ مُحِبِّيهَا وَلاَ يُنْقِذُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»[٥٣٤].

حتى وإن قيل إن المرأة هنا إنما هي رمز لأورشليم التي اختارها الرب وناصرها ووالاها بالنعم، ثم هي ترنو لآلهة أخرى دون الرب تعبدها وتقيم لها المذابح والأعياد، وتنسى الرب الذي يستحق أن تعبده وحده، أقول حتى لو كان الأمر على سبيل الرمز فلا ينبغي أن تذكر الألفاظ الفاضحة الخادشة للحياء في كتاب هو في الأصل كتاب مقدس يتعبد الناس بتلاوته[٥٣٥].

---

[٥٣٣] سفر هوشع، إصحاح ٢: ٢ – ٣.

[٥٣٤] سفر هوشع، إصحاح ٢: ١٠.

[٥٣٥] تحرص أسفار التوراة على ذكر هذه الفاحشة، فتجدها مذكورة في أغلب الأسفار إما باللفظ أو بذكر من وقع فيها أفرادًا أو جماعات، ففي سفر التكوين قصة زنا يهوذا بكنته ثامار في الإصحاح الثامن والثلايون، وفي سفر الخروج في الإصحاح الرابع والثلاثين، وسفر اللاويين في الإصحاح السابع عشر، وسفر العدد، الإصحاح الخامس والعشرين، وفي سفر يشوع حدث ولا حرج حتى إن الرجلين اللذين أرسلهما يشوع ليتجسسا الأرض أختارا بيت امرأة زانية اسمها راحاب ليبيتا عندها (سفر يشوع، الإصحاح الثاني). وفي سفر القضاة، الإصحاح الثاني والثامن والتاسع عشر، ويكفيك أن تقرأ في سفر حزقيال الإصحاحين السادس عشر والثالث والعشرين،وأن تقرأ في سفر هوشع لتطالعك الكلمات الأولى في هذا السفر بهذه الفاحشة،... وهكذا باقي الأسفار لا تكاد تخلو من ذكر هذه الفاحشة أو ذكر أقاصيص لها ولمن يرتكبونها، وكأن الرب (أو من كتب هذه الأسفار) يحب هذه الفاحشة فيكثر الحديث عنها!.

وهذا المثل: تشبيه أورشليم بالمرأة الزانية الخائنة التي يحبها رجلها ويتعلق بها، ويعطيها من كل ما تريد وهي مع ذلك تظل في فجورها وفسقها وزناها لم يرد في سفر واحد فقط بل هو في جل الأسفار[٥٣٦].

فهل لم يجد الرب أو كاتب الأسفار رمزًا أو كلامًا مهذبًا غير هذا الكلام البذيء ليضعه في كتاب مقدس يطلع عليه الرجال والنساء والشباب والفتيات.

وهل يريد الرب أن يعلمنا أن مقومات الاصطفاء والاختيار التي على أساسها اختار الشعب هي الزنا والفواحش والتمرد، ثم يحكي لنا بعد ذلك حبه لهم وتعلقه بهم وسعيه لأنقاذهم وردهم، فهل هو رب يحب الفواحش والرذائل !!

وهذا الأمر في تقديري راجع إلى عقيدتهم الفاسدة أنهم شعب الله، ولهم أن يفعلوا ما يحلو لهم؛ لذلك فإنهم يكثرون في أعيادهم من شرب الخمور وارتكاب الفواحش سيرًا على طريقتهم المعهودة في شكر نعم الله عليهم، ولا يعدون ذلك من المعاصي أو المخالفات، بل هو من الأمور العادية بل التي يسر بها الرب في اعتقادهم، فقد قال لهم ملاخي: «لَقَدْ أَتْعَبْتُمُ الرَّبَّ بِكَلاَمِكُمْ، وَقُلْتُمْ:بِمَ أَتْعَبْنَاهُ؟، بِقَوْلِكُمْ: كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ فَهُوَ صَالِحٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَهُوَ يُسَرُّ بِهِمْ»[٥٣٧].

---

[٥٣٦] انظر في ذلك: سفر حزقيال، الأصحاح السادس عشر، وفي سفر إرميا تقرأ من الإصحاح الثاني إلى الإصحاح الخامس عن خيانة إسرائيل ويهوذا بنفس المثل، أمرأة زانية خائنة لرجلها.

[٥٣٧] سفر ملاخي، إصحاح ٢: ١٧، وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب طويلة أن عيد الفوريم عند اليهود والذي يكون يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار قد اشتهر بين المسلمين الذين يعيشون بينهم باسم عيد المَسْخَرَة (انظر: مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ص٤١٥).

الخاتمة

نخلص بعد هذا العرض أن الربَّ التوراتيَّ، والإلهَ اليهوديَّ يختلف كل الإختلاف عن الرب الإله –سبحانه– الذي خلق السماوات والأرض، حتى وإن استخدمت اليهود لإلههما المزعوم نفس الألفاظ التي اختص بها الله تعالى كلفظ الرب مثلاً.

فالإله اليهودي إله مُتحيِّز اختار اليهود دون غيرهم من كل البشر، إذا أراد أن يرسل رسلاً فمنهم فقط تكون الرسل، وإذا أنزل خيرًا فلأجلهم أنزله، وإذا رفع بلاءً فبسببهم رفعه، إذا آذاهم أحد أهلك أممًا وشعوبًا من أجل إيذائهم، فتراه يحرم أممًا وشعوبًا من رحمته لا لشيء إلا لأنهم أساءوا لشعبه.

وهو شهوانيٌّ، يروقُ له الكلام عن الفواحش ومرتكبيها، فيتحدث كثيرًا عن فواحشهم، مزاجيٌّ متقلبٌ متردِّدٌ لا تستطيع أن تثبت معه على حال فتارة تراه عنيفًا وطورًا تراه ضعيفًا وحينا تراه يتملق شعبه ويئن ويتألم لأنينهم وألمهم ويسعى لإنقاذهم ويجعل مهمته الأساسية بل الوحيدة هي إنقاذهم فيظلم ويدمر ويهلك الأبرياء لأجلهم، وحينًا تراه غاضبًا عليهم يريد أن ينتقم منهم ويبيدهم.

ولعل اليهود أرادو من إلصاق الصفات السيئة التي تَصِمُ الإلهَ بالنقص والعيب، والتي تظهره في صورة ممسوخة مشوهة أن يظهروا قدرتهم وندیتهم له، بل تفوقهم عليه؛ ليكون لهم حسب ما يريدون، ويسير على أهوائهم ويستجيب لرغباتهم؛ لهذا نجده دائمًا يسعي لإحراز مطالبهم، وإن كانت خاطئة أو قبيحة أو كان فيها ظلم أو تدمير للآخرين؛ لأن مهمته الأساسية هي إنقاذهم وتدمير أعدائهم والانتقام منهم بشتى الصور، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الرب قد اختارهم واتخذهم شعباً له دون سائر الشعوب.

على أننا نستطيع من خلال هذه الدراسة أن نستنتج عدة نقاط أهمها:

•• أن مسألة الإله لم تكن راسخة في نفوس اليهود بقدر ما ترسخت في نفوسهم جذور المنفعة المادية والمصالح الدنيوية.

ففي تقديري أن اليهود كانوا يتقلبون من عبادة إله لعبادة آخر ومن الذبح لهذا الإله للتقرب لذاك دون غضاضة أو أسف تبعًا لما يحقق لهم النفع والمصلحة، فلما كانوا في مصر رأوا مصلحتهم في عبادة العجل والكباش والشمس، وما ذاك إلا لأنهم رأوا في عبادة هذه الآلهة تقربًا إلى أسيادهم المصريين، بل وظلت هذه المعبودات عالقة في أذهانهم مترسخة في نفوسهم حتى بعد أن خرجوا من مصر.

ولما تحولوا إلى أرض كنعان عبدوا آلهة الكنعانيين على عدائهم الشديد معهم لكنها المصلحة، وكذلك الحال مع المؤابيين والعمونيين الذين يعتبروهم أولاد زنا، لما اختلطوا بهم عبدوا آلهتهم، وفي السبي البابلي عبدوا آلهة البابليين.

ولم يختلطوا بأمة من الأمم أو بشعب من الشعوب إلا عبدوا آلهته، ولا يجدون في ذلك غضاضة؛ لذا كثرت آلهتهم وتعددت، حتى كان لكل مدينة إلهها الذي يختلف عن إله المدينة التي تجاورها.

وهذا ما رسخ في نفوسهم التساهل في قضية الألوهية، والذي نتج عنه أنهم خلعوا على إلههم صفات الآلهة الأخرى ووصفوه بكل صفات النقص، حتى صار في منزلة أدنى من منزلة البشر.

•• أن استحلال اليهود لأموال وممتلكات غيرهم عقيدة راسخة ضاربة بجذورها في نفوسهم ودواخلهم، ولم لا وإلههم هو الذي أحل لهم ذلك ؟ بل أمرهم به وحثهم عليه.

•• أن سفك داء الأبرياء وبخاصة النساء والأطفال والشيوخ هي أيضًا عقيدة، وأوامر إلهية أمرهم إلههم المزعوم بها، كما يتضح من وصية الإله لشاول وقد نصبه ملكًا، فأمره أول ما أمره أن يقتل جميع من في المدن التي ينتصر عليها: الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والجمال والحمير وكل شيء في المدينة.

لذلك ليس هناك أغبى ممن يجلس معهم ليفاوضهم وهو يعلم أن هذه عقائدهم، فهل من المعقول أن تجلس مع إنسان لتطلب منه أن يترك عقيدته.

•• أن اليهود ليس لهم مبدأ ولا عهد؛ إذ لم يلتزموا مع إلههم الذي فعل لهم كل ما يريدون، حتى كان لشدة عنادهم معه يضج منهم ويشكو إلى موسى وإرميا وغيرهم من أنبيائهم، وكان يعاتبهم مرة ويتملقهم مرة ويغضب عليهم مرات.

•• أن اليهود لا يتورعون أن يستخدموا أية وسيلة في سبيل تحقيق مآربهم ومن أبرز وسائلهم النساء، وخير شاهد على ذلك ما جاء في سفري إستير ويهوديت.

والله من وراء القصد

المصادر والمراجـع

- القرآن الكريم

١. المصادر والمراجع:

- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د.علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١٣٨٤،١هـ - ١٩٦٤م.
- الأسماء والصفات البيهقي، تحقيق: عبد الله بن مُحَمَّد الحاشدي، قدم له: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.
- إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق وتعليق مُحَمَّد خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- الله، للعقاد، درا نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥.
- بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى المغربي، دار القلم، دمشق، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ.
- تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بدون تاريخ.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- التاريخ الحقيقي لليهود، نجيب زبيب، دار الهادي، ط٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- تاريخ اليهود العام، د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- تعرف إلى الكتاب المقدس، الأب اسطفان شربنتييه، نقله إلى العربية الأب صبحي حمودي اليسوعي، دار المشرق، بيروت،ط٢،١٩٨٩م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق:أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣،١٤١٩هـ.
- تفسير ابن كثير، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- تفسير الراغب الأصفهاني، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. مُحَمَّد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، حامد عيدان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م - التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب، دار النفائس للطباعة والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م.
- التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص، د. نعمان السامرائي، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم د. سهيل زكار، دار قتيبة للنشر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- دائرة المعارف الكتابية، القس صمويل حبيب وآخرون، دار الثقافة، بدون تاريخ.

- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- دروس في اللغة العبرية، ربحي كمال، مطبعة جامعة دمشق، ط٣، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م
- سفر التاريخ اليهودي، رجا عبد الحميد، دار الأوائل، دمشق، ط٢، ٢٠٠٦.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، بدون تاريخ.
- سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨م.
- سنن النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
- شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- شرح الكرماني على صحيح البخاري، اعتنى به: مُحَمَّد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، العربي للنشر والطباعة، دمشق، ط٢، بدون تاريخ.
- فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط١،١٤١٤هـ.

- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، بدون تاريخ.
- قاموس الكتاب المقدس الإلكتروني، المنشور على موقع البشارة على الشبكة العنكبوتية.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- قصة الحضارة وِل ديورنت، ترجمة مُحَمَّد بدران، دار الجيل للنشر، بيروت، بدون تاريخ.
- قضية الألوهية في الأسفار اليهودية، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الكتاب المقدس (العهد القديم – العهد الجديد)، منشور على موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية – مصر http://St-Takla.org.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- المجتمع اليهودي، زكي شنودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، جمعية الكتاب المقدس، ط ١، ٢٠٠٣م.
- المخصص، لابن سيده، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤١٧،١هـ ١٩٩٦م.
- المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بدون تاريخ.

- مستخرج أبي عوانة على صحيح مسلم، تحقيق جماعة من الأساتذة، الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ.
- مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مُحَمَّد بن علي التهانوي، إشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د.علي دحروج، ترجمه إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد أحمد الحاج، دار القلم، ط١٤١٦،١هـ - ١٩٩٦م.
- اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨م.
- اليهودية، مُحَمَّد بحر عبد المجيد، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، بدون تاريخ.
- اليهودية عرض تاريخي، د. عرفان عبد الحميد فتاح، دار البيارق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- اليهودية في العقيدة والتاريخ، عصام الدين حفني ناصف، دار العالم الجديد، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

٢- المجلات والدوريات:

- مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ١٠٧، موجز تاريخ اليهود، د. محمود عبد الرحمن قدح.

٣- المقالات:

- البعد الكتابي لأسماء الله باللغة العبرية للأب أنطونيوس لحدو، مقال على الشبكة العنكبوتية.

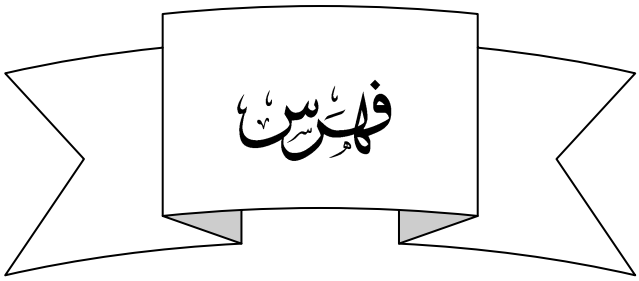

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول: مفهوم الإله لغة واصطلاحًا	٩
مفهوم الإله لغةً	١١
مفهوم الإله اصطلاحًا	١٣
الفصل الثاني : اليهود؛ التسمية والتاريخ	١٥
المبحث الأول: اليهود وسبب التسمية	١٧
المبحث الثاني: مختصر تاريخ اليهود	٢١
المرحلة الأولى: يعقوب وبنوه (بنو إسرائيل)	٢١
المرحلة الثانية: موسى عليه السلام وبنو إسرائيل	٢٥
المرحلة الثالثة: عصر السبي البابلي	٣١
ظهور لفظ"اليهود"	٣٣
تدوين التوراة	٣٤
الفصل الثالث: تعدد الآلهة عند اليهود	٣٧
أسباب ميل اليهود الشديد إلى فكرة تعدد الإلهة	٤٦
فساد اعتقاد اليهود في الله تعالى، وفي اليوم الآخر، وسوء نظرتهم إلى أنبيائهم	٤٦
ترسخ فكرة الحلول عند اليهود	٤٨

الطبيعة اليهودية التي تشعر في داخلها بالضآلة والخوف والضعف وشدة الحرص على الحياة ٥٠
فساد فطرة اليهود وأخلاقهم الخبيثة ٥١
الفصل الرابع: حقيقة الإله عند اليهود ٥٥
الفصل الخامس: أسماء الإله عند اليهود ٦٥
المبحث الأول: الأسماء الحسنى ٧١
من أسماء الإله عند اليهود: الله ٧١
القدوس ٧٣
الأمين ٧٤
السيد الرب ٧٥
الأول والآخر ٧٨
القدير ٧٩
العلي ٨٠
الخالق ٨١
الجليل ٨١
الحي ٨٢
الحاكم ٨٢
المبحث الثاني: الأسماء الخاصة ٨٣
إيل ٨٣
أدوناي ٨٧
شدَّاي ٨٨
إلوهيم ٩٠
يَهْوَهْ ٩٣

صفات الإله يَهْوَهْ ١٠٢
الفصل السادس: الصفات الذاتية للرب الإله ١٠٥
المبحث الأول: الصفات الحسية للذات الإلهية عند اليهود ١١١
التجسيم ١١١
مظاهر تجسيم الإله عند اليهود ١١٥
له يدان وله يمين وذراع ١١٨
له إصبع ١١٩
له رجلان ١٢٠
له أذنان ١٢٠
له عينان ١٢١
له أجفان ١٢٢
له فم وشفتان ولسان ١٢٢
له أنف ١٢٣
المبحث الثاني: الصفات المعنوية للذات ١٢٥
له قلب وأحشاء ١٢٥
له نَفْسٌ ١٢٦
قوته تشبه قوة بعض الحيوانات ١٢٦
الإله ضعيف ١٢٧
الفصل السابع: صفات الفعل ١٢٩
الإله يأكل ويتغذى ويسكر ١٣١
الإله ينام ويستيقظ ١٣٣
الإله يسهر ١٣٣
الإله يفكر ١٣٣

الإله يخاف ١٣٤
الإله يبكي ويذرف الدموع ١٣٥
الإله يتنفس ١٣٦
الإله يقف ويذهب ويصعد ١٣٦
الإله يخرج ويجتاز ويمشي ويسير ١٣٧
الإله يخطِب ويتزوج وينجب ١٣٨
الإله يعمل حلاقًا ١٤٠
الإله غير معصوم ١٤٠
الإله يعالج الأفعال معالجة البشر ١٤١
الإله يختفي ويتوارى ١٤٢
الإله يحزن ويأسف ١٤٢
الإله يسكن في وسط بني إسرائيل ١٤٣
الإله يصارع ويُهزم ١٤٤
الإله رجل حرب عنيف قاس ١٤٤
الإله لئيم ١٤٥
الإله كاذب ١٤٥
الإله مخادع ١٤٨
الإله يتعب ويحب الكسل ١٤٩
الإله يتحير ويحتاج إلى معين يعينه ١٥١
الرب يتملَّق ويلاطف ١٥٢
الإله يغار ١٥٢
الإله يغتاظ ١٥٣
الإله غفور ١٥٤

الإله رؤوف ١٥٥
يهتف ويصرخ ويصيح ١٥٥
يتردد ويتراجع ١٥٥
الإله يتذكر وينسى ١٥٨
الإله يتحرك وينزل ويتكلم بصوت ١٦٠
الإله يتألم لألم شعبه ويسعى لإنقاذهم ١٦٤
الإله يتصف الجهل الشديد ١٦٥
الإله قاس متوحش حتى على شعبه ١٧٢
الإله يتصف بالتناقض العجيب والرعونة في التصرف ١٧٤
الإله يتصف بالظلم وعدم التمييز بين الظالم المتجبر والمستضعف المسكين ١٧٥
الإله قومي متحيز ١٨٤
الإله يتصف بالتجبر والانتقام ليختال وينتشي ١٨٥
الإله يندم ١٨٧
الإله يأمر بالزنا ١٩٢
الإله يأمر بالسرقة ١٩٥
الإله يدعو إلى التهتك ١٩٦
الخاتمة ١٩٩
المصادر والمراجع ٢٠٣